الماسونية العالمية

(الشركات العابرة للقارات)

(الشركات العملاقة)



الماسونيـة العالميـة

الشركات العابرة للقارات

(الشركات العملاقة)

الجزء

2

تأليف : المهندس قصي السعدي

التدقيق اللغوي : الدكتور موفق السراج

إهداء إلى

- كل من آمن بوطنه وأمته وعمل على تحقيق أهدافها
- كل من يؤمن بأن المبدأ العملي التطبيقي والتجريبي هو المبدأ الوحيد الكفيل ببناء حضارة الأمم وهو المبدأ الوحيد لنقل الأمة من التخلف إلى التقدم والتطور والازدهار

مقدمة

كثير من الناس إن لم نقل جلهم يرددون كلمة ماسونية , فيظن البعض منهم أنه يعرف بعضاً أو أكثر من بعض من أسرار تلك المنظمة من خلال اطلاعه على بعض الكتب التي تتحدث عنها , كما نرى أن بعضاً من هؤلاء الناس يعتقدون نشأة الماسونية تمت في القرن الثامن عشر ميلادي وأن مؤتمرهم الأول عقد في بريطانيا عام / ١٧١٧/ م , والبعض يعتقد أنها تشكلت في القرن العاشر وأنها كانت وراء إشعال الحروب الفرنجية على منطقة الشرق الأوسط , والبعض يعتبرها أنها تأسست في القرن الأول رداً على ظهور السيد المسيح , وآخرون يرونها بدأت بُعيد السبي البابلي في العهد الذي كتبت فيه التوراة وأن التوراة هي أول إنجازات الماسونية وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد , والبعض يظنها أنها جاءت رداً على الحملة الرومانية وهدم الهيكل من قبل القائد الروماني تيطس عام / ٧٠ / م , اختلف تاريخ النشأة عند الكثيرين , لكن الكل يجمع أن الماسونية هي حركة أو منظمة أو جمعية يهودية سرية هدفها إقامة الدولة اليهودية التي حدودها من الفرات إلى النيل كما جاء في توراتهم وإعادة بناء الهيكل المزعوم , وهناك قسم من الناس يوافقون القسم السابق في التأسيس على أنها جمعية يهودية , لكن يختلفون معهم في الهدف فيرون أن الماسونية هدفها سيطرة اليهود على العالم , استناداً إلى معتقداتهم التي ترسخت في عقولهم , وأهمها أن أي أرض تطؤها بطون أقدام اليهود هي ملك لهم , كما وعدهم الله , وهذا منصوص عليه في التوراة , ومجموعة أخرى ترى هدفها تدمير جميع الأمم الأغيار (الغوييم) وجعلها خدماً لهم , استناداً إلى كتبهم المقدسة أيضاً .

أيَّن تكن النظرة من تلك النظرات السابقة , لكننا نرى أن تلك النظرات جاءت غير دقيقة وغير واضحة وغير معللة , ورغم ذلك فإن أعدّها نصف الحقيقة , لأنها جاءت منسجمة مع ما أحبت الماسونية أن توصله للناس كي تبقى غير مكشوفة للآخرين , فالسرية جداً ضرورية في عملها وهو سر نجاحها لذلك نستطيع القول إن كل هذه المعلومات التي تملكها الناس ما هي إلا تعبيراً عن الماسونية المرئية التي كشفتها من أجل التضليل والتمويه لتحرف البوصلة عن اكتشاف الحقيقة .

أرى أن الماسونية هي عقلية صاغها فكر مؤلّف من أفكار ومبادئ وقيم غير إنسانية , ولهذا الفكر فلسفته الخاصة , لذلك نجدها دامت عدة قرون . ولن يقضى عليها إلا إذا ظهرت فلسفة مناوئ , وفكر مناهض لها يملك من القوة ما يستطيع من خلالها تفكيك هذه الرموز وإلغاء هذه العقلية واستبدالها بعقلية أخرى خالية من الهيمنة والاستبداد , وهذا لن يتم إلا إذا أيقنت الماسونية أن ما تعتمد عليه هو ليس بعقيدة ومعتقد , وعليها أن تعلم أن دورة الحضارة والحياة ليس بممتلك يدها , فهذه الدنيا وهذا الكون يسيره خالق , إذ مهما بلغت من قوة جبارة فإنها لن تغير من السير المرسوم لهذا الكون أن يسير فيه مهما امتلكت من إرادة وتصميم , صحيح أن الناس تملك إرادات , لكن لا يوجد في الكون إلا مشيئة واحدة هي مشيئة الله مع العلم أن من أهم ما تمتلكه هذه الفلسفة , أنها تستطيع بديناميكيتها أن تسير مع أي حركة أو أي اتجاه , ثم توجه تلك الحركة والاتجاه نحو مركز محسوب مسبقاً يصب في مصلحتها أي أنها تركب على الأزمات , وبعبارة أخرى إنها تركب وتسير مع الأشياء لتحقق الاستفادة القصوى ثم تحاول أن تحرفها لتجعلها تسير في فلكها , مستفيدة من العوامل الطبيعية المخلوقة والموروثة مع الإنسان من غرائز ورغبات , ومن خلال زرع أفكار تدغدغ مشاعر الإنسان كي تصل هي إلى هدفها المنشود , لذلك نجدها أنها أخذت دور الشيطان في هذا العالم .

عندما تكلمت عن المشيئة الإلهية فيما سبق لم أقصد ذلك من جهة التعصب الديني أو أن الله هو الذي سيقوم بمفرده بتدمير الماسونية , وإنما جاء قصدي في ذلك أن هناك سنناً كونية تسير عليها كل الأمم ـ هذا الكون يسير وفق قوانين لا تتغير ولا تتبدل ـ مهما كانت شخصيتها ودياناتها في خط مستقيم تبعاً لمنحني بياني تمر فيه كل الحضارات والأمم سواء الأمم المتخلفة منها أو المتقدمة , فكل الأمم مرت وفق منحني بياني صعدت فيه إلى الذروة ثم انتهت إلى الحضيض وهذه هي السنة الكونية التي قصدت فيها المشيئة الإلهية . لقد عبر أرنولد توينبي عن حركة التاريخ فقال : (هو إنجاز اللحظة الإلهية , وإبداع الله في حركته فمن الله منطلقه وإلى الله مبتغاه) .

عندما بدأت أشعر أنني قادر إلى حد ما أن أقدم ولو شمعة صغيرة في مجال نظرية المعرفة وفلسفة العلوم نتيجة الغزارة والكم الكبير من المعرفة التي امتلكتها نتيجة قراءتي لآلاف الكتب وكثير منها هي من أمهات الكتب في شتى المجالات من فلسفة وفكر وفنون وتاريخ وسياسة ,

وفي مجال الدين والديانة واللاهوت, ومجالات أخرى أهلتني لأن أكوِّن لذاتي رؤية وفلسفة خاصة بي .. مما دعاني للمغامرة في عملية التأليف فأصدرت كتابي الأول تحت اسم (فلسفة الدماغ – الوحدة الواحدة) طباعة وزارة الثقافة , وقد عدَّه البعض أنه مرجعاً لا مرجع له لأنه يطرح ويرسم فلسفة جديدة في مسألة فلسفة العلوم ونظرية المعرفة .

لكني وجدت أنه من واجبي كشف الماضي برؤية واقعية فلسفية لكشف الحقيقة إلى حد ما لنعي الأسباب المادية التي أدت لوصول أمتنا العربية لهذا الواقع المرير , فبدأت الكتابة في هذا المضمار وأصدرت الجزء الأول من كتاب (الماسونية العالمية – الشركات العابرة للقارات) وضَّحت وكشفت فيه المراحل التاريخية التي مرَّت بها , و وجدت أنه من الضروري قبل أن أشرع في تأليف الباب الثاني أن أوضح المكونين النفسي والذهني لشعب وصفه الله بأنه أسوأ شعب على ظهر البسيطة فأصدرت كتابي (وقائع اليهود وديانتهم) .

إن إصدار كتاب وقائع اليهود وديانتهم قبل الباب الثاني من كتاب الماسونية العالمية لم يأت بشكل عبثي بل جاء بشكل مدروس وفرض نفسه على إيقاع الخطة المعرفية التي رسمتها لنفسي , لكي نستطيع فهم الجزء الثاني من كتاب الماسونية العالمية لتكتمل الرؤية قد يعتقد البعض أنني عندما شرعت بالكتابة في مجال التاريخ فقد خرجت عن خطي وهو الفلسفة , لكن في الحقيقة لم أخرج بعيداً لأنني لم أقدم التاريخ بالمعنى السردي للأحداث بل بالمعنى الفلسفي له (فلسفة التاريخ) .. وهنا أقول إذا كانت الفلسفة أم العلوم فإن التاريخ هو أبو العلوم , ولم تعد الفلسفة في عصرنا هذا مستقلة عن العلوم المادية والإنسانية .. صحيح أن العلم في بداياته قد اعتمد على الفلسفة لكن منذ عصور قريبة أخذت الفلسفة تعتمد على العلوم مما أدى إلى اضمحلال عدد الفلاسفة لأن الفلسفة في هذا العصر تحتاج من صاحبها أن يكون موسوعياً ليستطيع أن يشكل منهجاً علمياً فلسفياً صالحاً للتطبيق , فيجب على الفلسفة أن تكون بِنْتَ عصرها .

تمهيد

يتألف هذا العالم الإنساني من أعراق وشعوب , وتنتمي هذه الشعوب إلى تلك الأعراق ويتميز كل عرق بسمات عامة تصبغ شعوبه , ولكن باعتبار أن لكل قاعدة شواذ – وهذه النظرية تنطبق في كل مناحي الحياة تقريباً – لذلك نجد أنه دوماً في كل عرق هناك شعب ما يشذ عن القاعدة . فالسمة العامة التي نود أن نتكلم عنها لكل عرق هي حب الذات , حيث نجد أن العرق الأسود لا يملك هذه السمة بشكلها السلبي , بل على العكس من ذلك فقد يقدم بعضاً من التنازلات التي لا تسيء له بشكل مباشر , نقصد أنه لا يتخلى عن كرامته ولكن لأسباب فيزيولوجية أو أخلاقية معينة جعلته يرضى بالتخلي عن بعض حقوقه وهي صفة من صفاته , ولكنها ليست كلية , أما العرق الأصفر فيحب أن تكون هناك مساواة بين الأعراق , وهذا ما نراه جلياً عندما اجتمعت عصبة الأمم ورسمت الحدود بين الجارين الصيني والياباني , إلا أن اليابانيين طالبوا الدول الغربية ذات العرق الأبيض بالإعلان في عصبة الأمم عن المساواة بين الأعراق , لكن الغربيين تجاهلوا هذا الطلب مما أزعج العرق الأصفر وخاصة اليابانيين , مع العلم أن الغربيين أعطوا اليابانيين من الأراضي أكثر مما لهم ومع ذلك خرجوا من الجلسة منزعجين وممتعضين بشكل كبير , لكننا نجد أن الشعوب العربية أكثر الشعوب اعتدالاً بالنسبة لمسألة حب الذات وخاصة بعد مجيء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ونزع حب الذات من داخل الأمة العربية والإسلامية , فالعرب – كالكثير من الشعوب – كان لديهم حب الذات وهذا ما نراه من خلال التفضيل فكل من ليس عربي كان يسمى بالأعجمي , لذلك قال محمد عليه الصلاة والسلام للمسلمين ((لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى)) , وبالتالي أصبح المسلمون معتدلين ينظرون إلى كل العروق بنظرة متساوية , أما اليونانيون , وهم من العرق الأبيض فكانوا يطلقون على كل من ليس يونانياً أو أثينياً على وجه الخصوص تسمية بربري (همجي) وكذلك عندما سادت الحضارة الرومانية بقيت هذه الثقافة وبقي كل من ليس رومانياً أو بربرياً , فنجد نزعة حب الذات جلية وواضحة وضوح الشمس عند العرق الأبيض , وبالأخص عند البريطانيين , إنهم يسمون كل من ليس بريطانياً ب (وطني) , وكما قلنا لكل عرق شعب شاذ لذلك نجدها واضحة عند اليهود ، فكل من ليس يهودياً يدعى (غوييم) (أغيار) .

لقد تخلى اليونانيون عن هذه السمة لأن حضارتهم لم تعد حضارة مميزة (مائزة) أو ذات ميزة , إن العرب تخلوا عن هذه السمة لأن الديانة الإسلامية لا تسمح بذلك , بينما اليهود لا يزالون يتمسكون بها لأن هذه السمة من صلب عقيدتهم , لذلك لم ولن يقلعوا عنها أما البريطانيون فلا زالوا متمسكين بهذه السمة وبالأخص وهم من العرق الآري (العرق الأبيض) وكلمة آري تعني (سيد الأرض) . لقد التقت مصلحة هذين الفكرين المتقاربين المتطابقين إلى حد ما عندما تم اكتشاف القارتين الأمريكيتين , فعقدت الشراكة بينهما وذلك في القرن السادس عشر كما ذكرنا في الجزء الأول , وذلك من أجل تحقيق مصالحهما .

في البدء لم يكن هدف الماسونية هو السيطرة على العالم , فقد كان هدفها تحقيق مصالحها في القارتين الأمريكيتين , ولكن عندما وجدت أن الأمور كلها تسير لصالحها وكما تريد , فكرت بتلك الفكرة في القرن التاسع عشر وخاصة بعدما سيطرت على القارات الخمس وهي (أمريكا الشمالية – أمريكا الجنوبية – استراليا – إفريقيا – أوروبا) من جهة , وظهور نظريتين هما نظرية مالتوس وبعدها نظرية داروين .

حتى نقوم بتحليل أي عمل لا بد من انجاز الدراسة التاريخية الوافية وتبيان العوامل التي صاغت وصبغت هاتين العقليتين فنتج عنهما مكونيهما النفسي والذهني , ونقصد بالدراسة التاريخية التطورات التي حدثت في أي أمة ليس من الناحية السياسية فقط , بل من كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية وكل جانب من جوانب الحياة حتى تكون الدراسة والرؤيا واضحة لا لبس فيها , ومن أجل ذلك سنحاول أن نقدم بشكل مختصر الأشياء والأفكار التي صاغت هذين الشعبين الشاذين عن باقي الشعوب وهما شعب الأنجلو – سكسونيو الشعب اليهودي .

وقبل أن نبدأ بحثنا هذا أود أن أقول : إن التغيير والتطور في الأشياء لا ينتجان تغييراً وتطوراً في طبائع الأمة فأبناء أي أمة اليوم هم امتداد لأسلافهم في طبائعهم ومكونيهما النفسي والذهني المبنيين على معتقدات كل أمة . فيهود اليوم هم استمرار ليهود الأمس وكذلك الأنجلوسكسون , لأن الفكر والعقلية هما اللذان يستمران بأبنائها في نفس السياق , ولا تتبدل

الطباع إلا بتغيير الفكر والعقلية , أي لا تتغير إلا إذا تبنَّت عقيدة جديدة أو فلسفة جديدة مناهضة أو مختلفة عما سبق .

الفصل الأول

لمحة عن تاريخ الشعب الأنجلوسكسوني ووقائع الشعب اليهودي

تاريخ الشعب الأنجلوسكسوني :

يعدّ الكلتيون أول من استقر في بريطانيا ولم يعرفوا البرونز حتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد ، وما إن حل منتصف الألف الأول قبل الميلاد حتى بدأ وصول دفعات جديدة من الكلتيين قادمين من غربي أوربا حيث جلبوا معهم حضارة عصر الحديد ثم لحق بهم الغاليون الذين شكل أحفادهم شعب إيرلندا واسكتلندا ، ثم تبعهم البريتون الذين وصلوا إلى مستوى حضاري عالٍ ولا يزال أحفادهم يقطنون مناطق كورنول ويلز ومنطقة بريتاني الفرنسية وأخيراً ظهر شعب البلجيك في القرن الأول قبل الميلاد الذين استوطنوا في أقصى الجنوب ، وقد وصفهم قيصر في الحروب الغالية بأنهم أقوام يتكلمون الكلتية ويحرقون موتاهم , وكل هذه الأقوام تعد من القبائل اللاتينية , والكلتيون هم النسبة الكبرى من تلك القبائل وخلال العصر الحديدي استوطن بريطانيا عدة قبائل كلتية أخرى جاءت من أوروبا الوسطى , وقد سمح تطوير صهر الحديد بصناعة المحراث الحديدي مما أدى إلى تقدم الزراعة ، وكذلك أصبح بالإمكان إنتاج أسلحة أكثر فعّالية . كانت اللغة البروتونية هي اللغة المنطوقة خلال ذاك العصر ، وكان مجتمع قبلي ويقطنها حوالي عشرين قبيلة ، أما الفترة التاريخية السابقة فلا يزال الغموض يكتنفها لأن البريطانيين كانوا لا يعرفون القراءة والكتابة خلال تلك الحقبة فلم يكتبوا مؤلفات تتحدث عن حياتهم وبلادهم في ذاك العصر كغيرها من المناطق الأخرى الواقعة على حافة الإمبراطورية . تمتعت بريطانيا بروابط تجارية مع الرومان . حاول يوليوس قيصر غزو بريطانيا مرتين في عام / 55 / م قبل الميلاد لكنه فشل إلى حد كبير ، إلا أنه تمكن من إقامة نظام ملكي عميل .

في عام / 43 / بعد الميلاد قامت الجيوش الرومانية بعبور القنال إلى إنجلترا وقضت بشكل سريع على مقاومة القبائل المحلية . وقاموا بتأسيس مدينة لندن وشقوا الطرقات العسكرية عبر البلاد . وفي غضون عشرة أعوام وصل حكم الروم إلى قلب أراضي إنجلترا واستمر هذا الحال حتى بداية القرن الخامس .

وكعادتهم عمد الرومان في احتلالهم على التعامل مع الطبقات الغنية وتقاسم خيرات البلاد فيما بينهما , وبما أن الزراعة كانت هي الأساس في ذلك العصر فنجد أن الطبقات الغنية صارت تملك القرى وتزيد من مساحاتها فقضت على أصحاب أملاك الأراضي الصغيرة من خلال إجبارهم على بيعها لهم فصاروا وما يملكون تحت تصرف الأغنياء أو أجراء في أراضيهم أو غادروا إلى المدن , فظهر عصر الإقطاع .

لم يرق الحال لمعظم سكان بريطانيا وكانوا ينتظرون الفرج , وفي نهاية القرن الرابع ميلادي ظهر خصم للرومان وهم الأنجلو – سكسون وكانوا أشداء ومنظمين وشرسين في القتال وبارعين ولا مكان للرحمة في قلوبهم وكانوا يعتدّون بأنفسهم ويميزونها عن باقي البشر , ويسمون أنفسهم بالآريين أي أسياد الأرض , وكانت من عاداتهم أنهم إذا دخلوا أي مكان يدمرونه عن بكرة أبيه ويقتلون كل من فيه ويحرقون الأخضر واليابس .

فرح البريطانيون بهذه العداوة بين الأنجلو – سكسون والرومان فراحوا يساعدونهم من أجل أن يتخلصوا من المحتل الروماني ويضعفون الطبقة الإقطاعية في الوقت نفسه , إلا أنهم فوجئوا بمحتل آخر وهم الأنجلو– سكسون أنفسهم , فقد طردوا الرومان في مطلع القرن الخامس واحتلوا جنوب بريطانيا وأطلقوا عليها اسم إنجلترا , وسبب احتلالهم جنوب بريطانيا فقط لا ينم عن كرم أخلاق منهم بل لأنهم أحسوا وعرفوا أن قوتهم لا تمكّنها من السيطرة إلا على تلك المساحة من بريطانيا , وخاصة أن بريطانيا كان يهددها من الشمال الكلدونيون , ومن الغرب الولزيون الذين لم يستطع الرومان إخضاعهم , والجيليون الذين يسكنون اسكتلندا .

في عام / 409 / خرج آخر جندي روماني من بريطانيا , وأُجبر الزعيم البريطاني فوتجيرو على خوض معركة كبرى شنها البكت (الكلدونيين) فاستغاث ببعض قبائل الجرمان الشمالية ، فأقبل عليه السكسون من إقليم نهر الألب ، والأنجلو من شلزوج ، والجوت من جتلندة , وطرد الجرمان الأشداء البكتيين والاسكتلنديين وكوفئوا على عملهم هذا بمساحات أخرى من الأراضي فاتسع حكم الأنجلو– سكسون في بريطانيا ، وأدركوا ضعف البريطانيين من الناحية الحربية ، فبعثوا بهذا النبأ السار إلى مواطنيهم في بلادهم الأصلية وجاءت جموع كبيرة من الأنجلو– سكسون ونزلت على سواحل بريطانيا من غير دعوة من أهلها ، وقاومهم الأهلون بشجاعة تفوق

ما كان لديهم من مهارة ، وظلوا قرناً كاملاً بين كر وفر يحاربونهم حرب العصابات ، وانتهى هذا القتال بأن هُزِم البريطانيون (اللاتين) عند موقعة ديرهم وأصبح للأنجلو- سكسون السيادة على البلاد التي سميت فيما بعد أرض الإنجليز (**England**) أو إنجلترا (**Angletere**) , يعود أصل كلمة إنجلترا إلى الأنجلو الذين احتلوا بريطانيا خلال القرنين الخامس والسادس ميلادي , فهي إحدى قبائل الجرمان التي كانت تقطن شبه جزيرة أنغلن الواقعة في منطقة خليج كييل في بحر البلطيق .

قَبِل معظم البريطانيين فيما بعد بهذا الغزو ومزجوا دماءهم بدماء الغزاة وارتدت أقلية شديدة البأس إلى جبال ويلز وواصلت الحرب ضد الغزاة ، وعَبَر غيرهم القناة وأطلقوا اسم بريطانيا على فرنسا الحالية . وخربت مدائن بريطانيا من خلال هذا الصراع , واضطربت وسائل النقل ، واضمحلت الصناعة ، وفسد القانون والنظام ، وحل بالفن سبات عميق ، وطغت على مسيحية الجزيرة – التي كانت لا تزال في بداية عهدها- الآلهة الوثنية والعادات الجرمانية . وأصبحت لغة إنجلترا تغلب عليها اللغة التيوتونية ، واختفت منها الشرائع والنظم اليونانية ، وحلت العشائر محل الهيئات البلدية ، ولكن عنصراً كلتياً ظل باقياً في دم الإنجليز ، وملامحهم ، وأدبهم ، وفنهم ، وأما اللغة الإنجليزية فلم يبق فيها من هذا العنصر الكلتي إلا القليل الذي لا يكاد يذكر وأمست اللغة الإنجليزية في تلك الأيام مزيجاً من اللغات الألمانية والفرنسية واللاتينية . كان الكلتيون والبريتونيون السكان الأصليون لبريطانيا من العرق اللاتيني ويتكلمون اللغة البريطانية وكانوا يعتنقون الديانة المسيحية , أما الأنجلو- سكسون فهم قبائل من العرق الجرماني (آريين) (توتون) ويعتنقون الوثنية لكنهم اعتنقوا المسيحية في القرن السابع ميلادي .

يتميز سكان أوروبا بشكل عام بالعرق الأبيض وينقسم هذا العرق إلى ثلاث فئات وهم الآريون (الجرمان) (توتون) وهم سكان شمال أوروبا والشمال الغربي , واللاتين سكان جنوب أوروبا والجنوب الغربي , والألبيون سكان شرق أوروبا . ولكل فئة من هذا العرق مزايا خاصة , فالعرق الآري يمتاز بأنه دموي وشرس ومتمرس في القتال ومنظم ويكره كل الأعراق الأخرى فهو سيد الأرض وعلى باقي البشر أن تكون خدماً له , أما اللاتينيون فيمتازون بالثقافة العالية ويعشقون الفنون والآداب , بينما يمتاز الألبيون بالطيبة والقوة وعزة النفس .

يتحدث المؤرخ البريطاني ننيوس / 796 / م عن اثنتي عشرة معركة حارب فيها الملك آرثر كانت آخرها عند جبل بادون بالقرب من باث . ويذكر المؤرخ جفري المنموثي / 1100 / م كيف خلف الملك آرثر والده أثر بندراجون على عرش بريطانيا وكيف قاوم الغزاة السكسون وأعاد إيرلندة ، وأيسلندا والنرويج وغالة وحاصر باريس عام / 505 / م وطرد الرومان منها ، وقمع فتنة أوقد نارها مدرد ابن أخيه كلفته كثيراً من الخسائر في الأنفس ، فقتله في واقعة ونشستر التي جرح فيها جرحاً بليغاً مميتاً ، مات من أثره عام / 544 / م ويحدثنا كاتب آخر يدعى وليم من أهل ملمزبري /1090- 1143/ م فيقول : (ولما مات فرتمر أخو فرتجيرن ، اضمحلت قوة البريطانيين ، فقام أمبروزيوس الذي بقى وحده من الرومان من صد تيار البرابرة المتغطرسين بفضل ما قدمه له الملك آرثر صاحب البأس الشديد من معونة صادقة ولولا هذا لهلك البريطانيون عن بكرة أبيهم . لقد قضى آرثر زمناً طويلاً يدعم كيان الدولة المنهارة ، ويثير روح مواطنيه المحطمة ويحرضهم على القتال . رغم كل هذه التضحيات الجسام إلا أن النهاية كانت لصالح الأنجلو- سكسون الذين احتلوا البلاد ورتبوها كما يحلو لهم حيث انتزعوا اللغة البريطانية من أهلها وأحلوا محلها لغتهم الإنجليزية , وفرضوا طقوسهم الوثنية إلا أنهم اعتنقوا المسيحية بعد قرنين من الزمن) .

منذ منتصف القرن الخامس الميلادي أخذت القبائل الجرمانية الشمالية الأنجلو والسكسون والجوت تَغير من شمال أوربا على بريطانيا إلى أن تمكنت من الاستيلاء عليها بشكل كامل في مطلع القرن السابع الميلادي .

في البدء شكل الأنجلو- سكسون في بريطانيا سبع ممالك صغيرة هي : كنت في الزاوية الجنوبية الشرقية من بريطانيا وقد أسستها قبائل الجوت , وسَسِكس ووسُسِكس وإسكس في الجنوب والجنوب الشرقي وقد أسستها قبائل السكسون , وآنغليا أو إنكلترا الشرقية في الشرق ونورثومبريا في الشمال وميرسيا في الوسط والغرب وهذه الممالك الثلاث الأخيرة أسستها قبائل الأنجلو، وقد عرفت بريطانيا في ذلك العصر باسم بلاد الممالك السبع وفي القرن السابع الميلادي أخذت تظهر في تلك الممالك أفكار الدعوة إلى المسيحية ، ويعد تودور الطرسوسي رئيس أساقفة كنتربري أول من أوجد النظام الأسقفي الذي أصبح الأساس لقيام دولة موحدة في إطار ما عرف بالقومية الإنكليزية وقد نشأ نوع من الصراع المتأجج ما بين تلك الإمارات على

مدى قرن ونصف القرن استطاعت مملكة أوسكس في النهاية أن تخضع الممالك الأخرى لسلطتها ووحدتها في مملكة واحدة برئاسة ملكها إغْبِرت / 839 / م . ومنذ ذلك الوقت صارت بريطانيا كلها تعرف باسم إنكلترا .

ساعد على توحيد بريطانيا في مملكة واحدة عوامل داخلية وأخرى خارجية أما العوامل الداخلية فهي أن كبار الإقطاعيين عملوا على ضم الممالك البريطانية الصغيرة في مملكة واحدة بغية تشكيل جهاز إداري وعسكري قوي باستطاعته إخماد تمردات صغار الفلاحين أما العوامل الخارجية فإنها تمثلت في غارات النورمانديين على تلك الممالك بين الحين والآخر الأمر الذي دفع تلك الممالك إلى الاتحاد في مملكة واحدة بغية توحيد الجهود للدفاع عن البلاد ضد أولئك الغزاة الجدد . والنورمانديون تعني الشماليين أو سكان الشمال ، ويطلق عليهم أيضاً الفايكينغ أي سكان الخلجان وهم يتشكلون من ثلاثة فروع : وهم الدانيون أو الدنماركيون والنروجيون والسويديون ، وكانوا يقطنون في البلاد الاسكندنافية , وبدأت غزواتهم منذ القرن الثامن ميلادي وانتهت في القرن الحادي عشر ميلادي .

شرع النورمانديون يغيرون على أوربا الغربية منذ أواخر القرن الثامن الميلادي ، ونجحوا في غاراتهم بسبب تفتت أوربا الغربية إلى ممالك وإمارات إقطاعية تتصارع فيما بينها من جهة ، ونتيجة لشهرتهم في الملاحة وكثرة السفن السريعة لديهم ، إضافة إلى مهارتهم في القتال وتطور سلاحهم من جهة أخرى وصل النروجيون بغاراتهم إلى إنكلترا وإيرلندا واسكتلندا وإيسلندا وغرينلندا ، في حين وصل الدنماركيون إلى ألمانيا وإنكلترا وفرنسا وإسبانيا وإيطاليا ، أما السويديون فإنهم وصلوا إلى البحر الأسود وبحر قزوين .

شنّ الدنماركيون غارات عديدة على إنكلترا على مدى قرن من الزمن ، وفي سنة / 866 / م سيطروا على نورثومبريا وميرسيا وآنغليا الشرقية . وعندما وصل الملك ألفريد إلى حكم وسكس / 871- 899 / م قام بالدفاع عن الجزر البريطانية على الرغم من صغر سنه إذ تصدى للغزاة في معارك عديدة لم يكن النصر فيها حاسماً لأي منهما ، وفي عام / 872 / م عقد ألفريد صلحاً مؤقتاً مع الدنماركيين ليتفرغ لتنظيم جيشه وبناء أسطوله ، ولما نشبت الحرب بينهما مرة أخرى عام / 878 / م أنزل ألفريد بالدنماركيين هزيمة ساحقة عند أدنغتن ، ونتج

من تلك المعركة أن أبرمت معاهدة بين الطرفين تقضي بسحب جميع قوات الدنماركيين من مملكة وسكس واعتناق زعيمهم غُثرَم الديانة المسيحية إلى جانب تعهده بعدم مهاجمة أملاك ألفريد بعد ذلك , لكن الدنماركيين لم يلتزموا بتلك المعاهدة وهاجموا مجدداً مملكة وسكس عام / 892 / م بعد وصول مجموعة كبيرة من بلادهم بهدف الحصول على مستقر لهم في الجزر البريطانية ، لكن ألفريد نجح في حصارهم حتى اضطرهم إلى الرحيل ونعم بالهدوء في مملكته حتى وفاته عام / 899 / م

اهتم ألفريد بالعمل على نشر الديانة المسيحية ، كما اهتم بالتعليم ، فأسس المدارس التي من أهمها مدرسة القصر التي استقدم إليها العلماء من جميع أنحاء أوربا . وشجع على حركة ترجمة الكتب اللاتينية الشائعة في عصره وعلى رأسها كتاب التاريخ الكنسي للأمة الإنكليزية للمؤرخ بيد , وكتاب (التاريخ) للمؤرخ أوروسيوس وكتاب (سلوى الفلاسفة) للفيلسوف بوثيوس . إلى جانب ذلك اهتم ألفريد بتاريخ إنكلترا واعتنى بالإدارة المدنية وأعاد سلطة القانون ، وأقام كثيراً من الكنائس والأديرة بعد أن خرب ما كان موجوداً منها بسبب هجمات الدنماركيين .

وفي عهد خلفاء الملك ألفريد عاد الدنماركيون إلى احتلال إنكلترا في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي وشكلوا الإمبراطورية الدنماركية بزعامة سفيند الأول ملك الدنمارك بين عامي / 1014- 1042 / م . وفي عهد أبناء سفيند الذين لم يكونوا بكفاءة أبيهم تشكل ما يعرف بالدوقيات الأربع الكبرى وهي (وسكس – أنغليا – مرسيا – نورثومبريا) فضلاً عن باقي الإمارات ، وظهر الدوق غودوين صاحب وسكس أقوى الأمراء في تلك المقاطعات ، وهو الذي أعاد الأسرة الأنجلوسكسونية إلى عرش إنكلترا من خلال دوره في إعادة زوج ابنته إدوارد / 1066 / م من أثلرد من سلالة ألفريد ملكاً على إنكلترا. ثم ما لبثت إنكلترا أن خضعت للحكم النورماندي وأسرة البلانتاغنت بوصول وليم الفاتح إلى الحكم عام / 1066 / م . وفي الفترة الواقعة ما بين عهد وليم الفاتح وعهد أدوارد الثالث عام / 1377 / م حكم إنكلترا تسعة ملوك وشهدت البلاد في عهودهم أحداثاً مهمة كأعمال التمرد والعصيان التي كان يقوم بها الأهالي ضد العناصر النورماندية ، والحروب التي شاركت فيها إنكلترا فيما يعرف بالحروب الصليبية تجاه المشرق العربي ، ومن جهة أخرى قطعت إنكلترا شوطاً كبيراً في مجال الإصلاحات الاجتماعية والثقافية وتطوير الأنظمة والقوانين مما أسهم في خروج المجتمع الإنكليزي من

العصور المظلمة لأنهم قدسوا العلوم النظرية والتجريبية التي استمدتها من الحضارة الإسلامية , فقد تحدث المؤرخ البريطاني جون دوانبورت في كتابه (العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى) عن الرسالتين اللتين تبادلها كل من جورج الثاني ملك إنكلترا والخليفة هشام الثالث أمير الأندلس في الربع الثاني من القرن الحادي عشر الهدف منهما هو إرسال وفد من إنكلترا لأخذ العلم في جامعة قرطبة , والرسالتان هما كما يلي :

الرسالة الأولى :

من جورج الثاني ملك إنجلترا والغال والسويد والنروج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام :

بعد التعظيم والتوقير

فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الضافي ، معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أربعة أركانها .

وقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة ديوبانت على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم وفي حماية الحاشية الكريمة والحدب من قبل اللواتي سيقمن على تعليمهن وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل .

أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص

من خادمكم المطيع جورج. م . آ .

الرسالة الثانية الجوابية :

بِسْم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين ، وبعد :

إلى ملك إنجلترا وإيكوسيا وإسكندنافيا الأجل ..

اطلعت على التماسكم ، فوافقت على طلبكم ، بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن , وعليه فإننا نعلمكم بأنه سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على

مودتنا لشخصكم الملكي أما هديتكم ، فقد تلقيتها بسرور زائد ، وبالمقابل أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية ، وهي من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على التفاتتنا ومحبتنا والسلام .

خليفة رسول الله في بلاد الأندلس

هشام

خلف إدوارد الثاني ابنه إدوارد الثالث ملكاً على إنكلترا ، وفي عهده اندلعت حرب المئة عام / 1337- 1453 / م بين إنكلترا وفرنسا ، وترجع أسباب تلك الحرب إلى أن ملوك إنكلترا النورمانديين احتفظوا بأملاكهم في غربي فرنسا ، ورأى الفرنسيون أن تلك الممتلكات كانت تحول دون وصولهم إلى المحيط الأطلسي ، إضافة إلى التنافس الاقتصادي بين الدولتين وتعارض مصالحهما السياسية في القارة الأوربية .

وفي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي اجتاح أوربا مرض الطاعون ، فعانت إنكلترا وتعرضت لأزمة اقتصادية حادة بعد أن قلّت الأقوات ونقصت الأيدي العاملة وارتفعت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً . وفي عهد إدوارد الثالث أيضاً ساءت العلاقة بين إنكلترا والبابوية بسبب مساندة البابا لفرنسا في حرب المئة عام ، لذلك رفض البرلمان الإنكليزي حق تعيين البابا لكبار رجال الدين في إنكلترا ، ومنع دفع الأموال التي كانت مقررة للبابوية , وظهرت في إنكلترا حركة دينية إصلاحية قادها جون ويكليف / 1324 / م الذي نادى بحق الدولة في مصادرة ممتلكات الفاسدين من رجال الدين ، كما نادى بعدم التقيد بالبابوية وبأن الإنجيل هو الدستور الوحيد الذي يجب أن يهتدي المسيحيون بهديه .

في عام / 1485 / م تسلمت أسرة التيودور الحكم , حيث وصل هنري السابع إلى العرش , ومنذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا لا تزال تلك الأسرة وأقرباؤها مثل أسرة ستيوارت وهانوفر تتناوب السلطة في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأمريكية , وسبب انتقال السلطة من أسرة تيودور إلى قريبتها أسرة ستيوارت هو وفاة الملكة إليزابيث الأولى – الملكة العذراء – التي لم تترك وراءها وريثاً عام / 1603 / م فانتقل الحكم إلى جيمس السادس ملك اسكتلندا ابن الملكة ماري ملكة اسكتلندا الذي أصبح جيمس الأول ملك إنجلترا وبالتالي أول ملك لبريطانيا

العظمى , إن السبب الأساسي في تأسيس بريطانيا العظمى ناتج عن القرابة بين حكام تلك الدول .

أصبحت فيكتوريا التي حكمت بريطانيا لأطول فترة زمنية ملكة على بريطانيا عام / 1837 / م وهي في سن الثامنة عشر , وخلال عهدها قامت بتغيير مجموعة من القوانين التي أدت إلى إصدار دستور الشعب وطالبت بستة بنود من أبرزها حق الاقتراع العام والانتخابات النيابية , وعلى الرغم من الرفض المستمر من مجلس النواب للدستور إلا أن خمسة من الطلبات الستة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من التشريعات البريطانية الحالية .

كانت مملكة إنجلترا – بما فيها ويلز – مستقلة منذ عام / 1707 / م عندما بدأت قوانين الاتحاد بتنفيذ الشروط المتفق عليها بمعاهدة الاتحاد مع مملكة إسكتلندا التي أبرمت قبل عام فأدى ذلك إلى اتحاد سياسي باسم مملكة بريطانيا العظمى . وفي عام / 1800 / م اتحدت بريطانيا العظمى مع مملكة أيرلندا عن طريق قانون اتحاد آخر، فنتج عنها المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا . وفي عام / 1922 / م انفصلت عنها ايرلندا مكونة دولة ايرلندا الحرة وهي ذات سيادة منفصلة ، غير أن القانون الملكي والبرلماني البريطاني لعام / 1927 / م انتزع ست مقاطعات إيرلندية من جسم المملكة زوراً وبهتاناً ، فتأسست المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى , حيث تتكون المملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وهي (إنجلترا واسكتلندا وويلز) وايرلندا الشمالية . ووفقاً لقاموس أوكسفورد الإنجليزي ، فقد أطلقت كلمة إنجلترا على الجزء الجنوبي من جزيرة بريطانيا لأن الأنجلو- سكسون عندما احتلوا هذا الجزء من البلاد أطلقوا عليه هذا الاسم مباشرة .

كانت فترة حكم أسرة تيودور حافلة بالأحداث ، فخلال هذا العهد ظهرت ملامح النهضة العلمية والأدبية في إنجلترا على يد عدد من رجال الحاشية الإيطالية ، الذين استقدمتهم أسرة التيودور ، فقاموا ببعث الأنظمة الفنية والتربوية والمدرسية ، التي كانت سائدة في العصور الكلاسيكية القديمة , وبدأت إنجلترا في ذاك الوقت تطور مهاراتها البحرية ، بعدما تعرفت على الحضارة الإسلامية ومنتجاتها فتعرفت على جهاز المزولة لقياس الزوايا العمودية والأفقية وغيرها

من الأدوات والآلات . كما أثارت سيطرت الدولة العثمانية على البحر الأبيض المتوسط غضب الإنكليز فقد أغلقت عليها دروب التجارة البحرية مع الشرق

انفصل هنري الثامن عن الكنيسة الكاثوليكية ونصب نفسه رئيساً على الكنيسة الإنكليزية عام / 1534 / م ومنذ ذلك العهد أصبحت الكنيسة الإنكليزية (الإنجليكية) (الأنغليكانية) تابعة للملك بشكل مباشر وليس للبابا , وخلافاً للكثير من الانقلابات البروتستانتية الأوروبية الأخرى إلا أن انفصال الكنيسة الإنكليزية (الإنجيلية) عن روما ليس لأسباب لاهوتية بل لأسباب سياسية الهدف منه استقلالها وابتعادها عن أوامر البابا , فقد تعود أسياد العالم (الآريين) إعطاء الأوامر للآخرين وليس العكس .

ضمت أسرة تيودور مقاطعة ويلز إلى مملكتها . وبعد وفاة هنري الثامن حدثت صراعات داخلية دينية خلال عهدي بنات هنري الثامن : آن ماري ابنة زوجته الإسبانية وإليزابيث ابنة زوجته الإنكليزية ، حيث حاولت الأولى إعادة البلاد مرة أخرى إلى حضن الكاثوليكية في حين أكدت الأخيرة على انفصال الكنيسة وبقوة شديدة مؤكدة تفوق الكنيسة الإنجيلية على باقي الكنائس وأنها أرقى الكنائس .

في عام / 1588 / م أي في عهد الملكة الإليزابيت هزم الأسطول الإنجليزي تحت قيادة فرانسيس دريك أسطول الأرمادا الإسباني فأضحت إنجلترا سيدة البحار بلا منازع ، وشرعت تتنافس مع إسبانيا على زعامة العالم الجديد ، وكان من نتيجة ذلك أن تأسست أول مستعمرة إنجليزية في الأمريكيتين على يد المستكشف والتر رالي وأُطلق عليها اسم فيرجينيا تيمناً بالملكة إليزابيث ، المعروفة باسم (الملكة العذراء) . كما نافست إنجلترا أيضاً الهولنديين والفرنسيين في آسيا الشرقية عبر شركة الهند الشرقية . وفي عام / 1707 / م تم اتحاد مملكتي إنكلترا واسكتلندا, وبالتالي حمت بريطانيا حدودها البرية من خلال هذا الاتحاد , ومن أجل استيعاب الوحدة ظلت بعض المؤسسات المهمة مثل المؤسسة القانونية والكنيسة الوطنية لكل من الدولتين منفصلتين عن بعضهما البعض .

في ظل مملكة بريطانيا العظمى ساهم المردود المالي للجمعية الملكية وغيرها من المبادرات الإنجليزية بالإضافة إلى المتنورين الاسكتلنديين في ابتكار الكثير من الاختراعات العلمية

والهندسية التي ساعدت على إنشاء الإمبراطورية البريطانية والتي أصبحت إحدى أكبر الإمبراطوريات في التاريخ . وفي ظل هذه المملكة أيضاً قامت الثورة الصناعية وهي فترة اتسمت بتغيرات عميقة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لإنجلترا أدت إلى تطور في علوم الزراعة والصناعة والهندسة والتعدين فضلاً عن ظهور السكك الحديدية الجديدة والرائدة وشبكات المياه لتسهيل توسيعها وتطويرها وافتتحت قناة بريدجووتر في شمال غرب إنجلترا عام / 1761 / م مما شكل بداية عصر القنوات في بريطانيا .

في عام / 1825 / م شيّدت أول سكة حديدية للقاطرات البخارية من أجل نقل الركاب والأمتعة والجنود وهي سكة حديد ستوكتون ودارلينجتون ، وانتقل خلال الثورة الصناعية العديد من العمال من الريف إلى المناطق الحضرية الجديدة والتوسعية للعمل في المصانع ومن أبرزها مانشستر وبرمنغهام اللتان لقبتا (مدينة المستودعات وورشة عمل العالم) . حافظت إنجلترا على استقرارها الداخلي بصورة نسبية طيلة عهد الثورة الفرنسية , وفي تلك المرحلة تولى وليام بت الأصغر رئاسة الوزراء واعتلى الملك جورج الثالث عرش البلاد , وأثناء الحروب النابليونية خطط نابليون بونابرت لغزو بريطانيا من الجنوب الشرقي لكن خطته فشلت وهُزِمت القوات الفرنسية على يد البريطانيين في معركتين إحداها بحرية بقيادة اللورد نيلسون , والثانية برية على يد دوق ويلينجتون وعززت الحروب النابليونية مفهوم البريطانية والوطنية الموحدة في نفوس الشعب من إنجليز واسكتلنديين وويليزيين على حد سواء . كما أصبحت لندن أكبر منطقة حضرية وأكثرها اكتظاظاً بالسكان في العالم خلال العصر الفيكتوري وصارت التجارة والصناعة تقريباً حكراً على الإمبراطورية البريطانية وعلا شأن الجيش البريطاني والبحرية .

شهدت بريطانيا منذ أوائل القرن العشرين تقدماً في مجال العلوم والتكنولوجيا فقد تم اختراع التلفزيون من قبل شركة (إي إم آي) ماركوني وأسست شركة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) وتم اكتشاف البنسلين من قبل ألكساندر فلمنج واكتشاف تركيب الذرة الذي أدى إلى تطوير الأسلحة والطاقة النووية وهي أول من اخترع الدبابة والرادار والبندقية وحاملة الطائرات والقصف الجوي ناهيك عن ابتكار تقنية شطر الذرة أثناء الحرب العالمية الثانية . كانت إنجلترا مهد الثورة الصناعية التي انطلقت في القرن الثامن عشر وحولت البلاد إلى أول أمة صناعية في العالم ووضعت الجمعية الملكية أسس العلوم التجريبية الحديثة , وأخذ تأثيرها الثقافي والقانوني يمتد

وينتشر شيئاً فشيئاً عبر العالم بأكمله . حيث نشأت فيها اللغة الإنجليزية والكنيسة الأنجليكانية والقانون الإنجليزي وهو أساس النظام التشريعي للقانون العام في عديد من الدول حول العالم ، كما أن نظامها البرلماني والحكومي مقبول به على نطاق واسع من الدول الأخرى .

ومنذ بداية القرن العشرين ازدادت حركة الهجرة إلى إنجلترا وكان معظم المهاجرين قادمين من مناطق أخرى من الجزر البريطانية ومن دول الكومنولث أيضاً وخصوصاً من شبه القارة الهندية . ومنذ عام / 1970 / م أخذت البلاد تتجه تدريجياً بعيداً عن التصنيع وتركز أكثر على الاهتمام بقطاع الخدمات . انضمت المملكة المتحدة إلى مبادرة السوق المشتركة والتي سميت السوق الأوروبية المشتركة التي تحولت بدورها إلى الاتحاد الأوروبي . لا تزال إنجلترا وويلز موجودة ككيان قانوني داخل المملكة المتحدة، كما زاد التركيز على هوية إنجليزية محددة أكثر وطنية .

لقد كانت بريطانيا أول الدول الأوربية التي ظهرت فيها الاختراعات مما أدى إلى توفير رؤوس الأموال والعناية بها ، إلا أن الثورة الصناعية في بريطانيا لم تلعب دوراً حاسماً في الحياة اليومية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبالتحديد في حدود سنة /1780/ م لكن التحولات التقنية الكثيرة المرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً كانت خلال هذا التاريخ ، وبدأت بريطانيا تقدم للعالم الدليل على أن نوعاً جديداً من النمو الاقتصادي المحول والمتسارع ذاتياً قد أصبح منذ الآن في متناول بعض الأمم المتطورة جداً وأن الصناعات النسيجية وبخاصة معامل صناعة القطن تشهد ثورة في التطور وتحسين نوعية الإنتاج وحجمه ويمكن أن نحدد الأسباب التي أدت إلى تفوق بريطانيا عن غيرها من دول أوربا في الثورة الصناعية بالشكل الآتي :

1- استقرار الحالة السياسية : أدت ثورات وحركات القرن السابع عشر في بريطانيا وخصوصاً بعد ثورة عام / 1688 / م إلى استقلال الملكية والبرلمان والكنيسة مما أدى إلى ابتعاد بريطانيا عن التقلبات والهزات السياسية وفتحت التطورات الدستورية في بريطانيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الباب واسعاً أمام طموحات البرجوازية البريطانية في تسيير شؤون السلطة خصوصاً بعد توحيد الجزر البريطانية الذي هو في الواقع لا يمثل مجرد توحيد سياسي بل توحيد للسوق الاقتصادية البريطانية أيضاً . كما ساعد الموقع الجغرافي للجزر

البريطانية في الابتعاد عن ويلات الحرب التي عاشتها أوروبا خلال القرن السابع عشر حتى قيام الثورة الفرنسية وظهور نابليون . فلم تجر على الأرض البريطانية أية حروب أو معارك كالتي شهدتها أوروبا وإن شاركت في تلك الحروب إلا أنها خاضتها خارج أراضيها إما في البحر أو على الأراضي الأوربية وذلك عن طريق المساهمة في إرسال الوحدات العسكرية لدعم الجيوش النمساوية والروسية والبروسية والعثمانية وغيرها . وهكذا استقرت الأحوال في الجزر البريطانية مما ساعد البريطانيين على الاهتمام بالجوانب الاقتصادية والصناعية والتوجه للاستفادة من المخترعات في التطور الصناعي والزراعي بينما كانت أوروبا تعاني من الحروب .

2- الحركة التجارية ونمو الرأسمالية البريطانية : انعكس استقرار الحالة السياسية في بريطانيا على الحركة التجارية فيها بشكل ايجابي ومؤثر ونقصد (التجارة الخارجية) التي أولتها الحكومة البريطانية عناية فائقة منذ القرن السادس عشر لأنها تدر ثروات كبيرة من المعادن الثمينة كالذهب والفضة لأن الموارد الوفيرة والقدرة الضريبية المرتفعة تساعدان الدولة على إمداد جيوشها البرية والبحرية وبالتالي حماية تجارتها أو الحصول على المستعمرات . لقد شجعت الحكومة البريطانية التجارة مع القارات والبلدان البعيدة التي تشكل مورداً للمعادن الثمينة ولتسهيل ذلك قامت ببناء الأساطيل البحرية التجارية وأصدرت مجموعة من القوانين منعت بموجبها جلب البضائع الأجنبية إلى بريطانيا على سفن غير بريطانية ، وهذا يعني أن على من يمارس التجارة الخارجية أن يمتلك سفناً تجارية بريطانية مما يؤدي إلى التقليل من أهمية السفن التجارية للدول الأوربية الأخرى ومنافستها في هذا الميدان . لقد كان التجار يقومون بتجهيز بريطانيا بالمواد الأولية وتوفير الأسواق وقد لعبوا دوراً رئيسياً في بدايات الثورة الفرنسية .

3- قيام حركة الاستكشافات : إن الاختراعات التقنية هي الرافد الأساسي للثورة الصناعية , والمقصود بها ابتكار مجموعة من الآلات ووسائل الإنتاج لكي تحل محل الأدوات والوسائل القديمة . وكانت أول الدول التي شهدت هذه الظاهرة هي بريطانيا حيث انتبهت الحكومة والبرجوازية فيها إلى الفوائد المرتقبة من الاختراعات فأصدرت قانون براءة الاختراع الذي يحفظ للمخترع حق استعمال اختراعه واستغلاله لصالحه والاستفادة منه شخصياً لمدة أربعة عشر عاماً . وفي الواقع فإن معظم المخترعين كانوا غير قادرين على الانتقال بمخترعاتهم من ميدان البحث

والتجريب إلى مجال التطبيق ، لأن الأمر لا يتطلب الخبرة فقط بل يتطلب أيضاً رؤوس أموال كانت تمتلكها البرجوازية التي أصبحت بفعل التطورات السياسية والإصلاحات الدستورية تمتلك السلطة إضافة إلى امتلاكها المال وقد أدت عملية التفاعل بين الاختراع ورأس المال إلى قيام الثورة الصناعية يساعدها في ذلك استقرار الحالة السياسية .

4- توفر اليد العاملة الرخيصة : لقد أدى انتقال المخترعات في بريطانيا في النصف الثاني من القرن الثامن من مجال البحث إلى حيز الإنتاج الاقتصادي إلى نشوء المعمل وظهر الحاجة لليد العاملة التي كانت مرتبطة بالزراعة والريف . وقد كانت بريطانيا من الدول التي شهدت زيادة في السكان وصلت إلى خمسة ملايين نسمة وارتفعت في أواخر القرن الثامن عشر إلى تسعة ملايين وتعودُ هذه الزيادة إلى التحسن مع أنه كان بطيئاً , وتضيف بعض المصادر إلى أن تنشيط التصنيع كان له الأثر في زيادة السكان . ومهما تكن أسباب تكاثر السكان في أوروبا خلال هذه الفترة ، فإن الأهم منها هي الأهمية الاقتصادية لهذه الظاهرة ذلك إن زيادة السكان قد عبر عنه باستهلاك متزايد للسلع الغذائية والمواد الأولية مما ساعد على تقدم كبير في التقنيات الزراعية وقد حدث هذا بشكل خاص في بريطانيا .

5- وفرة مصادر الطاقة وتطورها : كان الخشب قاعدة للنشاط الحرفي في أوروبا سواء كمادة خام تصنع منها مختلف الأدوات الحرفية أو كمصدر للطاقة بشكل فحم خشبي وبهذا أصبحت الغاية هي الحصول على الطاقة , لكن الإقبال على استغلال الغابات قد قلص من مساحتها بشكل كبير جداً . وقد ظهر ذلك واضحاً خلال القرن الثامن عشر حيث لم يعد الخشب كافياً لتغطية الحاجة إلى توفير الطاقة . لذلك اتجهت الجهود إلى استغلال الفحم الحجري الذي كانت أسعاره تتصاعد مما اضطر بريطانيا إلى استيراد كميات كبيرة من الحديد بدلاً من إنتاجه فأصبحت خاضعة لسيادة روسيا والسويد في هذا المجال . إلا أن تطور عمليات استخراج الفحم في بريطانيا قد ساعد على توفير الطاقة المستعملة في التعدين وإنتاج الحديد دون الحاجة لاستيراده .

6- المناخ البريطاني وتطور صناعة النسيج : ارتبطت صناعة النسيج التي هي أقدم الصناعات في بريطانيا بالنشاط الزراعي وبالمناخ البريطاني الذي تتلاءم رطوبته مع هذه

الصناعة ، وعموماً فإن صناعة النسيج الصوفي كانت تطغى في بريطانيا وأوروبا منذ قرون عدة بسبب توفر تلك المادة . إن صناعة الغزل والنسيج كانت من أولى الصناعات التي تطورت من كونها صناعات حرفية إلى صناعات واسعة تعتمد على نظام المعمل ، كما ترتبط مسألة وجود صناعة الغزل والنسيج وجودتها في بريطانيا بالمناخ حيث يرتبط تطورها بتطور النشاط الزراعي بفعل التقدم التقني وزيادة السكان المستهلكين لتلك المادة إضافة إلى سمعة المستعمرات البريطانية التي شكلت سوقاً رابحة للنسيج البريطاني نافس في جودته المنسوجات النسيجية الأوربية الأخرى .

ما كاد وليم الرابع يستقر على عرش إنجلترا حتى أعلن عام / 183/ م عن لائحة من الإصلاحات الدستورية , إلا أن وزارة المحافظين وعلى رأسها دوق ولنجتون أعلنوا عن رغبتها في عدم إجراء أي إصلاح , فأقالها الملك وأتى بوزارة أخرى تحت رئاسة اللورد جراي وقامت بالمشروع الإصلاحي على يد اللورد جون رسل في مارس /1831/ م ، لكن هذا المشروع لم يلق الموافقة من مجلس العموم فعرض الملك مشروع الإصلاح على الشعب , فآزره ، لذا انعقد مجلس العموم ووافق على المشروع لكن المشروع واجه عقبة أخرى حيث إن مجلس اللوردات قرر رفض المشروع عام / 1832 / م , لكن مجلس اللوردات ظل يكيد للمشروع , مما حدا باللورد جراي أن يعمل على خلق أشراف جدد من الأحرار حتى يحظى المشروع بموافقة اللوردات لكن هذا لم يرق في عين الملك فاستقال اللورد جراي , لكن الملك أجبره على البقاء وتشكيل حكومة جديدة ، فانزعج اللوردات وانصاعوا لمشروع الملك ونصائحه ، فوافق المجلس النيابي الجديد على المشروع بعد أن انسحب دوق ولنجتون ومئة من أنصاره وأصبح هذا المشروع قانوناً بعد أن صادق الملك عليه ، وهو المعروف في تاريخ الإصلاح النيابي في إنجلترا بقانون إصلاح / 1832 / م لقد تناول هذا القانون إصلاح الكثير من العيوب التي كانت سائدة في الفترة السابقة ومنها :

1- إلغاء معاهدة لندن البالية المتعلقة بتمثيل المدن والتي كان عددها ستاً وخمسين مدينة وكانت ممثلة بمئة وأحد عشر مقعداً في مجلس العموم , ونقص ستة وثلاثون عضواً من المدن التي انحطت مكانتها ، وقل عدد سكانها وبذلك توفر لدى الحكومة مئة وثلاثة وأربعون مقعداً .

2- وزعت المقاعد المتوفرة على الأقاليم والمدن الجديدة التي لم يكن لها ممثلون في مجلس العموم من قبل .

3- جعل التصويت في المدن من حق من يملك بيتاً آجاره السنوي عشرة جنيهات أو لمن يدفع إيجاراً يعادل هذا القدر . أما في الأقاليم فقد أصبح التصويت حقاً لكل الملاك والمزارعين والمؤجرين مع تفاوت في مقدار القيمة المالية لكل فئة .

4- ازدادت الأهمية السياسية للطبقة الوسطى وأصبحت المحور الذي تتقرب إليه جميع الأحزاب السياسية الراغبة في الحكم والسيطرة وبذلك استطاعت الطبقة الوسطى أن تشارك في حكم البلاد دون تمييز ديني أو مذهبي .

من خلال ما تقدم نجد أن الملك والملكة عندهم الأمر والنهي , وعلى البرلمان والمجالس واللوردات أن ينفذوا ما أمر به الملك وألا يقيلهم متى يشاء , ومن زاوية أخرى نجد أن الملك لم يكن دكتاتورياً بالمعنى الصحيح لهذا المصطلح , فالدكتاتورية في قاموس المصطلحات الفلسفية هي ((الحاكم الذي يصدر قراراته دون الرجوع إلى مجلس شورى شريطة أن تكون هذه القرارات ضد مصالح الرعية وضد حقوق الإنسان)) , لكننا نجد أن الملك وليم الرابع قام بالإصلاحات من أجل أبناء شعبه ليحافظ على استقرار البلاد , بينما البرلمانيون كانوا يبحثون عن مصالحهم الضيقة , وهذا يدل على أن الحكم الملكي ليس سيئاً إذا كان الملك يعمل لتحقيق مصالح شعبه بل على العكس , فهو يوفر الاستقرار .

كشفت دراسة بريطانية جديدة عن تاريخ بريطانيا العسكري والجيوسياسي في العالم عن احتلال القوات البريطانية لأكثر من / 90% / من بلدان العالم، باستثناء اثنين وعشرين دولة لم تتعرض للاحتلال البريطاني . وقام المؤرخ البريطاني ستيوارت ليكوك بدراسة تاريخ كل دولة حسب الترتيب الأبجدي من أجل معرفة جميع الدول التي احتلتها بريطانيا ، حيث استنتج أن نسبة صغيرة من المجموع الكلي للدول لم تقع تحت احتلال بريطانيا سابقاً وجاءت فكرة البحث التاريخية للمؤرخ من خلال سؤاله لابنه عن عدد البلدان التي احتلتها بريطانيا , وبعد ما يقرب العامين ذكر ليكوك أنه صُدم من النتيجة التي توصل إليها .

وشهدت فرنسا أشد وأعنف حملات الاحتلال البريطاني عبر التاريخ ، كما أوضح ليكوك أن الرقم الفعلي المسجل لعدد الدول التي تعرضت للاحتلال البريطاني قد يكون أعلى في التاريخ . وضرب مثالاً على ذلك حيث قال : تعد منغوليا واحدة من بين الاثنتين وعشرين دولة التي لم تحتلها بريطانيا ، لكن هذا الاحتمال يبقى ضعيفاً وغير دقيق تاريخياً

أما الدول التي عجزت بريطانيا عن احتلالها فهي : أندورا – روسيا البيضاء – بوليفيا – بوروندي – جمهورية أفريقيا الوسطى – تشاد – جمهورية الكونغو – غواتيمالا – ساحل العاج – قيرغيزستان – ليختنشتاين – لوكسمبورغ – مالي – جزر مارشال – موناكو – منغوليا – باراغواي – ساو تومي وبرينسيبي – السويد – طاجيكستان – أوزبكستان – دولة الفاتيكان .

أكثر دولة في التاريخ خاضت حروباً وانتصرت فيها هي بريطانيا , فمنذ الحملات الصليبية ظهرت الموهبة الأنجلوسكسونية في الانتصار بأقل قدر من الخسائر وأعظم قدر من المكاسب , باستثناء بضع الغارات الجوية أثناء الحرب العالمية الثانية لم تكتوِ بريطانيا بويلات الحروب لأنها خاضتها جميعها خارج بحارها الإقليمية . فالبريطانيون أكثر من غيرهم خاضوا حروباً تبعد عن بلادهم آلاف الأميال فقد حاربوا في الهند والصين ومصر وجنوب أفريقيا وكندا وأمام سواحل عدن وزنجبار والأرجنتين، ويتواجدون هذه الأيام في العراق وأفغانستان , وفي المقابل وفر لهم العيش على جزيرة منعزلة حماية من الغزاة كنابليون وهتلر وجعلهم دائماً في موقف من يصدر الحرب لا من يستوردها . ولبريطانيا أرقام قياسية في هذا المجال , فبالإضافة لكونها أكثر أمة دخلت الحروب إلا أنها أول أمة خاضت أطول حرب في التاريخ / 115 / عاماً مع فرنسا وأقصر حرب في التاريخ مع سلطنة زنجبار عام / 1896 / م خلال خمس وعشرين دقيقة فقط , وضمت تحت لوائها شعوباً ومساحات هائلة حتى لقبت بالإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس . فالبريطانيون كان همهم ولا يزال استنزاف الموارد الاقتصادية واستغلال الشعوب المقهورة ، وخلق أسواق ضخمة لصناعاتهم المحلية , أما في الأراضي البكر فاعتمدوا سياسة توطين البيض فخلقوا بذلك امتدادا أنجلو سكسونياً كبيراً في أمريكا وكندا واستراليا ونيوزيلندا !!

والسؤال الأكثر إلحاحاً على الذهن هو كيف نجحت بريطانيا في الظفر بكل تلك الحروب ؟!

إني أرجح نجاح بريطانيا إلى ما تميزت به الشخصية الإنجليزية من حذر وتأنّ ودهاء سياسي , فبريطانيا لا تهاجم أبداً دولة أقوى منها ولا تنساق لفورة المبادئ والعواطف وحروب الثورات . وحين تضطر لمواجهة دولة أقوى منها تعتمد على أسلوب تحاشي اللكمات حتى يضعف العدو وتحين ساعة الانقضاض عليه . وهذا الحذر والتأني والدهاء من طباع الشخصية الانجليزية , وقد ظهروا بأفضل صورة خلال الحربين العالميتين حين بقي البريطانيون في حالة مناورة ودفاع عن النفس حتى حانت ساعة الانقضاض فدكوا المدن الألمانية بأقسى انتقام سجله التاريخ . وقد ساعدتهم هذه الطباع رغم نقص عددهم مقارنة بالشعوب التي استعمروها في السيطرة على المستَعمر من خلال إشعال الفتنة بين المحكومين , ففي الهند مثلاً استطاعت قلة منهم حكم ملايين الهنود بفضل شبكة من المنتفعين وخلق تركيبة اقتصادية تجعل من الصعب الاستغناء عنهم , كما جندوا السكان المحليين للقتال معهم أو نيابة عنهم حيث استخدموا الهنود للقتال في جنوب أفريقيا ، وفي مصر ، والنيباليون في ماليزيا وسكان المستعمرات لحماية الجزر البريطانية خلال الحربين العالميتين .

بقي أن نشير إلى تحلّي البريطانيين بصفة حميدة يصعب على المنصف إنكارها فرغم كثرة معاركهم كانوا يهتمون بسلامة جنودهم وإبقائهم أحياء قدر الإمكان . فقد كان البريطانيون حريصين على حياة جنودهم وسلامتهم ولهذا كان يستوجب عليهم التروي والحذر والتفكير بعمق وتداول أفضل الخيارات قبل الهجوم . ومن هذه النقطة بالذات تبلور أهم مبادئهم العسكرية القائل (بعدم خوض حرب لا يمكن الانتصار بها) الأمر الذي أثبته التاريخ في أكثر من مناسبة .

ولو قمنا بشكل عام بدراسة وافية لما كان يقوم به المستعمر الغربي منذ زمن الإمبراطورية الرومانية إلى يومنا هذا لوجدناه يزداد سوءاً بدل أن يرتقي نحو الأفضل , ولو أخذنا مقتطفات من تاريخه البائس من خلال احتلاله لمناطق الآخرين مثل الاحتلال الروماني لبلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين في القرن الثالث والثاني قبل الميلاد ومن ثم الحملات الصليبية – الفرنجة وهم آريون – على بلاد العرب ومن ثم الاستعمار الغربي على كل من قارتي أمريكا وأفريقيا وأستراليا والاستعمار الغربي بعد الحرب العالمية الأولى على البلاد العربية والاستعمار الحديث على الحضارة الإسلامية لوجدناها على الرغم من عدم شرعيتها فهي بعيدة كل البعد عن الأخلاق

الإنسانية , بل لا تتشابه حتى مع القيم الحيوانية . إن الغرب بعيد كل البعد عن كونه إنساناً رغم كل هذا التقدم والتكنولوجيا التي يمتلكها .

وقائع الشعب اليهودي :

سنحاول في هذه الصفحات القليلة أن نوضح جذور بني إسرائيل ونكشف بعض الجوانب التي أدت إلى تشكيل عقليتهم التي أسست تكوينيهما النفسي والذهني , ولكن كي تتعرف عليهم بإمعان عليك أن تراجع كتابي (وقائع اليهود وديانتهم) . وأحب أن أبيّن مسألة هامة وهي أن مؤلفاتي جميعها تتبع منهجاً علمياً خاصاً يهدف إلى كشف الحقائق لأنه عند معرفة الحقيقة يملك المرء روح العمل على خلاف الوهم والزيف الذي يُبعد صاحبه عن ممارسة ما يجب أن يقوم به , فالوهم والكذب والخداع يفسد الحياة لأنه غير حقيقي لذا نرى أن القانون يعاقب كل من لا يقول الحقيقة لأن صاحبها لا يملك أخلاقاً حميدة فهو فاسد وفاسق فبالبحث عن الحقيقة تزدهر البلاد وتتطور لأنها ستدرك ما يجب أن تقوم به من عمل , عندها تظهر روح الأمة في العمل نتيجة البحث عن الحقيقة .

يعود جذور الشعب اليهودي إلى النبي إبراهيم عن طريق ابنه النبي إسحاق وحفيده النبي يعقوب الذي يدعى إسرائيل ومن نسل يعقوب تشكل الشعب العبراني حيث ولد ليعقوب اثنا عشر سبطاً من أربع زوجات حيث تزوج ابنة خاله ليئة ثم من أختها راحيل وجمع بينهما , كما تزوج زلفة جارية ليئة وبلهة جارية راحيل , وولدوا له اثني عشر غلاماً وهم كالآتي :

الزوجة الأولى : ليئة : رأوبين – شمعون – لاوي – يهوذا – يساكر – زبولون .

الزوجة الثانية : راحيل : يوسف – بنيامين .

الزوجة الثالثة : زلفة : جاد – شير .

الزوجة الرابعة : بلهة : دان – نفتالي .

كان بنو إسرائيل يعيشون حياة البدو الرحل معتمدين على الرعي . أعز الله يوسف وأصبح بمثابة رئيس مجلس الوزراء بمصر في عهد أخناتون . وطلب يوسف من أخناتون أن يسكن العبرانيون في مصر , فوافق واستقروا فيها وعاشوا حياة الرفاهية والبذخ ,لكنهم كعادتهم وهي صفة متجذرة بهم عاشوا بعزلة تامة عن أهل مصر , فقد طلبوا من أخناتون أن يمنحهم أرض

جاسان كما جاء في التوراة , وبنوا فيها خيمهم وبيوتهم وسوروها بسور من الطوب لينعزلوا عن الشعب الأصلي للبلاد .

خرج بنو يعقوب من مصر ليدخلوا الأرض المقدسة بقيادة النبي موسى الذي كان من سلالة سبط لاوي واستقروا في صحراء سيناء وتاهوا فيها أربعين عاماً وتوفي في فترة التيه النبي هارون ثم النبي موسى . تسلم النبي يشوع بن نون قيادة بني يعقوب ودخل بهم أرض كنعان واحتلوا أريحا . لم يكن لدى بني يعقوب مَلك لأن القاضي صاموئيل , قال لهم إن الملك يأخذ أبناءكم وبناتكم ويستعبدكم , لكنهم أصروا على أن يكون لهم ملك أسوة بالشعوب الأخرى فكان شاؤول أول ملك يقود بني يعقوب , ثم أتى من بعده داود عليه السلام وعبر نهر الأردن وقاتل الفلسطينيين وقتل جالوت ودخلوا فلسطين – شاؤول في التوراة هو طالوت في القرآن وجالوت في القرآن هو جليات في التوراة – أي أنهم دخلوا أورشليم على زمن داود الذي أتى بعد موسى عليهما السلام بأكثر من قرنين . توفي داوود فاستلم المُلك من بعده ابنه سليمان , وقد شرح القرآن الكريم تلك الفترة بإسهاب وما حدث بينه وبين ملكة سبأ , ومملكة سبأ كانت قائمة في اليمن آنذاك , وبنى سليمان الهيكل المزعوم ولم يحدد التوراة المكان الذي بني فيه الهيكل لكنه حدد أبعاده الذي لا يتجاوز بضعة عشرات الأمتار المربعة . توفي النبي سليمان وانقسم الملك بين ولده رحبعام وخصمه يربعام . فقد بايع سبط يهوذا وبنيامين رحبعام وشكلوا مملكة يهوذا واتخذوا أورشليم عاصمة لهم , وبايع الأسباط العشرة الباقية يربعام وشكلوا مملكة اسرائيل واتخذوا شكيم عاصمة لهم , وشكيم هي نابلس حالياً واسمها أيضاً السامرة , تم الانقسام في نهاية القرن العاشر قبل الميلاد أو في القرن التاسع حيث لا يوجد تاريخ صريح بتلك الفترة . كان يدور بين المملكتين العبرانيتين صراعات بين الحين والحين , وفي نهاية القرن الثامن قبل الميلاد دخل ملك آشور وهو سرجون الثاني (سنحريب في التوراة) وقضي على مملكة إسرائيل (الأسباط العشر) , وأحرق المملكة بمن فيها , كان هوشع بن أيلة آخر ملك من ملوك مملكة إسرائيل حسب التوراة , وتذكر كتب التاريخ وكذلك أدبياتهم أنه لم يبق من تلك الأسباط العشرة كائن حي إلا من هرب وكان هذا أول شتات لهم .وعندما ضعف العبرانيون بسبب تقسيم ملك سليمان , دخل شيشنق ملك مصر واستعبد مملكة يهوذا وأخذ ثروة سليمان , وشيشنق هو والد زوجة النبي سليمان , حسب رواية التوراة , وفي بداية القرن السادس قبل الميلاد دخل نبوخذنصر (بختنصر)

مملكة يهوذا وأحرقها واحتلها وقتل الكثير منهم وسبى الكثير ولم يترك في المملكة إلا المزارعين الذين يستفاد منهم في الزراعة والخدمة ودمر هيكلهم– حسب زعم توراتهم – وكان صدقيا بن بواقيم آخر ملك من ملوك مملكة يهوذا , وهذا الشتات الثاني لهم . وفي بابل موطن نبوخذنصر استُعبد اليهود وعادت عليهم حياة العبودية التي عاشوها في مصر في عهد الفرعون رمسيس الثاني ومنفتاح , ونجد في أدبيات اليهود أن كل من بقي من العبرانيين بعد السبي هم من سبط يهوذا أي أن نبوخذ نصر قتل جميع أبناء سبط بنيامين ولم يبق من اليهود إلا أبناء سبط يهوذا . فكر حاخامات وكهنة اليهود بكتابة التوراة , أي أن التوراة كتبت بعد وفاة موسى عليه السلام بحوالي ثمانية قرون تقريباً .

ضعف البابليون وانتهت مرحلتهم وبدأت مرحلة الأخمينيين تظهر وتسود , والأخمينيون هم فرس يتبعون الديانة الزرادشتية وهي ديانة توحيدية , وكان ملكهم يدعى قورش واسمه في التوراة كورش , بسط الأخمينيون إمبراطوريتهم فاحتلوا بابل وبلاد كنعان , وفي بابل ساعد قورش اليهود وأعادهم إلى فلسطين لا ليشكلوا دولة بل أعادهم كجموع بشرية خاضعة له , كما ساعدهم في إعادة بناء الهيكل (حسب زعم التوراة) , يقول الباحثون أن الفرس هم من أطلق على بني إسرائيل اسم اليهود وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية , وبرأيي قد يكون هم من أطلق على أنفسهم اسم اليهود لأنه لم يبق حسب زعمهم وحسب أدبياتهم إلا سبط يهوذا , أو ليميزوا اليهودي عن الإسرائيلي , فاليهودي كل شخص اعتنق اليهودية , أما الإسرائيلي فهو فقط من كان من أبناء النبي يعقوب .

ضعف الفرس وجاء دور ظهور الإمبراطورية المقدونية , فساعد اليهود المقدونيين وبسط الاسكندر الأكبر هيمنته على بلاد بابل وبلاد الشام ومصر وأنشأ أعظم إمبراطورية وذلك في القرن الرابع قبل الميلاد حوالي عام / ٣٢٤ / ق . م . بعدما توفي الاسكندر الأكبر تم اقتسام الإمبراطورية بين الآخيين والسلوقيين والبطالسة وغيرهم , فكانت فلسطين من نصيب البطالسة , وبعد هذا الضعف وانقسام الامبراطورية المقدونية ينتهي دور المقدونيين ويبدأ دور الرومان بمساعدة اليهود ليبنوا إمبراطوريتهم , فبنوا إمبراطوريتهم على أرض بلاد الرافدين وبلاد الشام ومصر وأوروبا , وذلك في القرن الأول قبل الميلاد احتل الرومان أورشليم عام / ٦٣ / قبل الميلاد , وولوا عليها أسرة هيرودس , وفي عام / ٧٠ / م دخل تيطس القدس ودمر المدينة

والهيكل وتركها حطاماً وخرج , وفي عام / ١٣٥ / م دخلها أدريانوس وأزال الأنقاض ومعالم المدينة والهيكل وبذلك يكون الدمار الثاني للهيكل . عندما دخل الرومان فلسطين بدأ اليهود بالهجرة إلى أوروبا وذلك في القرن الأول قبل الميلاد – الشتات الثالث – لكن ذروة هجرتهم كانت بعد دخول أدريانوس , حيث لم يبق في فلسطين ولا يهودي , فقد هاجروا إلى أوروبا وأفريقيا . أقام أدريانوس مكان الهيكل هيكلاً وثنياً تحت اسم جوبتر وهو رب آلهة الرومان وصار معبداً وثنياً , إذ لم تكن المسيحية قد اعتُرف بها من قبل الرومانوبقي هذا المعبد إلى أن قامت المسيحية في أورشليم فدمره المسيحيون من أساسه في عهد الإمبراطور قسطنطين أي في بداية القرن الرابع ميلادي وزَّع قسطنطين ملكه على أولاده الثلاث وعلى ابن أخيه يوليان (جوليان) وسمح يوليان لليهود بإعادة بناء الهيكل وذلك عام / ٣٦١ / م , إلا أن القدر ومشيئة الله لم ترض بذلك , فعندما بدؤوا عملية الحفر ليضعوا الأساس وإذ بكتل نارية تخرج من الأرض وتحرق كل العمال مما أدى إلى وفاة الجميع , وبعد فترة وجيزة أُعيدت الكرة فعادت الكتل النارية من جديد وأحرقت العمال فماتوا , عندها فرح المسيحيون وقالوا إن الله لا يريد للديانة اليهودية أن تبقى . ثم انتهى دور الإمبراطورية الرومانية ليبدأ عصر الإمبراطورية الإسلامية . فتح المسلمون فلسطين عام / ٦٣٦ / م , وأطلقوا على مدينة أورشاليم اسم القدس واسم آخر هو (بيت المقدس) , وعندما تم تسليم المدينة للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه , اشترط البطريرك صفرونيوس على المسلمين أن لا يسكن المدينة المقدسة أحد من اليهود هاجر القسم الأكبر من اليهود إلى قارة أوروبا وقسم بسيط لا يتجاوز من / ٢ – ٥ / % هاجر إلى قارة أفريقيا وقسم مماثل بقي في قارة آسيا . وفي قارة أوروبا كان لهم تاريخ أسود , حيث بدؤوها بفتنة بين المسيحيين , سميت فتنة باركوزيبة حيث دامت من عام / ١٣٢ – ١٦١ / م ذهب ضحيتها / ٨٥٠٠٠٠ / ثمانمئة وخمسين ألف شخص وتدمير مئات المدن وصلت إلى / ٩٨٥ / ما بين مدينة وبلدة , لقد اعتبر اليهود أن ما قاموا به هو رد على إخراجهم من فلسطين , وبعد إخماد تلك الفتنة بدأ اضطهاد اليهود في أوروبا رداً على تلك الفتنة من جهة , وعلى أسلوب تعامل اليهود معهم , فقد كانوا يتعاملون بالربا الفاحش , واستغلالهم لحاجات الناس أبشع استغلال مما أدى إلى شرخ بين المجتمع المسيحي والمجتمع اليهودي .

عمل الشعب اليهودي في الأعمال التي تؤدي إلى تجميع رأس المال كالتجارة وصياغة الذهب وقرض الأموال وكانوا يهتمون بشكل كبير بجميع أنواع العلوم فاستطاعوا أن يسيطروا على رأس المال في العالم لأنهم وظفوا شتاتهم بتأسيس شبكة اقتصادية واسعة في معظم بلدان العالم منذ نهاية القرن الرابع ومن خلال هذه الشبكة تشكلت شبكات سياسية ودينية واجتماعية الهدف منها إبقاء ولاء اليهودي لقضيته الأساسية وإبعاده عن ولائه للدولة التي يسكن فيها كي لا يندمج مع المجتمعات الأخرى ويخرج عن خدمة قضيته, وفي تلك المسألة يقول وايزمان : " كل يهودي يساوي ولاءه القومي بولائه للوطن المقيم فيه فهو جدير بالاحتقار " , ونجد أحد مفكريهم يقول : " لا يمكن لليهودي إلا أن يكون مواطناً يهودياً ولن تجد في وجدانه أدنى أثر لأي قومية أخرى مهما علا شأنها " , ويؤكد هتلر في كتابه كفاحي هذه النظرة اليهودية ويعدد صفات خيانات اليهود الذين يقطنون ألمانيا فذكر منها استنزاف أموال الشعب بالربا الفاحش وإفساد التعليم والسيطرة على المصارف والبورصة والشركات التجارية وعلى دور النشر والتدخل في مصالح سياسة الدولة للغير والتجسس على الدولة , إنهم عنصريون يحرضون على الإبادة بشكل عام .أحس المجتمع الأوروبي بهذه النظرة منذ القرون الوسطى عندما أدى ذلك إلى مشاكل اقتصادية هائلة في بلدانه مما أدى في نهاية المطاف إلى طردهم من أكثر البلدان الأوروبية , فأول من طردهم الفرنسيون وذلك عام / ١٢٥٣ / م وكذلك عام / ١٣٠٦ / م , وطردوا من سكسونيا عام / ١٣٤٨ / م ومن هنغاريا عام / ١٣٦٠ / م ومن بلجيكا عام / ١٣٧٠ / م ومن سلوفانيا عام / ١٣٨٠ / م ومن النمسا عام / ١٤٢٠ / م ومن هولندا عام / ١٤٤٤ / م ومن ليتوانيا عام / ١٤٩٥ / م ومن البرتغال عام / ١٤٩٨ / م ومن ايطاليا عام / ١٥٤٠ / م ومن بفاريا عام / ١٥٥١ / م .

استطاع اليهود في عصر الدولة الفاطمية أن يصلوا إلى مناصب عليا فيها , كما استطاعوا أن يحرضوها ضد المسيحية في عهد الخليفة المخبول (المعز) , وبسطوا نفوذهم على المستوى الوزاري ومن أهم وزرائهم (يعقوب بن كلس) الذي استطاع أن يجعل ملوك وخلفاء الفاطميين من أغنى أغنياء العالم بغية إفسادهم والسيطرة عليهم مما أدى إلى إصدار قوانين من قبل الخليفة المعز المخبول أدت إلى تضييق الخناق على المسيحين واليهود معاً مما أدى إلى إحراق وهدم جزء من كنيسة القيامة فأدى ذلك لتهيئة الرأي العام الغربي ضد المسلمين وبالتالي إشعال نار

الحرب الفرنجية من أجل احتلال القدس وكان من وراء هذا كله القضاء على المسيحية والإسلام معاً أو على الأقل إضعافهما من أجل السيطرة عليهما , وبعد انتهاء الحرب الصليبية اكتشف الأمراء الزمنيون في أوروبا أن وراء تلك الحروب اليهود فبدأوا بمحاربتهم , كما اكتشفوا أن فرسان الهيكل هم لعبة بيد اليهود وهم من أسسوها مما أدى إلى محاولة القضاء على اليهود من قبل الأمراء الزمنيين , لكن اليهود استطاعوا أن يراوغوا ويدخل قسم منهم في الديانة المسيحية دون أن يغيروا عقيدتهم اليهودية وهذا ما تم الكشف عنه عن طريق الرسالة التي أرسلها الحاخام الأكبر يخمور عام /1486/ م ,والتي طالب فيها اليهود بالصبر وباعتناقهم الديانة المسيحية ليتسنى لهم تخريبها من الداخل ,كل ذلك أدى إلى أن يفكروا بإتباع أساليب أخرى أكثر جدوى وأكثر نفعاً وخاصة بعدما تم طردهم من أغلب الدول الأوروبية فالتجأوا إلى بعض مناطق الشرق وبالأخص تركيا والمغرب والعراق حيث كانت تجمعاتهم الكبرى في هذه الدول الثلاث من الشرق الإسلامي . بعد اكتشاف الأمريكيتين عام/1492/ م صار هناك تصور آخر للحياة وطبيعتها وحركتها , لقد أصبح العالم أكبر والأطماع أوسع فبدأ الصراع على كل الاكتشافات الجديدة .

كان اليهود يقطنون في أحياء خاصة بهم وهي الغيتو وكانوا يطلقون عليها اسم الكاحال ومن ميزات أحيائهم العتمة والقذارة وله جدار يحيط بهذه الغيتويات وأبواب تغلق وتفتح في أوقات محددة وكان اليهود يحرسون البوابات من الداخل والمسيحيون يحرسونها من الخارج إلى أن تم اكتشاف الأمريكيتين وعقدت الصفقة بين أصحاب رؤوس المال في العالم (اليهود) والبريطانيين التي أدت بعد أكثر من قرنين إلى دخول اليهود في السلك السياسي في الدول الأوروبية , وسكن البعض منهم في الأحياء الأرستقراطية ليكونوا قريبين من مراكز القرار , وذلك بعد تأسيس جذور الحركة الصهيونية .

بدأ الغربيون في بداية القرن الثامن عشر يطالبون دولهم بقتل اليهود أو تهجيرهم لأنهم اعتبروهم عالة على مجتمعاتهم وأنهم غير منتجين فهم يكسبون أموالاً كثيرة دون أن يقدموا أي خدمة للدول التي يقيمون فيها وليس لديهم أدنى ولاء لتلك الدول ويعيشون حياة العزلة إضافة إلى قذارتهم وغموض حياتهم فهم لا يندمجون في المجتمعات التي يقيمون فيها .

شعر اليهود بالخطر الذي يدور حولهم فبدأ شباب اليهود يتدارسون الأمر فيما بينهم , وأسسوا حركة الهسكالاه وهي حركة تنويرية , وكانت هذه الحركة أساس الحركة الصهيونية التي يقول عنها الفيلسوف الألماني الصهيوني هوراس كالن " إن الصهيونية هي إعادة فكرة القومية اليهودية على أساس مدني علماني , مثل بقية القوميات الأوروبية , فالحياة اليهودية هي حياة قومية يشكل الدين جزءاً منها " , كما يقول أيضاً اليهودي الصهيوني ألفريد نوسيح : " إن الصهيونية هي المشروع الوحيد لحل المسألة اليهودية للبدء بتطبيق شريعتهم وتحقيق أحلامهم التوراتية والتلمودية " ويقصد في ذلك السيطرة على العالم بأكمله .

طالبت حركة الهسكالاه بكتابة التراث اليهودي باللغة العبرية , وإنشاء أدب وفن عبري خاص بهم ومستقل يُكتب باللغة العبرية , وبدأت تظهر المدارس اليهودية العلمانية لأول مرة في الحياة اليهودية , كما اهتمت بتعليم المرأة , فافتتحت لهن أول مدرسة يهودية لتعليم المرأة اليهودية في روسيا عام / 1836 / م . لم يكن الطريق أمام هذه الحركة معبداً وسهلاً بل على العكس فقد واجهت منذ البداية انتقادات كبيرة وخاصة من الحاخامات اليهودية المستفيدة من استمرار ذلك الواقع والمقتنعة بالمسلمات التي كانت تؤمن بها , ومن الشخصيات التي كانت ضد حركة التنوير الزعيم اليهودي الروسي ليو بنسكر (1821 – 1891) حيث قال في كتابه (الانعتاق الذاتي) : " يجب ألا نقنع أنفسنا أن الإنسانية وحركة التنوير سيكونان أبداً دواءً جوهرياً لشفاء شعبنا من مرضه " , ونرى ماكس نوردو يقول " الهسكالاه هي نوع من النفاق , لأن اليهودي ينفق طاقته في إخفاء شخصيته الحقيقية وهو خائف أن يعرف الناس أنه يهودي من خلال شخصيته الحقيقية , فهو أبداً محروم من الكشف عن حقيقة نفسه , خوفاً من تعرف شخصيته الأصلية , لذلك شلّت قواه من الداخل فأصبح مرائياً من الخارج " , كما اعتبر سمولنسكي أن الهسكالاه نظرية غربية شاذة وأن دعاتها أناس غير حكماء لم يعرفوا الماضي ولا المستقبل ولا يستوعبون الحاضر لأنهم يطالبون بتقليد الأغيار فالتنوير هو الرفض الأعمى للماضي اليهودي , ويقول الروائي الروسي ميخا جوزيف بيرديشفسكي (1865 – 1928) : " إن دعاة الهسكلاه رجال بوجهين , فهم نصف غربيين في حياتهم اليومية وأفكارهم , ونصف يهود في كنسهم " , أما المفكر اليهودي الألماني موسى هس (1812 – 1875) فلم يكن مع الحركة ولم يكن ضدها لكنه كان يخشى من بعض المسائل لذلك كان يحذر منها ويشرحها ومن المسائل التي

شرحها مسألة التحول من اليهودية إلى المسيحية حيث يقول : " إن حركة التنوير نادت بعدم الإيمان بقوميتنا أساساً للدين اليهودي , فليس غريباً ألا تؤدي هذه الإصلاحات إلا إلى عدم الاكتراث باليهودية والتحول إلى المسيحية " , وكان يخشى على تحطم اليهودية من العبث بها رغم عدم اقتناعه بقدسيتها فيقول : " أصبح الدين اليهودي مصيبة أكثر منه ديناً لكنه مصيبة لا فكاك منها , وحركة التنوير مخطئة إن ظنت أن باستطاعتها النجاة من هذه المصيبة بالتحول إلى المسيحية , لقد حاول المتنورون أن يعرّضوا المسرح اليهودي لضوء الثقافة الحديثة , وذلك بخرق القشرة الصلبة التي سلح الحاخامات بها اليهود , ولا يستطيع أحد حتى مندلسون العظيم أن يفعل هذا الشيء دون أن يخرب لب اليهودية الداخلي " , وبالفعل فقد كان تحذير هس بمكانه حيث ذكر إبراهام لبون , أنه تحول خلال هذه النهضة أكثر من نصف مليون يهودي فقط في برلين إلى المسيحية , ولكننا لا ندري هل تحولوا عن قناعة أم لأهداف سياسية , وأغلب الظن أن جزءاً منهم على الأقل اعتنق المسيحية لتحقيق أهداف لصالح الصهيونية العالمية من الداخل , وخاصة إذا علمنا أن من بين الذين تحولوا إلى المسيحية أولاد موسى مندلسون وأولاد ثيودور هرتزل وأولاد فرايدلنور وأسرة كارل ماركس , والأهم من ذلك السياسي البريطاني (بنيامين دزرائيلي) الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء بريطانيا وقدم خدمات كبيرة للصهيونية , وكذلك الشاعر الألماني هايني وبدأت الحركة تحقق نجاحاتها , ويُروج لها على أن أفكارها جاءت من عند الرب عن طريق حاخاماتهم , حيث نرى ذلك في مقولة الحاخام رافائيل هرش (1808 – 1888) حيث يقول : " على الشعب إتباع التوراة إلى أن يأتيه وحي جديد " مما يدل على قبول المتشددين بالحركة بعد مناقشات ومجادلات ولكن على أن لا يخرجوا من الموضوع صفر اليدين , فكانت لهم الحصة الكبرى لأنهم هم من يقودون الشعب اليهودي الذي شكلوه كما يريدون , لقد اعتمد اليهود في عملهم هذا على قاعدة الثالوث الهيغيلي (وضع – نفي – تركيب) , فاليهودية التقليدية الكلاسيكية هي الوضع الأول البسيط , أما حركة التنوير فجاءت تحمل أفكاراً تنفي الوضع السابق , وهذا نراه بوضوح في مسألة تحطيم أسوار الغيتويات والتحول من العزلة إلى الاختلاط وقبول التعليم عند الأغيار بدلاً من رفضه , والأهم والأخطر هو رفض مسألة انتظار المسيح والاعتماد على الذات بدلاً من الانتظار , وبعد هذه الثورة ضد الكلاسيكية المقيتة , أُعلن عن الصهيونية التي جاءت لتركيب الوضع ومعالجته , ونفيه لتصل إلى وضع جديد نتج عن الصراع بين الوضع القديم ونفيه .

لقد دُعيت هذه الحركة بحركة الاستنارة أو حركة التنوير (الهسكالاه) باللغة العبرية , وكان قادتها من الرجال الرأسماليين والتجار وعلى رأسهم موسى مندلسون الذي لعب دوراً كبيراً في تأجيج الثورة الفرنسية . كانت بداية حركة التنوير (الهسكالاه) في ألمانيا , ومن ثم انتشرت إلى جميع بلدان أوروبا , ومن أخطر ما طالبت به تلك الحركة هو مهاجمة وإزالة فكرة أسطورة ظهور السيد المسيح من عقل اليهودي وتفكيره بشكل كامل وتام , مع بقائها معششة في أذهان الأغيار وعقولهم , لما لها من أهمية في الحد من عملية تطورها وتقدمها منتظرةً بذلك المسيح , وهيهات أن يظهر ليقوم بعملية الخلاص , إن كان سيظهر بل على اليهودي أن يحصل على الخلاص وتحقيق أهدافه معتمداً على نفسه , مستخدماً عقله ودهاءه وبطشه المعهود والذي يتميز به إن لزم الأمر .

نسمع من اليهود أنهم يقولون (المسيح المنتظر) , أي أن المسيح لم يظهر بعد وما المسيح الحقيقي عيسى ابن مريم إلا هو مسيح كذاب حسب زعمهم لأنهم يرون أن المسيح المنتظر سيأتي من نسل داوود الذي هو من سبط يهوذا , بينما سيدنا المسيح هو من سبط لاوي , بينما المسلمون يحدثوننا عن عودة المسيح وليس عن ظهور المسيح أو المسيح المنتظر وهذا يدل على أن المسلمين يعترفون بالسيد المسيح عيسى عليه السلام وينتظرون عودته بفارغ الصبر كي ينصف الناس أجمعين , وهنا لابد لنا من سرد بعض الحوادث ليس من أجل أن نبين أن ظهور المسيح هي حقيقة أم خلاف ذلك ولكن كي نبين أحداثاً قد انقضت تبين لعب اليهود على هذه الفكرة حيث ظهر وعلى فترات متفرقة أشخاص يهود ادعوا بأنهم المسيح المنتظر وأولهم باركوزيبا عام / 132 / م , ومن بينهم أيضاً (سبتاي زيفي) وقد حاول اليهود من خلالهم بسط نفوذهم على عدد من الأمم إلا أن حاخاماتهم كانت تعتبر أن هذه الفكرة لم تنضج بعد ولم يحن أوانها كي تؤتي أكلها مما أدى إلى قتل بعض هؤلاء الدجالين وأما سبتاي زيفي فقد أسره العثمانيون وجعلوه يعترف بأنه المسيح الدجال مما اضطر ابن ميمون أن يصدر تعميماً لجميع يهود العالم بأن هذه الفكرة لم يحن أوانها .

إن هذه الفكرة أدت في بادئ الأمر للاصطدام بين حركة التنوير والمتدينين المتشددين , إلا أنه سرعان ما زال هذا التصادم , عندما أيقنت تلك الجماعات المتشددة أن إزالة هذا الحاجز الوجداني المتعلق بانتظار المسيح الذي وقف بينها وبين حركة الهسكالاه لن يمنع من عودتهم

إلى فلسطين (أرض الميعاد) , بل على العكس , فإنه سيُسرِّع دخولهم أرض الميعاد , وسوف يدخلونها دون الحاجة إلى فكرة انتظار المسيح , مع بقاء الترويج لتلك الفكرة بين أمم الأغيار .

نستطيع القول إن تأسيس هذه الحركة هو بداية تأسيس الصهيونية , وهو اللَّبنة الأولى لها . إن هذه الثورة الحقيقية التي خاضتها تلك الحركة أدت إلى تغيير كبير وجذري في تركيبة البنية الاجتماعية والثقافية والسياسية وكل مناحي الحياة , فقد كانوا يعيشون في فوارق طبقية رهيبة , إما طبقة غنية جداً أو طبقة فقيرة ومعدمة جداً , ولم يكن بينهم طبقة متوسطة إلا ما ندر , لكن ظهور تلك الحركة عملت على التوازن بين طبقات مجاميعهم وأدت لظهور طبقة متوسطة عريضة وقوية تحمل في فكرها وعقلها توازناً بين المعتقدات التي يحملونها سابقاً وبين ما اكتسبوه من ثقافة الأغيار العلمية والحضارية , فتشكل لديهم مجتمع قوي جداً قادر على إمساك زمام مبادراته ومسائله القومية وتحقيق أهداف معتقداته بالشكل الأمثل وبأسلوب جديد وحديث دون التخلي عن الأفكار والعقلية القديمة , بل على العكس فهو سيقوم على تعزيز تنفيذها بشكل أسرع ودون عناء , فيكون قادراً على خلق مقوماته الخاصة من خلال ما يملك من عزلة وفكر خاص به وعادات وتقاليد هذا الفكر , والناتجة أيضاً عن معتقداته الديانية , فأفرز بذلك قياداته السياسية والحاخامية الصهيونية القادرة على التحرك في إطار معتقداتها , وما ملكته من ثقافة جديدة وحديثة معاً , دون التغيير في شخصيتها وهويتها المتفردة بها , فتحقق بذلك التعاون بين المتدينين المتشددين وبين العامة والملحدين , فكلاهما ينظر إلى قضيته الكبرى بأنها الهدف الأساسي والأسمى ولو من خلال منظارين مختلفين , لكن بنية كلا المنظارين واحدة في الحالتين , فالمتشدد ينظر إلى قضيته بمنظار (ديني – قومي) أي (التوراة – الشعب – الأرض) , بينما ينظر الملحد إليها بمنظار (قومي – ديني) أي (الشعب – الأرض – التوراة) , والسؤال هنا كيف ينظر الملحد إلى الأمور الديانية ؟

فنقول : ينظر إليها من وجهة نظر تراثية , فقد اعتبر كل ما فات وما تكوَّن خلال تلك العصور الغابرة موروثاً شعبياً ورثه , وهو الذي أوصله إلى هذه الحالة المتميزة بالنسبة له ولولا كتابة التوراة ومن بعده التلمود وغيرهما من الكتب الديانية من قبل حاخاماتهم لما كانت هناك مجاميع يهودية وعادات وتقاليد يهودية خاصة بهم صمدت أمام كل هذه الأمم التي سعت إلى

دمجها وصهرها في مجتمعاتها وإذابة شخصيتها وهويتها , ولزال شعب الله المختار من الوجود , لذلك ينظر إلى تراثه الديني بكل فخر واعتزاز , ليس من زاوية دينية , بل من زاوية شعب مقاوم استطاع أن يقاوم كل التحديات من خلال ما يملكه من فكر لاهوتي أسسه حاخاماتهم فحقق لهم الصمود . وإليكم تصريحات لبعض الشخصيات اليهودية من كلا الفريقين , الحاخام الصهيوني كوك " ليست أرض إسرائيل شيئاً منفصلاً عن روح الشعب اليهودي , إنها جزء من جوهر وجودنا القومي , ومرتبطة بحياتنا ذاتها , وبكياننا الداخلي ارتباطاً عضوياً , إن ما تعنيه أرض إسرائيل يمكن فهمه فقط من خلال روح الرب المنتشرة في شعبنا كله , والتي تشع تأثيرها في كل العواطف السليمة " (ديني – قومي) وكتب بوبر الصهيوني " إننا لم نستطع , ولا نستطيع أن نتخلى عن المطلب اليهودي , فهناك شيء أسمى حتى من حياة شعبنا , مرتبط بهذه الأرض , إنه عمل الشعب ورسالته المقدسة , إنني أؤمن بتزاوج الإنسان والأرض , إن هذه الأرض تعترف بنا لأنها بواسطتنا تصبح مثمرة " (قومي – ديني) .. ويقول الحاخام القبالي " نحن شعب لا يليق أن نلقب بإسرائيل المدافعين عن الله إلا إذا كنا في أرض إسرائيل " (ديني – قومي) .. ويقول جودون : " إن البعث القومي لن يتم إلا عن طريق العودة إلى حقول وطننا القومي وتحت سمائه , إننا نأتي إلى وطننا لنزرع في تربتنا الطبيعية التي نُزعنا منها , فلنضرب بجذورنا العميقة في مصادرها الحياتية , ولنمد فروعنا بعيداً خلال هواء وطننا القومي وتحت سمائه " (قومي – ديني) .. ويقول موشي ديان : " إن أساس الوجود الإسرائيلي هو الشعب اليهودي والكتاب المقدس وأرض اليهود , فإذا اجتمعت التوراة وأمة التوراة فلا بد أن تكون معها أيضاً أرض التوراة " (قومي – ديني) .. ونجد بن غوريون يقول : " لا يهم إن كان منح أرض كنعان لليهود هي وعد قطعه الله على نفسه أم هي أسطورة طالما هي مغروسة في الوجدان اليهودي , لذا يجب أن تبقى سارية المفعول , حتى إن تبيّن أن ذلك أسطورة وليس من مصدر إلهي " (قومي – ديني) .

استطاعت هذه الحركة المدعومة من كبار الشخصيات اليهودية السياسية والحاخامية والاقتصادية أن تحقق أهدافها , وبزمن قياسي كبير من خلال تلك الأسباب التي ذكرناها ومن خلال ظروف وأسباب أخرى تتعلق بالوضع الدولي آنذاك .لا أرى أن الصهيونية طرف أو مكوِّن أو رديف للماسونية العالمية , بل هو مكون ضاغط على المكون الغربي في الماسونية

لتحقيق أهداف اليهود , لكنه قَبِل بهذا الضغط لأن الأرباح التي سيجنيها ستكون قيمتها أكبر من هذا الضغط , فالغرب لا يتعامل بالعنتريات بل بالمصالح والمكاسب حتى على حساب المشاعر .

إن أي مشروع عندما ينجح ويحقق أهدافه سوف يسعى صاحبه لتوسيعه وخاصة إذا كان هذا المشروع يحرضه العامل الديني . إن أول ما قاموا به هو السير على خطا سيدهم البريطاني لتحقيق أهدافهم الخاصة بهم , فكانت حركة الهسكالاه خير مثال وخير دليل , وبدأت الصهيونية تحقق أهدافها وكذلك الماسونية , وكان الطرفان بحاجة إلى بعضهما بعضاً للوصول إلى مآربهما , مع العلم أن الصهيونية كانت تحاول الخروج من عباءة الماسونية لأن مشروعها مستقل عنها .

لقد قدمت الصهيونية خدمات كثيرة للماسونية , منها الثورة الفرنسية , وثورات عام / 1848 / م , والحرب اليابانية الروسية في عامي / 1904 – 1905 / م , والثورة البلشفية الشيوعية , وزرع الكيان الصهيوني في الجسد العربي , كل هذه الخدمات تجدها في كتاب (الماسونية) بإمكانك الاطلاع عليها وعلى سير أحداثها , والربط بين جميع الأحداث الأخرى لتصل إلى تحليل واستنتاج علمي يصل إلى الحقيقة .

بدأ مشروع الصهيونية المقدس حسب زعمهم يتبلور بعد ثورة علمية تعليمية مهنية منظمة ومرتبة , فشكلت على الفور جناحين لحركتها , جناح (فريق أول) الصهيونية الاستيطانية , وجناح (فريق ثاني) الصهيونية التدعيمية , ووزعت المهام على كل فرد وحركة ومنظمة وجمعية ومؤسسة , أما مهام الصهيونية الاستيطانية , فهي تأسيس جمعيات وحركات تهتم بتعليم المجال الزراعي لخلق فلاح يهودي قادر على البقاء في مستعمرات زراعية سوف يقيمها في فلسطين , ومنها (جمعية أحباء صهيون) وكان مركزها في روسيا , وتم تأسيس حركات ومنظمات تختص بالتدريب العسكري وحمل السلاح ومن هذه الحركات والمنظمات (الهاجانا) أي (منظمة الدفاع عن النفس) ومنظمة (أرجوم زفاي ليومي) أي (المنظمة الحربية القومية) وكذلك (شتيرن) , وتأسيس جمعيات ومؤسسات تهتم بمسألة الهجرة إلى فلسطين ومن بينها (جمعية عشاق صهيون) , أما مهام الصهيونية التدعيمية , فهي تأسيس جمعيات

وحركات تهتم بتعليم اليهود في المجال العلمي والمهني ومنها (البوند) أي (الاتحاد العام للعمال اليهود) وهو أول اتحاد يتشكل في حياتهم , وتأسيس جمعيات وحركات ومنظمات ولجان ومصارف في جميع أنحاء العالم مهمتها جمع التبرعات من أجل تجهيز وتمويل حملتهم ومن بينها (الصندوق القومي اليهودي) و (الشركة اليهودية القانونية) مهمتها جمع رأس مال على أن يكون مقر هذا المال في لندن , ومن مهامها شراء الأراضي في فلسطين واشترط هرتزل أن لا يتقاضى عمال الجمعيات والحركات أي أجور وأن يكونوا من النزيهين , ومؤسسات ومنظمات مهمتها السيطرة التامة على وسائل الإعلام لينشروا الخبر الذي يريدونه ويطمسوا الخبر الذي لا يريدون انتشاره , وكذلك منظمات وحركات في جميع أنحاء العالم مهمتها تجنيد يهود العالم للضغط على الدول التي يقيمون فيها من أجل تحقيق أهداف الصهيونية العالمية , وبدأ الأدب والفن العبري الصهيوني يتشكل ويظهر بشكله الجلي حاملاً أفكاره بوضوح وشارحاً الجهة التي يريد أن يصل إليها وهي أرض الميعاد , وفي القرن التاسع عشر بدأ الشعر والمسرح والأغاني في دغدغة عواطف العبرانيين في الحنين والعودة إلى ارض الميعاد , فنجد المغني لورد بيرون ينشد أغنيته قائلاً " إن للحمامة البيضاء عشاً صغيراً , وللثعلب وكراً , ولكل إنسان وطن , ولا وطن لليهود " , كما نجد الروائي دزرائيلي يصف في روايته (دافيد أكروا) الذي جعل بطلها يسأل حبيبته فيقول " تسأليني عن أعز أمنية عندي , وجوابي هي أرض الميعاد , وتسأليني عما يداعب أحلامي , فأقول أورشليم , وتسأليني عما يستهوي فؤادي فأقول إنه الكنيس " ونجد أحد الشعراء يصف السبي البابلي فيقول " لئن نسيتك يا أورشليم فلتنسَ يميني حذقها , وليلتصق لساني بسقف حلقي إن لم أذكرك يا أورشليم وإن لم تكوني لدي خيراً من أفراحي " , كما يظهر أدبهم حقدهم على الأغيار بوضوح , ونجد نظرتهم في أدبياتهم إلى العربي بأنه غائب ويجب أن يختفي من الوجود , كما يقدمون شخصية العربي على أنه متخلف ولا يفهم سوى لغة القوة , وأنجع طريقة للتعامل معهم هي سياسة العنف والإرهاب فهم قوم فرديون مفككون يميلون إلى الكذب والمبالغة وخداع الذات , وهم قوم كسالى وجبناء ويتصفون بالخيانة , وذكاؤهم منخفض . لا يكتفون بهذه النظرة للعربي في أدبياتهم فيما بينهم بل عملوا على تصديرها للأمم الأخرى ليكسبوا حقدهم على العرب . يوضح المفكر صمويل هولدهايم وهو من مفكري القرن التاسع عشر الفرق بين طريقة التفكير القديمة والجديدة دون أن يلغي الكتب الديانية الجامعة لهم , فيقول : " يتكلم التلمود بأيديولوجية العصر , أما أنا فأتكلم من وجهة نظر

الأيديولوجية العليا لهذا العصر , لذلك فأنا محق ولي الصلاحية لعصري " , ثم يضيف قائلاً : " إن القانون الإلهي له السلطة والحق فقط طالما كانت أوضاع الحياة التي جاء لمعالجتها مستمرة , وعندما تتغير الأوضاع يجب أن ينسخ القانون حتى وإن كان الله صاحبه ومشرّعه " وفي مؤتمر بنسبرغ الإصلاحي الذي عقده الصهاينة عام / 1885 / م , صدر عنه قرارات أهمها : " إن الكتاب المقدس ليس من صنع الله , بل هو وثيقة من صنع الإنسان , أي أنه نتاج وعي الإنسان التاريخي " , وظهر للكاتب الدكتور ثيودور هرتسكا كتاب بعنوان (الأرض الحرة) , وهو من حيث الشكل أفكار كتاب (الدولة اليهودية) لثيودور هرتزل (1860 – 1904) نفسها , والذي أصدره عام / 1895 / م , أي بعد كتاب هرتسكا بسنوات , إلا أن كتاب هرتزل كان أكثر واقعية , بينما كانت أفكار هرتسكا طوباوية , لكن بعض اليهود اتهموا هرتزل بأنه تقاضى مبلغاً مالياً من شركة أراضي بريطانيا للتجارة في فلسطين , فرد عليهم قائلاً : " إن اليهود لا يصدقون أن اليهودي يمكن أن يتصرف مدفوعاً باقتناع أخلاقي " , [يؤكد أن اليهود غير أخلاقيين حتى فيما بينهم , ولكن مصالحهم المشتركة هي التي تربطهم فيما بينهم] .

وفي الثمانينيات من القرن ذاته بدأت هجرة اليهود إلى فلسطين وكانت أولى محاولاتهم عام / 1876 / م , حيث عرض (حاييم كوديلا) على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أموالاً لشراء أراضٍ في فلسطين , إلا أن السلطان رفض الفكرة جملة وتفصيلاً , كما حاول اليهود الروس الضغط عليه عن طريق السفير الأمريكي في تركيا , إلا أنه عاد فرفض الفكرة من أساسها , وعندما حاول هرتزل إعادة الكرَّة بعد مؤتمر بال , ثار غضب السلطان عبد الحميد الثاني عليه وأسدل الستار على الفكرة نهائياً , إلا أن اليهود كانوا يدخلون الأراضي الفلسطينية بطرق غير شرعية عن طريق شراء ذمم المسؤولين العثمانيين , وأغلب المؤرخين يعتقدون أن الانقلاب الذي حدث ضد السلطان عبد الحميد كان من تدبير اليهود الصهاينة حيث كان عدد كبير من أعضاء حزب الفتاة من اليهود , والأسباب لأن السلطان رفض منح يهود روسيا السفر إلى فلسطين بعد تهمة منظمة أحباء صهيون اليهودية بحادثة اغتيال القيصر الروسي ألكسندر الثاني عام / 1881 / م , والذي راح ضحيتها عشرات الآلاف من اليهود الروس على يد الروس شعباً وحكومة . كل ذلك حدث منذ بداية القرن التاسع عشر .

ذكرنا أن هرتزل قام بتأليف كتابه عام / 1895 / م , حيث بدأ مقدمته بعبارة صاخبة ومدهشة فقال : " إن الفكرة التي طورتُها في هذا الكتيب فكرة موغلة في القدم , هي فكرة استعادة الدولة اليهودية . إن العالم يردد صيحات صاخبة ضد اليهود , وهذه الصيحات هي التي أيقظت الفكرة من سباتها " لا شك أن هرتزل يراوغ ويكذب فهو لم يؤلف هذا الكتاب عن طوباوية أو سذاجة , بل كان عضواً بارزاً ومقرراً في الحركة الصهيونية والعبارة التالية من كتابه توضح ذلك , عندما قال " إنني على يقين تام أنني على حق , وإن كنت أشك فيما إذا كنت سأبقى حياً لأرى الأيام تبرهن على ذلك , أما أولئك الذين سيكونون أول من يفتتح هذه الحركة فمن النادر أن يبقوا على قيد الحياة ليشهدوا نهايتها العظيمة , ولكن افتتاحهم في حد ذاته يكفي لمنحهم الشعور بالفخر والسيادة والتحرر الروحي " يؤكد هرتزل على القوة الدافعة فيقول : إن كل شيء يعتمد على قوتنا الدافعة ولكن ما هي قوتنا الدافعة ؟ إنها بؤس اليهود , فمن يجرؤ على إنكار وجوده ؟ ثم يستشهد بكتاب (ناثان الحكيم) للكاتب اليهودي (ليسينغ) والذي يتحدث فيه عن مجيء المسيح المنتظر , طالباً تغيير النظرة بهذه الفكرة ومؤكداً رأي حركة التنوير بذلك , ويعلق قائلاً : " إن الانتظار هو انتحار لنا ولأبنائنا ولأحفادنا وكل الأجيال القادمة " مشدداً على امتلاك التكنولوجيا ومركزاً على فكرة معاداة السامية التي بدأت تظهر منذ أواخر القرن الثامن عشر , والتي ابتدعتها حركة التنوير , كما لعب على وتر النظرة الدونية لليهودي وركز على أن القوة تسبق الحق واعتبرها حقيقة وواقعاً , ويقول المفكر اليهودي هس : " على اليهودي أن يعود بنفسه إلى أرض الميعاد تحت مظلة المنظمة الصهيونية العالمية أو القوات الامبريالية أو عن طريق العنف المباشر أو عن طريقهم معاً " , ثم يذكر أن الصهيوني هو اليهودي الذي يعيش في فلسطين , أو الذي يقدم مساعدات مادية أو أدبية أو أي نوع من الأنواع, ونجد أن كتاب هرتزل جاء بمثابة خطاب حماسي يحثهم فيه على تشكيل دولتهم على نمط تأسيس شركة كنمط الولايات المتحدة الأمريكية , طبعاً لأن أصحاب الشركات يحاولون دوماً توسيع شركاتهم , كما يضرب لهم أمثالاً عديدة عن الاضطهاد الذي تعرضوا ويتعرضون له في البلاد التي يقيمون فيها فيقول : " ففي روسيا تجمع الضرائب من قرى اليهود وفي رومانيا يحكم على بعضهم بالإعدام , وفي ألمانيا يتعرضون للضرب المهين , وفي النمسا يسود العداء للسامية ويمارس الإرهاب على الحياة العامة لليهودي , وفي الجزائر يثيرون الفتن في كل مكان , وفي باريس تغلق الدوائر الاجتماعية الراقية , وهم ممنوعون من الأندية , وعدد لا

يحصى من مشاعر معاداة السامية " , ويؤكد على مسألة التعليم فيقول : " نحن مستمرون في تخريج كثير من المتعلمين " , ويعود ويكذب مرة أخرى وكيف لا والكذب والمراوغة من عاداتهم , فيوضح أن بناءهم للغيتو ليس من عاداتهم بل أُجبروا عليه لأنهم كانوا يُمنعون من ممارسة المهن ومزاولتها , إن كلامهم هذا فيه شيء من الصحة فقد كانوا يمنعون من ممارسة المهن والأعمال المشينة والمنافية للأخلاق كالربا والدعارة , لقد كان اليهود في أوروبا يعتمدون على ترويج البغاء لهدفين أولهما إفساد المجتمع الأوروبي والثاني لأنها مهنة مثرية , على أنهم لا يودون ممارسة الأعمال المفيدة للأغيار , مثل العمل في المناجم أو الزراعة أو غيرها من الأعمال الشريفة والمتعبة , فكانت جل أعمالهم أعمالاً فردية تعتمد على الربح والتجارة الطفيلية , أما لماذا بنوا الغيتويات واعتزلوا عامة الشعوب والأمم ؟ فالجواب لكي لا يذوبوا وينصهروا في المجتمعات التي يقيمون فيها , فتختفي بذلك الشخصية اليهودية ويزول معهم حلمهم الشيطاني , وعندما يتطرق بحديثه عن فلسطين فإنه يقول : " فإذا منحنا جلالة السلطان _ يقصد السلطان التركي عبد الحميد الثاني _ فلسطين سنأخذ على عاتقنا بالمقابل تنظيم مالية تركيا . ومن هناك سوف نشكل جزءاً من استحكامات أوروبا في مواجهة آسيا كموقع أمامي للحضارة في مواجهة البربرية , وعلينا كدولة طبيعية أن نبقى على اتصال بكل أوروبا التي سيكون من واجبها أن تضمن وجودنا " . ويؤكد على العلاقة بين الكيان الصهيوني كحارس للمصالح الاستعمارية , وبين ضمان وجوده تحت الحماية الاستعمارية . حتى أنه لم ينسَ عَلَمَ الدولة فاقترح أن يكون لونه أبيض وعليه سبعة نجوم ذهبية , فالخلفية البيضاء ترمز إلى حياتهم الجديدة النقية , أما النجوم السبعة فهي رمز الساعات السبع التي كان اليهودي يقضيها يومياً ولمدة سبع سنوات في تعلم العهد القديم والتلمود .

بعد إصدار كتابه بعامين أي في / 29 – 31 / 8 / 1897 / م , تمت الدعوة بشكل علني لعقد مؤتمر رسمي في مدينة بال بسويسرا مع العلم أنه كان من المقرر انعقاده بميونخ الألمانية لولا المعارضة التي واجهتها هناك من المتشددين اليهود , وهو أول مؤتمر للحركة الصهيونية يعقد في العلن وتحت ضوء النهار , وفيه تم الإعلان عن (المنظمة الصهيونية العالمية – الوكالة اليهودية) وانتُخب هرتزل رئيساً للمنظمة , ويعدّ هذا العمل في حينه انتصاراً كبيراً للصهيونية والقبول الأوروبي من تلك الحركة , كما نجد أن التسمية تدل على المضمون أي أن

المجاميع اليهودية كلها أعطت وكالة للصهيونية , أما كلمة العالمية فتعني قبولهم أي شخص من الأغيار يرغب في تقديم خدمات للصهيونية . [كثير من المحللين والباحثين يعتقدون أن الصهيونية غير اليهودية , وأن الكثير من اليهود غير راضين عن الصهيونية , وأنها لا تعمل لصالحهم وإنما تعمل لصالح الامبريالية , لكن وجهة نظري وإن كانت تلتقي مع هؤلاء من حيث التقاء المصالح , إلا أنني لا أوافقهم الرأي في أن كثيراً من اليهود هم ضد الصهيونية , لقد أصبح جلهم داعمين للصهيونية بعد احتلالهم فلسطين , ما عدا السامريين الذين لا يمتون بصلة إلى كتب يهوذا الديانية , حيث إن كتابهم المقدس هو فقط أسفار موسى الخمسة ومع ذلك فهناك اختلاف في التدوين بينهم وبين أسفار موسى اليهوذية] .

ترأس هرتزل هذا المؤتمر وافتتحه بكلمة له قال فيها : " إننا اجتمعنا هنا لكي نضع حجر الأساس للمبادئ التي تجمع الشعب اليهودي " , وفي نهاية المؤتمر صدرت عنه قرارات أهمها : " إن أماني الصهيونية هي إنشاء وطن للشعب اليهودي يُعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية , ليصبح الشعب اليهودي في مأمن من الاضطهاد , على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين " وأكدوا على إنشاء مستعمرات زراعية ثم توالت المؤتمرات وبدأ العمل لتحقيق مصالحهم الوطنية كل واحد منهم يضحي بأغلى ما عنده لتحقيق هذا الهدف السامي بالنسبة لهم . لقد لعبت مؤسسة روتشيلد دوراً كبيراً في تمويل الكثير من مخططات هذا المشروع , فقد فتح أبواب خزائنه على مصراعيها , وبدأ يظهر في فلسطين مستعمرات زراعية منذ مطلع القرن العشرين . لقد جهزوا أنفسهم لأنهم أدركوا أن اللحظة قد حانت ليدخلوا فلسطين ويحتلوها , كما كانت الأوضاع العالمية والدولية والإقليمية مهيأة وملائمة ليلعبوا دوراً هاماً لصالح المستعمر الحديث على الصعيد الدولي , فقد كانت الإمبراطورية العثمانية تنحسر في أواخر أيامها , ومن الواجب سد الفراغ الذي سيحصل نتيجة خروج المستعمر القديم . لم يكن مؤتمر بال هو الأول والأخير , فقد توالت المؤتمرات عاماً بعد عام , ففي عام / 1898 / م عُقد المؤتمر الثاني للمنظمة الصهيونية العالمية في بال السويسرية أيضاً وترأسه هرتزل وظل يترأس المؤتمرات حتى وفاته عام / 1904 / م , وكانت قرارات هذا المؤتمر , تركز على تنمية النزعة الصهيونية , وعلى معاداة السامية , وتنمية روح التعصب الجماعي , والتعاطف مع اليهود الذين في فلسطين من خلال المبالغة في تصوير سوء أحوالهم المعيشية , وهو ما بدا واضحاً في تقرير (موتزكين)

الذي أوفد إلى فلسطين , لكنهم طلبوا منه أن يكتب ذلك , وتم انتخاب لجنة لتأسيس مصرف يهودي لتمويل الاستيطان الصهيوني في فلسطين , أما في المؤتمر الثالث الذي عقد عام / 1899 / م , فقد عرض هرتزل المباحثات التي دارت بينه وبين الإمبراطور الألماني , وكيف قدم الخدمات الصهيونية الاقتصادية والسياسية مقابل أن يتبنى الإمبراطور المشروع الصهيوني , كما ناقش قضية النشاط الثقافي اليهودي في العالم أما المؤتمر الرابع فقد عقد في لندن وبدأ بتعريف الرأي العام البريطاني بأهداف حركتهم , وصاروا في كل عام يعقدون مؤتمرهم الصهيوني باسم مؤتمر هرتزيليا نسبة إلى مؤسسه هرتزل ليضعوا المخططات والبرامج الزمنية لتطبيقها آخذين الظروف الدولية بعين الاعتبار . لقد التقت مصالح المستعمر الحديث (الماسونية) مع مصالح الصهيونية العالمية وجرى الذي جرى من أحداث عالمية إجرامية ولا تزال تجري , مع العلم أن الصهيونية حاولت أن تخرج من عباءة الماسونية , لا كرهاً لها , ولا لعدم التقاء مصالحها معها , بل لتشكل عليها أوراق ضغط كي تستفيد منها أكبر استفادة ممكنة , فنجدها لجأت إلى نابليون (فرنسا) , حيث لعب اليهودي الصهيوني الإيرلندي توماس كوبرت دوراً هاماً في إقناع صديقه بول باراباس الذي كان عضواً في الحكومة الإدارية في باريس , واقترح عليه أن يعرض على نابليون خدمة اليهود للمشروع الفرنسي الاستعماري في المشرق العربي , فالتقى نابليون بشخصيات يهودية صهيونية وصدر عن هذا اللقاء بيان يدعو فيه إلى إقامة مجلس ينتخبه اليهود في خمسة عشر بلداً ليقرر ما يجب عمله وإبلاغ الحكومة الفرنسية بذلك , كما دعت إلى إقامة وطن قومي يهودي بالاتفاق مع فرنسا يقع في إقليم الوجه البحري من مصر أي في سيناء ليمتد إلى مدينة عكا إلى البحر الميت ومنه إلى البحر الأحمر , إلا أن الحملة باءت بالفشل وسقطت على أسوار مدينة عكا , وإليك عزيزي القارئ ما يوضح ذلك , يقول وايزمان : " إن نابليون هو أول الصهاينة العصريين من الأغيار يغزو الشرق العربي " , كذلك ظهر خطاب في كتاب (تاريخ الصهيونية) لمؤلفه سوكولوف والخطاب مؤرخ بتاريخ / 1798 / م يوضح فيه تعاون اليهود مع فرنسا ويدعوهم للعودة إلى فلسطين ليتحكموا في تجارة الهند والعرب وجنوب شرقي أفريقيا , وأن مجلس اليهود سيعرض ذلك على الحكومة الفرنسية لحماية الشعب اليهودي , والتجار الفرنسيين وحدهم من سوف يشارك في تجارة الهند وما حولها , وتكرر الموضوع نفسه في كتاب المفكر الصهيوني موسى هس الذي دعا إلى إنشاء مستعمرات يهودية من السويس حتى القدس , ومن ضفتي نهر الأردن حتى شاطئ البحر

الأبيض المتوسط تحت رعاية فرنسا , وكتب في ذلك نشيداً يقول فيه : " ستكون فرنسا صديقتنا الحبيبة المخلصة التي ستعيد لشعبنا مكانته في تاريخ العالم " , لكن هذا المشروع انتهى عندما استلم نابليون الثالث الحكم وبدأ ينظم الحياة اليهودية في فرنسا, إلا أن اليهود لم يوافقوا على التنظيم لأنهم لا يستطيعون أن يعيشوا تحت أمرة الأغيار فهم أعلى بكثير منهم ومن قوانينهم , مع العلم أن سكرتير نابليون الثالث آرنست لاهاران كتب كتيِّباً بعنوان (المسألة الشرقية الجديدة) وضح فيه المكاسب الاقتصادية التي ستعود إلى أوروبا إذا استقر اليهود في فلسطين , فالشرق سوق مستهلك للمنتجات , وكان يرى أن أوروبا ستؤيد استيلاء اليهود على فلسطين من الأتراك , لقد استعار موسى هس في كتابه (روما والقدس) الكثير من مقتطفات وفقرات لاراهان وعمل على توضيحها , كما حاولت الصهيونية الاعتماد على الإمبراطورية الألمانية إلا أن الأخيرة وعدتهم بالدعم السياسي فقط , إضافة لما ذكرنا سابقاً محاولتها التعاون مع الإمبراطورية العثمانية , وعندما شعرت أنها لا يمكنها الاعتماد على القوى الاستعمارية غير البريطانية ذهبت إليها وعقدت معها صفقات متبادلة وأقنعتها بأنها ستعمل حارساً لمصالحها , إلا أن البريطانيين كانوا في البداية يخشون من هذه الخطوة لعدة أسباب منها , خوفهم من اليهود المتشددين الذين يقيمون في بريطانيا والذين كانوا ضد الحركة الصهيونية آنذاك بينما يدعمون الحركة الوهابية التلمودية , فقد كان البريطانيون لا يزالون يعملون على تثبيت حكم آل سعود , ليس حباً بهم , بل لأنهم لم يجدوا طرفاً آخر غيرهم سيعمل على تأمين مصالح بريطانيا في المنطقة , أو بالأحرى الماسونية , ومن جهة أخرى لرغبتهم بعدم تكبير نفوذ اليهود على الساحة الدولية وفي المنطقة العربية , لذلك لم يعطوهم فلسطين خالية من سكانها كما يرغبون , بل على العكس , لم تعترف بريطانيا بأن فلسطين هي وطن قومي صرف وخالص لليهود كما كانوا يرغبون أيضاً , وذلك لمعرفتهم بطبيعة اليهودي وغدره وخيانته للأغيار , ومعرفتهم المسبقة بأن مشروع الصهيونية يهدف إلى استقلالهم والعمل لصالح مصالحهم في حال تحقيق ذلك , مما دعا حاييم وايزمان (1864 – 1952) , مضطراً إلى طمأنتهم على أنه فور الإعلان عن فلسطين وطناً قومياً يهودياً فإن اليهود البريطانيين المتشددين المناهضين للصهيونية سيوافقون بلا تردد وسينخرطون في صفوف الحركة في الوقت المناسب , كما صرح بأنه يرى مشروع الحركة الصهيونية جزءاً من مصالح الإمبريالية , وأنه لو لم يكن هناك فلسطين لوجب خلقها من أجل مصلحة الإمبريالية , وأصبح وايزمان أول رئيس للكيان الصهيوني بعد احتلال فلسطين , وصرح دافيد بن غوريون

(1886 – 1973) قائلاً : " إن خيانة بريطانيا العظمى هي خيانة للصهيونية " واعتبر الكيان الصهيوني قاعدة دفاعية للإمبراطورية في البر والبحر , وأصبح أول رئيس حكومة للكيان بعد احتلال فلسطين , وكذلك كتب هرتزل إلى اللورد روتشيلد الذي يقيم في إنكلترا يطلب منه أن يُعلِم الإنكليز أن المشروع الصهيوني سيدعم النفوذ البريطاني في شرق البحر المتوسط عن طريق إنشاء مستعمرة تضم اليهود وتقع عند نقاط التقاء المصالح المصرية بالمصالح الهندية والفارسية كما ألقى خطاباً في لندن بتاريخ 16 / 6 / 1902 م جاء فيه : " إن الكيان الصهيوني سيكون تحت وصاية بريطانيا العظمى , وأن اليهود سيكونون حراساً لها على الطريق الممتد عبر الشرقين الأدنى والمتوسط حتى حدود الهند " , درست بريطانيا كل الأمور ووازنت بينها , ففكرت بأن تزرع الكيان الصهيوني في مكان غير فلسطين , مثل أوغندا أو كينيا أو موزمبيق , فقد كانت تفكر في زرعه في إحدى مستعمراتها الأفريقية , مما دعا هرتزل إلى أن يرسل رسالة للسير سيسل رودس البريطاني يقول فيها : " إن هذا الشيء لا يتضمن أفريقيا , وإنما يقع في آسيا , وهو لا يخص إنكلترا وإنما يخص اليهود " , وهذا خير دليل على أن الماسوني البريطاني لا يكترث للمصالح اليهودية , ولكن عندما وجد من مصلحته زرع الكيان في فلسطين وافق على ذلك , لكن المفكر فلاديمير جابوتنسكي البريطاني العبقري أكد على أهمية فلسطين من وجهة نظر المصالح الامبريالية البريطانية لكنه حذر على أن تبقى فلسطين بلداً عربياً , قائلاً : " إن الكيان الصهيوني المحاط بالدول العربية من كل جانب سيسعى دائماً في الاعتماد على الإمبراطورية , وفي حال استقلاله سيستغني عنها , فإن اليهود عاجلاً أم آجلاً سيسعون للحصول على استقلالهم مبتعدين بذلك عن إنكلترا , وتنطبق هذه المسألة على العرب الفلسطينيين الذين سيدخلون فلك المصير العربي " , ونجد كارل كاوتسكي يقول : " إن استعمار اليهود لفلسطين يدل على نيتهم البقاء فيها , وعلى أنهم لا ينوون استغلال السكان الأصليين فحسب , بل سيقومون بطردهم نهائياً " , إن أهم سبب كانت تخشاه الصهيونية من التعامل مع الإنكليز هو أن انجلترا كانت الأقوى في العالم , فكانت تخشى أن تبتلعها لذلك كانت تحاول أن تتعامل مع قوى تستطيع أن تسيرها كيفما تريد , وعندما باءت محاولاتها بالفشل اضطرت لأن تعود لأحضانها , لقد استطاعت بريطانيا إضعاف كل القوى الاستعمارية في العالم بما فيها فرنسا , التي أصبحت تابعاً لبريطانيا بعد هزيمة حملة نابليون في المشرق العربي وخاصة في

فلسطين . لم يكن في الساحة الاستعمارية غير بريطانيا في مطلع القرن التاسع عشر , أما باقي القوى الاستعمارية فقد أصبحت تابعاً لها .

بعد أن رسمت بريطانيا كل خرائط العالم تقريباً وجهزت نفسها لحسم معركتها مع الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الألمانية الصاعدة , عقدت صفقة مع الصهيونية لسد الفراغ الذي سيحدث بعد القضاء على الإمبراطورية العثمانية , فدعا (كامبل بانرمان) الذي كان يشغل منصب رئاسة الوزراء في بريطانيا إلى مؤتمر يضم علماء ومؤرخين وفلاسفة ومبدعين وعباقرة ليس فقط من بريطانيا وحسب وذلك في عام / 1907 / م , وألقى فيهم خطاباً حدد فيه المهام التي يجب أن يدرسوها ليرسموا خطوط المرحلة القادمة لوضع مخططاتها والعمل على موجبها , ومن جملة ما قاله : " إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى , ثم تستقر إلى حد ما , ثم تنحل رويداً رويداً وتزول , والتاريخ مليء بمثل هذه الأمثلة , وهي لا تتغير بالنسبة لأية إمبراطورية أو أمة , فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين , وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها , فهل يمكن الحصول على أسباب ووسائل تحول دون سقوط إمبراطوريتنا وانهيارها أو تؤخر مصيرها المظلم بعد أن بلغنا الذروة , وبعد أن أصبحت أوروبا قارة قديمة استنفذت مواردها , وشاخت معالمها , بينما العالم الآخر لا يزال في شبابه يتطلع إلى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية " , وبعد انتهاء المؤتمر راح المؤتَمِرون يبحثون ويدرسون , حيث دامت دراستهم أكثر من سبعة أشهر , وبعدها قدموا تقارير دراستهم لوزارة الخارجية البريطانية , واضعين حلولاً قابلة للتنفيذ , ومن جملة ما جاء في تلك التقارير قولهم : " إن الخطر ضد الاستعمار في آسيا وأفريقيا ضئيل , لكن الخطر الضخم يكمن في البحر المتوسط , وهذا البحر هو همزة وصل بين الغرب والشرق , وحوضه مهد الأديان والحضارات , ويعيش في شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص شعب واحد تتوافر فيه وحدة التاريخ والدين واللسان , وكل مقومات التجمع والترابط , هذا فضلاً عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية , فماذا تكون النتيجة لو نقلت هذه المنطقة الوسائل الحديثة وإمكانيات الثورة الصناعية الأوروبية , وانتشر العلم فيها , وارتقت ثقافتها ؟ , إذا حدث ما سلف فستحل الضربة القاضية حتماً بنا وبناء على ذلك فإنه يمكن معالجة الموقف على النحو التالي :

1 – على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة , وتأخرها وإبقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل .

2 – ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي , ونقترح إقامة حاجز بشري قوي وغريب , يحتل الجسر البري الذي يربط آسيا بأفريقيا , بحيث يُشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس , قوة صديقة لنا وعدوة لسكان المنطقة .

وبعد هذا التقرير بدأ العمل بالتنفيذ , وما دام (لكل مجتهد نصيب) , فقد حصل عدونا على ما يريد , وإن كان الذي حصل عليه لا يحقق طموحاته وطموحات سيده المستعمر , فالذي يرغبه هو الإبادة الجماعية للأمة العربية على غرار إبادة شعوب سابقة في مناطق أخرى كالأمريكيتين وغيرها , ولنا في ذلك المستشرق كارل بروكلمان الذي يبيّن ذلك بوضوح حيث يقول : " إن الاستعمار أو الانتداب أو الاحتلال أو غيرها من الاصطلاحات لا تفي بالغرض المطلوب بالنسبة لهذا الموقع بالذات , فحركات التحرر به لم تهدأ , فقد عرفها الفرنسيون إبان حملة نابليون , وعرفها الإنكليز إبان حملتهم على رشيد , ومنذ وضعوا أقدامهم في التل الكبير ومن أجل هذا اتجهت الجهود إلى شيء آخر غير الاستعمار والاحتلال والانتداب بالنسبة لفلسطين ذلك هو استعمار الإبادة أو تحويل فلسطين من بلد عربي إلى بلد غربي على نحو ما تم في استراليا ونيوزيلندا وأمريكا , وعلى نحو ما يجري الآن في جنوب أفريقيا على أن يتخذ الاستعمار والانتداب والاحتلال وسيلة لهذه الغاية " . كما نجد ألفرد مونت البريطاني يصدر كتابه (الجار) , حيث قال فيه : " إنني أتطلع بلهفة بالغة إلى ذلك اليوم الذي تصبح فيه فلسطين وشرق الأردن وحدة ضمن الإمبراطورية , وتشغل مركزاً هاماً في جسم تلك الإمبراطورية , وتدافع عن هذه الوحدة عدة ملايين من اليهود الذين تربطنا بهم رابطة الود والإخلاص والمدنية " .

قامت الحرب العالمية الأولى وكان النصر لصالح قوى التحالف , وعند بداية الحرب صرح وايزمان : " إذا دخلت فلسطين ضمن نطاق النفوذ البريطاني , وشجعت بريطانيا عملية الاستيطان لليهود , وأصبحت دولة خاضعة للنفوذ البريطاني , فخلال (20 – 30) عاماً سيصبح في فلسطين مليون يهودي " , فشكلت الماسونية عصبة الأمم , واتخذت قراراً بانتداب

الأراضي العربية التي خرج منها المستعمر العثماني , وكانت خرائط تقسيم بلاد الشام والمنطقة قد رُسمت خلال فترة الحرب العالمية الأولى والمعروفة باتفاقية (سايكس – بيكو) وذلك في عام / 1916 / م , كما كان الوعد الذي أُعطي للصهاينة اليهود قد مُنح وذلك في عام / 1917 / م , والذي ينص على ما يلي : " إن جلالة الملكة تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي , وسوف تبذل أقصى جهودها لتسهيل هذه الغاية , على أن يفهم جلياً أنه لا يجوز عمل شيء قد يضر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين , ولا الحقوق ولا المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد غيرها " . ورغم أن الصهاينة حصلوا على هذا الوعد إلا أنهم لم يكونوا راضين به , لأن آمالهم كانت أكبر من هذا الوعد , فهم يريدون وطناً قومياً يهودياً , وليس وطناً قومياً للشعب اليهودي , فالفارق كبير بينهما , فالأول يعني أن كل الأرض هي ملك لكل يهودي فقط وبإمكانه طرد أي شخص غير يهودي , أما الثاني فيعني أن يتأقلموا مع الشعوب الأخرى والديانات الأخرى . لم تصدر بريطانيا هذا الوعد عن عبث , فهي تعي جيداً أهداف الصهيونية وتعلم أيضاً جيداً عقلية اليهودي وأخلاقياته وما يتمتع به من خيانة وغدر وحقد , كما إن عدم استقرار المنطقة يحقق لها أقصى أهدافها . بدأت بريطانيا تسهل عملية دخول اليهود إلى فلسطين فمنحتهم الأراضي وأقامت لهم المنازل والمصانع , وبدأت المنظمات الصهيونية المسؤولة عن هجرة اليهود إلى فلسطين تنشط في كل أرجاء أوروبا وخاصة في روسيا محاولة نقل اليهود الأشكناز تحديداً , وبدأ تسليح اليهود , حيث قال بن غوريون : " كنا ننتظر مجيء الأسلحة ليلاً ونهاراً , ولم يكن لنا حديث إلا الأسلحة , وعندما جاءتنا , لم تسعنا الدنيا لفرط فرحتنا , كنا نلعب بالأسلحة كالأطفال ولم نعد نتركها أبداً , كنا نقرأ ونتكلم والبنادق في أيدينا أو على أكتافنا " , وفي عام / 1918 / م اجتمع وايزمان بالأمير فيصل بن الملك حسين , وأقنعه بأن الأرض تتسع للعرب ولليهود معاً طالباً منه مساعدتهم , فوافق فيصل وأعرب عن رغبته بأن يرى العرب واليهود متعاونين ويعيشون بسلام , وقال : إن مستقبل الشعبين مرتبط بالشرق الأوسط , وأن من واجب الشعبين الاستعانة بصداقة الدول الكبرى , كما اعترف بوعد بلفور وذلك في 3 / 1 / 1919 م ووعد بأفضل العلاقات بين الدول العربية التي ستنشأ في الشرق وبين الكيان الصهيوني , وبعد شهرين أرسل رسالة إلى القاضي الصهيوني (فيلكس فرانكفورتر) الذي كان عضواً في الوفد الصهيوني في مؤتمر فرساي بفرنسا يؤكد فيها على ما قاله لوايزمان . اختارت بريطانيا السير هربرت صموئيل

اليهودي ليكون أول مندوب سامي لها في فلسطين , وأطلقت يده لاتخاذ ما يراه مناسباً من إجراءات في البلاد , فسلم اليهود جميع وسائل الصناعة وجعلهم مشرفين على التربية ومهد لخلق إمارة شرق الأردن حيث عمل على تأمين اجتماع بين تشرشل وزير المستعمرات البريطانية آنذاك وبين الأمير عبد الله وذلك في شهر آذار من عام / 1921 / م والهدف من الإمارة هو وضع حاجز من الموالين لبريطانيا يحمون الكيان الصهيوني من هجمات الثوار العرب , كما أعلن أن اللغة العبرية هي اللغة الرسمية للبلاد إضافة إلى الإنكليزية والعربية , وفي عشرينيات القرن العشرين , شكلت الوكالة الصهيونية اليهودية العالمية شبكة تجسس , وكان الوطن العربي هدفاً من أهدافها , فعملت سراً تحت شعار تنظيمات شرعية , مثل الأندية الميكابية أو منظمات خيرية , وفي الثلاثينات أنشأت الهاجانا قسماً للمخابرات برئاسة موسى شاريت (شيرتوك) , فتشكلت عام / 1937 / م , المخابرات الصهيونية (الموساد) , وأول ما تم فيه تدريب اليهود العرب للقيام بأعمال تجسس , وأطلق عليهم اسم " أولاد العرب " . يقول وايزمان في مذكراته , إنه هو من اقترح على بريطانيا تعيين هربرت صموئيل , كما نجد في كثير من فقرات مذكراته لهجة تعالٍ , وكأنهم هم من يقودون بريطانيا وغيرها , ولو أني أرى في ذلك مبالغة كبيرة جداً , ولكن برأيي هذه المبالغة تخدم بريطانيا أكثر من الصهيونية , لأنها تظهرها بالمظهر الضعيف بينما هي من تدير العالم فلا يشك فيها , على عكس الصهيونية التي تحاول أن تظهر بمظهر القوي السيد الذي يعطي الأوامر , لتوهم الآخرين بأن اليهودي قوي لا جبان وضعيف , حيث نراه يقول : " لقد احتضنت بريطانيا الحركة الصهيونية منذ نشأتها , وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها ووافقت على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب وذلك في سنة / 1934 / م لولا الثورات المتعاقبة التي قام بها عرب فلسطين , حيث كتمت إنجاز هذا الاتفاق في الموعد المذكور " , أعتقد أن هذا الكلام مبالغ فيه , ويناقض وعد بلفور , صحيح أنه قرار مجحف وتدخل صارخ في شؤون ليس من حق بريطانيا ولا غيرها التدخل فيه , إلا أنه كان مدروساً بشكل حرفي على أعلى مستوى , فمن الواضح أن البريطانيين لا يريدون أن يعيش اليهود بهناء , فهو وعد صراع بين أصحاب الأرض الأصليين وبين اليهود , وهو لصالح بريطانيا بالدرجة الأولى , وإن قيل لهم ذلك فهو من باب المراوغة والمهادنة , وتظهر مبالغته عندما قال : " نحن اليهود الصهيونيين كنا نسعى لإقامة دولة لنا في فلسطين , وقد انتدبنا الإنكليز لحكمها , واستعنا في هذا بعصبة الأمم , فنحن من سلمنا فلسطين للإنكليز مؤقتاً , وليس هم من وهبوها

لنا بعد ذلك " , مع العلم أن المنطق يقول خلاف ذلك , إن نموذج وايزمان هو نموذج اليهودي بشكل عام . عندما رأى الفلسطينيون أن فلسطين سوف تصبح للصهاينة , طالبوا بريطانيا بأن تُسلمها لهم , إلا أن تشرشل قال لهم : " إن المسألة ليست أن الشعب العربي في فلسطين أقل تقدماً من جيرانه , لكن تشكيل حكومة في فلسطين سيحول دون تنفيذ العهد الذي قطعته الحكومة البريطانية للشعب اليهودي بإنشاء وطن لهم في فلسطين " , عندها أيقنوا بُعد المؤامرة وخاصة بعدما شاهدوا تدفق اليهود بشكل كبير , فقد كان عدد اليهود عام / 1918 / م خمسة وأربعين ألفاً , بينما وصل عددهم في عام / 1936 / م إلى أربع مئة ألف , وكان لهم عاصمتهم تل أبيب وعلمها الوطني ونشيدها القومي ونظامها الثقافي وشبكة من المصالح الاجتماعية والاقتصادية وتتصل بيهود العالم عن طريق الوكالة اليهودية العالمية , وكانت تدير شؤونها الداخلية عن طريق مجلس الربانيين , وتكوّن جيشها الذي كان يقوم بتدريبه المستعمر البريطاني , فشكل فرقة يهودية ضمن جيشه أطلق عليها اسم (الشاويش بريجد) والذي أصبح فيما بعد نواة لجيش الكيان الصهيوني , وبالمقابل أثقل المستعمر البريطاني كاهل السكان الأصليين بالضرائب وضيقت عليهم بالقرارات وسلبت منهم أراضيهم بشكل أو بآخر , وحرمتهم من المياه التي تروي أراضيهم واشترت الأراضي من العرب غير الفلسطينيين الذين كانوا يقيمون في فلسطين وحرمت على العرب حمل السلاح وشجعتهم على الهجرة , فقام العرب بثورات لمنع اليهود من استلام زمام السلطة في فلسطين , مما أجبر البريطانيين على النظر في المسألة , فلم يُعجب الصهاينة بسياسة بريطانيا الجديدة ومهادنة العرب , فبدأت تشن هجماتها على القوات البريطانية , فدمروا لهم منشآتهم ونسفوا دورهم وقتلوا كل شخص يشكون بأنه لا يرغب بخدمتهم وشنقوا شرطة بريطانيين على قارعة الطرقات , وفجروا فيهم فندق الملك داود , مما دعا بن غوريون إلى عدّ ما يجري ثورة شعبية , وأعلن أن الوكالة اليهودية في فلسطين لن تستطيع أن تساعد في وقف هذه الثورة الشعبية , فاضطر الإنكليز لمهادنة اليهود ومساعدتهم , فأعلنت أنها سوف تنسحب من فلسطين في 15 / 7 / 1948 م , وفكرت بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود , إلا أن العرب رفضوا الفكرة جملة وتفصيلاً , على الرغم من أن مسألة التقسيم تحولت إلى قضية دولية , بعدما تم عليها التصويت في هيئة الأمم المتحدة . كانت بريطانيا في هذه المرحلة ليست على ما يرام , رغم خروجها منتصرة في الحرب العالمية الثانية , فقد استفاد العرب كثيراً من إشعال هتلر نيران الحرب العالمية الثانية , وأضعف الماسونية لدرجة كبيرة ,

فأرغمها ضعفها على إتباع سياسات جديدة . وفي الموعد المذكور سابقاً سلمت بريطانيا فلسطين إلى اليهود , بعد أن جهزتهم وأيقنت أنهم أصبحوا قوة يستطيعون الاستيلاء على حكم البلاد , فثار غضب العرب , ودفعت بجيوشها للدفاع عن الأرض المقدسة , فرجحت كفة العرب واقترب النصر , فاضطرت القوى الاستعمارية للتدخل وأجبرت العرب على إيقاف القتال لمهلة محدودة , وخلال هذه المهلة انهالت الأسلحة الغربية المتطورة على اليهود , وكذلك انهال المتطوعون الغربيون من كل حدب وصوب , مما ضمن لليهود النصر في الجولة الثانية , وبالمقابل تم شراء ذمم الجيش الأردني الذي كان يقوده (جلوب باشا) الإنكليزي .

قام الكيان الصهيوني على الأرض المقدسة فلسطين فاعترفت به أمريكا وروسيا والدول الغربية , وأخرج اليهود السكان الأصليين من أرضهم وسلبوا ممتلكاتهم , وأوقعوا بهم المجازر , وقاموا بتعذيبهم وطردهم من البلاد ليعيشوا في خيام في العراء , فنزلوا في الأراضي التي لم تحتل بعد وفي البلاد العربية صفر اليدين , ومن أجل عدم تفريغ البلاد من كل السكان الأصليين أصدرت هيئة الأمم المتحدة قراراً يقضي بإنصاف اللاجئين , إلا أن الكيان الصهيوني لم يكن منصاعاً له .

أطلق بن غوريون على احتلالهم لفلسطين بالعودة الثالثة حيث قال : " رغم أن الكثير من الأمم اندثرت حضارتها ولغتها وزالت عن الوجود هي وأسماؤها , إلا أن شعب إسرائيل فبرغم نفيه عن أرض الميعاد ألفي عام فقد احتفظ بتقاليده ولغته وحضارته كما لو أن حبل تاريخه لم ينقطع أو يلتوي على الإطلاق فهو شعب عريق عمره أربعة آلاف عام " وفي حديث صحفي في 8 / 1 / 1961 م ، صرح : " إن إسرائيل هي الدولة الحقيقية الوحيدة في الشرق الأوسط , فهي الدولة الوحيدة المستمرة منذ بداية التاريخ , فاليهود فقط هم الذين يتكلمون اللغة نفسها ويمارسون العقيدة نفسها , كما كانوا أيام ظهور الكتاب المقدس " , ويتابع فيقول : " إن سوريا ولبنان والعراق ومصر فقدت لغتها القومية وثقافتها " ثم يسأل إن كان بإمكان جمال عبد الناصر أن يتكلم شيئاً بلغته المصرية , أما بن غوريون فقد قال : " إن دخول أرض الميعاد في المرة الأولى كان عن طريق مصر وبابل قادمين من الشرق براً , ولكن في المرة الثانية دخلناها بحراً من قبل الغرب " .

إن احتلال اليهود لأجزاء من فلسطين لا يعبّر عن المشروع الصهيوني وإنما يعبر عن انطلاقته , أما حقيقة المشروع فهو من مصر حتى الفرات على الأقل , وقد بدأت تظهر معالمه عندما قال الحاخام فيشمان عضو الوكالة اليهودية في 9 / 7 / 1947 م , أمام لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة : " الأرض الموعودة تمتد من نهر النيل حتى الفرات , وتشمل أجزاء من سوريا ولبنان " , فشعار حدودهم من الفرات إلى النيل ليس مجرد تهمة عربية ناجمة عن العقلية التي تؤمن بالمؤامرة , بل هو جزء من التصور الصهيوني , بل أكثر من ذلك أيضاً , فالحدود التي يضمرونها أكبر من تلك الحدود , فكتبهم السماوية تحدد النهرين المذكورين وهما الفرات والنيل وكذلك البحرين الأحمر والمتوسط , وتصرح أيضاً أن كل أرض تطؤها قدم اليهودي هي ملك له ويؤكد موشى ديان في 12 / 2 / 1952 م على استمرار السعي لإنشاء إمبراطورية إسرائيلية فيقول : " هي عملية مستمرة لم ولن تنتهي بعد , فعملية بناء الوطن بدأت منذ مئة عام , ولن ندع أي يهودي يقول إن هذه هي نهاية العملية , ولن ندع أي يهودي يقول إننا نقترب من نهاية الطريق " , ويقول مناحيم بيغن في كتابه (الثورة) : " أنا أحارب إذاً أنا موجود " ثم يوضح ذلك فيقول " إن الدم والنار والدموع والرماد سيُخرج نموذجاً جديداً غير معروف من الرجال , المحارب أولاً وقبل كل شيء , بالدم والعرق سينشأ جيل متكبر كريم قوي " , كما ينسب كل التقدم إلى القوة فيقول : " إن قوة التقدم في تاريخ العالم ليست في السلام , بل في السيف " , إن هذا الكلام دليل على أن الصهيونية تحولت إلى الامبريالية , فمن مواصفات الامبريالية تصدير أزماتها إلى الخارج لصرف نظر شعبها عن مشاكلها التي في الداخل , فهي تعي ما سينجم من أخطار فتح باب الهجرة على الكيان , وخاصة بعد دخول السفارد والفلاشا واليهود العرب . فقد كان مشروع الصهيونية يقتصر على الأشكيناز , ولكن عندما بدأت جحافل السفارد والفلاشا وغيرهم تدخل فلسطين , بدأ قادة الكيان يفكرون محاولين وضع قوانين من شأنها أن تحل المشكلات التي سببتها هذه الهجرات غير المتوقعة وخاصة إذا علمنا أن اليهود من غير الأشكناز أصبحوا أكثر عدداً منهم في الكيان , فساعد تصدير الأزمات وإشعال الحروب في دول الجوار على الحد من ظهور تلك المشكلات بشكل جليّ , وأول ما بدأت به الصهيونية , ارتكاب المجازر بالشعب الفلسطيني , ومحاولتها تفريغ البلاد من المواطنين الأصليين , وهذا أول فشل لها , فقد قرر هذا الشعب الأعزل أن يقاوم الاحتلال بتشبثه بأرضه فقط رغم الجوع والعطش وقلة الموارد , فنجح في ذلك وظل يقيم في الأراضي التي أعلنها الكيان دولة له , مما

جعل هذا الكيان يخشى من القنبلة الديموغرافية لهذا الشعب , بعد أن تنبه إلى أنه بعد عدة سنوات سوف يفوقه بعدد السكان في أراضي الثمانية والأربعين / 48 / , لذلك فكر بطرد السكان الأصليين .

وضحنا سابقاً أن هذا الكيان هو من صنع الماسونية , وأنها وضعته لخدمتها لا على سواد أعين الكيان لذلك أوكلت إليه مهام يجب أن يعمل على تنفيذها ولكن هذه المهام , في الوقت عينه , تحقق له أهدافه , وأول عمل قام به الكيان بعد احتلاله فلسطين , هو مشاركته في العدوان الثلاثي على مصر عام /1956/ ومن ثم حرب عام / 1967 / م , لكن بعد ذلك بدأ حرب الاستنزاف , وهذا النوع من الحروب ليس للكيان طاقة به , فهو لا يطيق الثورات ولا يحب القتال الطويل , وعنده أن آخر ثورة قام بها هي ثورة باركوزيبا وهي آخر نوع من هذا القتال , وبعدها اعتمد اليهود الحرب بالوكالة , أي إشعال حروب لصالحهم دون أن يخسروا شخصاً واحداً , وما هاتان الحربان اللتان خاضوهما إلا لإظهار حسن النية لسيدهم الماسوني , لذلك بدأت الحركة تحوك المؤامرات وتجند الجاهلين من غير بني جلدتها لتنفيذ أهدافها دون أن يعلم المنفذ ذلك , معتمدة على مقولتين لابن رشد وهما : " أخطر شيء على الإسلام جاهل يكفر الناس " و " من السهل أن تأخذ الجاهل حيثما تريد , فقط غلف له أي مادة بغلاف الدين " , أي استغلال العاطفة التي يتمتع بها الجاهل لأن العاطفة غريزة وليست استجابة لأي وعي من صاحبها .

قبل أن أبدأ بالأسلوب الذي اعتمده الكيان , دعوني أوضح الصورة في ذلك العصر , فقد كان العرب وما زالوا صنيعة الاستعمار التركي والامبريالي , ولا أقصد هنا بكلمة ما زالوا أنهم عملاء أو ما شابه , على الرغم من وجود عمالة في أغلب المسؤولين العرب بمن فيهم أغلب الحكام , بل أقصد أنهم لا يزالون يتمتعون بالتركيبة الاجتماعية والعقلية والذهنية التي قام بصنعها هذان المستعمران , أي أننا لا نزال نعيش النمط الذي غرساه فينا وبمعنى آخر إنهما اللذان شكلا تكويننا النفسي والذهني , فنحن لا نزال بعيدين كل البعد عن أصالتنا التي يشهد لها التاريخ , والسبب في ذلك أننا لا نزال نتمسك بالتركة الاجتماعية والثقافية التي خلفها لنا الاستعمار , ومن صفاتها (الجهل , الفقر , التخلف , التواكل , الشعور بالخوف , الشعور بالضعف والعجز , الشعور بأننا لا يمكننا أن نبدع , الدين هو الحل الوحيد وأن الحل بيد الله

وما علينا سوى الانتظار , عدم الاعتماد على العلم والاستعاضة عنه بجمع المال لتحقيق شخصيتنا الذاتية الفردية , الهم والتفكير الفردي , عدم الإيمان بالعمل الجماعي , ... إلخ) , مما سهل عليه تنفيذ مؤامراته ومخططاته . هكذا كانت ولا تزال الشخصية العربية , عدا البعض الذين يؤمنون بقوة الإرادة وقوة العلم والمعرفة , ونحن لسنا بصدد ذكر من هم . وبناء على ذلك من الضروري أن نوضح مسألة خطيرة جداً جداً , وهي مسيرة الإخوان المسلمين كي تتضح الصورة بشكلها الجلي والواضح للقاصي والداني فنقول :

في عشرينيات القرن العشرين قام الشيخ حسن البنا بتأسيس حركة الإخوان المسلمين , وكانت حركة تدعو لتطبيق الشريعة الإسلامية , ونحن لسنا بصدد إن كانت ضرورية أم لا مع أني لست مع الحركات الإسلامية , ولست مع الحركات النهضوية التي تبتعد عن الإسلام , فأنا مع الحركات النهضوية العلمية التقدمية التي تأخذ الشريعة الإسلامية بعين الاعتبار بعيداً عن التعصب , مع الاعتراف والقبول بالأديان الأخرى واحترامها مهما كانت عقيدتها توحيدية أم خلاف ذلك , لأن الله هو من الذي سوف يحاسبهم , وليس أنا , عدا الديانة اليهودية لأنها فكر إجرامي إرهابي وكتبها أكبر وثيقة تثبت أنها ضد الإنسان والإنسانية , وأتبنى هذا الموقف لأسباب لا ضرورة لذكرها الآن فهي خارج البحث , وأياً يكن موقفي فقد تشكلت الحركة وكانت حركة وطنية وقد أبلت بلاءً حسناً في حربها ضد الكيان الصهيوني عام / 1948 / وكان حسن البنا شخصية اعتبارية تستحق الاحترام وكان وطنياً , كما كان ضد كل من يدعو للثورة والقتال ضد السلطات المحلية . ففي يوم ما عاتب الشيخ حسن , صديقه عبد الرحمن السندي المسؤول عن مكتب التنظيم السري في الحركة , لأنه أعطى أوامر دون علمه لاغتيال كل من الخزندار والنقراشي اللذين كانا من السلك الحكومي والأمني لمصر في أربعينيات القرن العشرين , رغم أن كليهما كانا يعملان على سجن وتعذيب أعضاء الحركة , وقال له جملته الشهيرة : " نحن دعاة ولسنا قضاة " , وهنا يتضح أن هدف الحركة في عهدها الأول لم يكن للتحريض ضد الحاكم , بل ضد الاستعمار الإنكليزي والأمريكي والكيان الصهيوني . وفي عام / 1949 / م اغتال عملاء القوات البريطانية واليهودية الشيخ حسن البنا فاختارت الحركة حسن الهضيبي زعيماً لها , حيث كان قاضياً مستشاراً في محكمة الاستئناف مؤيداً للحركة وقد ساعدها من خلال منصبه , وقبل الهضيبي هذه المسؤولية نزولاً عند رغبة أعضائها , ومن أهم أسباب

اغتيال الشيخ البنا , القوة التي أظهرها أعضاء الحركة في حربها في فلسطين , والسبب الأهم أن الشيخ كان يعقد لقاءات مع حزب الوفد الذي كان يترأس حكومة الملك , وكانت الحركة تستعد للانخراط في الحكم مع حزب الوفد .

اتفق الهضيبي مع جمال عبد الناصر على انقلاب ضد الملك , وتقاسما المهام إن نجح الانقلاب , وحدثت ثورة الضباط الأحرار عام / 1952 / م , إلا أن جمال سلَّم محمد نجيب رئيساً للجمهورية , ونقض العهد مع الإخوان , وبعد سنتين استلم الحكم رسمياً , وعمل على تفكيك الحركة فسجن قادتها وعذب أعضاءها , فانتهى بذلك الفكر والعقلية التي عمل عليها الشيخ البنا , وفي عام / 1966 / م تم إعدام السيد قطب وعدد من قادة الحركة فأعلنت الحركة عن انحلالها ولم تعد هناك ولا حتى بقايا حركة , وبعد هذا العمل الذي قام به جمال , بدأت تخرج دعايات وأحاديث تدعو لتكفير الحاكم والسلطة , وتبث أفكار أحمد بن تيمية وأبي الأعلى المودودي وتنشر كتبهما , وفي مطلع سبعينيات القرن العشرين جاء رجل اسمه محمد سالم الرحال أردني الجنسية وكان يدرس بجامعة الأزهر , وبدأ يدغدغ عواطف الناس من أجل إعادة تشكيل الحركة , واستطاع جمع بعض الشباب , وعودة بعض الأعضاء القدامى , وبدأ يحرض على الحاكم ويرى أن جلَّ مشكلات الأمة وأسباب تخلفها من الحكام العملاء المرتبطين بالاستعمار والكيان , ولكن بعد عدة سنوات سافر إلى الأردن ولم يعرف عنه شيء , إلا أن البعض اعتقد أنه عميل للموساد الصهيوني , فاختفى وغاب عن الوجود دون أن يعلم أحد كيف اختفى , فاستلم مكانه محمد عبد السلام الفرجي , ونشر كتابه الشهير (الفريضة الغائبة) ويقصد بها فريضة الجهاد ضد الحكام أولاً وعندما يفرغ الشعب من هذا الجهاد , سيبدأ بالجهاد الثاني أي قتال الاستعمار الغربي والكيان الصهيوني , [ملاحظ أن الجهاد الثاني ليس إلا ستارة للجهاد الأول للقبول به وجعله عقيدة] , وقد برر عقيدته هذه بكتابه عندما عدّ أن طواغيت الأرض لن يزولوا إلا بقوة السيف , وأن الرسول قد بشر بإقامة الدولة الإسلامية وإعادة الخلافة , وأن هذه الأوامر هي أوامر المولى عز وجل , وواجب كل مسلم بذل قصارى جهده لتنفيذها , وهذا فرض عين على كل مسلم , حتى لو أدى الأمر إلى القتال , وقد ركز كل جهوده على استقطاب الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والثلاثين سنة .

لقد استطاعت الماسونية بالتعاون مع الصهيونية قلب أفكار الحركة رأساً على عقب , وهذه الأفكار هي عكس أفكار الشيخ حسن البنا , لقد تحولت الحركة من حركة تحررية ضد الاستعمار مع الحفاظ على الشريعة الإسلامية إلى حركة تخدم الاستعمار من خلال إقامة حروب داخلية يخسر فيها العرب ويربحها أعداء أمتنا , دون أن يخسر أي شيء , بل على العكس فسوف يتفرغ لإعداد قوته لتحقيق أهدافه التي يطمح إليها وفي ذروتها إبادة أمتنا العربية والإسلامية .

وبذلك يكون العرب على الصورة الآتية : ضعف عربي شديد مع شرذمة , وجهل وتخلف وفساد , وأدوات فكرية لاهوتية قديمة لا تغني ولا تسمن من جوع , وقوتان موجهتان للداخل تخدم الأعداء وهما حركة الإخوان المسلمين بثوبها وفكرها الجديد , والحركة الوهابية التي تكلمنا عنها سابقاً .

رغم كل ذلك لا تزال بقايا جذور الروح العربية تسعى لئلا تكون على هامش التاريخ رغم الفارق بكل شيء بينها وبين أعدائها , والأهم أنها لم تدرك حتى هذه اللحظة الأولويات التي يجب أن تبدأ بها لتصبح قوة ضاربة وتظهر شخصيتها الفريدة والمستقلة وتتخلص من التبعية , فبدأت بحرب الاستنزاف بعد هزيمتها في حرب نكسة حزيران عام / 1967 / م , ومن ثم قام القائد الكبير (حافظ الأسد) بالتعاون مع مصر بشن حرب شعواء على الكيان عام / 1973 / م , وسميت حرب تشرين التحريرية , إلا أن الاستعمار الامبريالي وضع جزءاً من قوته ليعيد التوازن , وبعد هذه الحرب بدأت الماسونية بالتعاون مع الصهيونية بالتفكير ملياً , لتحقيق الأجواء المناسبة لتدمير الحضارة الإسلامية وإزالتها من الوجود , وبدأ يعد ويهيئ الرأي العام الغربي ليتقبل هذه الأفكار , فبدأ بضخ الكتب , وبكميات كبيرة , والتي تبيّن أن الإسلام دين إرهاب , والمسلمين شعوب إرهابية , وأنها شعوب مستهلكة لا فائدة منها فهي لم تساهم بصنع الحضارة , ناهيك عن طمس كل كتاب يوضح دور الإسلام والمسلمين في بناء الحضارة الإنسانية , فبدأت ببث كتب توضح فيها أنهم لم يقدموا شيئاً للبشرية , والأولى أن يتم التخلص منهم قبل أن يقضوا على الحضارات لكن جزءاً كبيراً من الشارع الغربي الذي لا يقبل الكلام دون تمحيص , وجد في ذلك إجحافاً بحق هذه الشعوب الضعيفة , فلم يتفاعل مع ما أرادوه أن يكون . لقد بدأ هذا التوجه منذ عام / 1974 / م , أي بعد عقد مؤتمر المستشرقين في باريس .

ذكرنا أن الصهيونية هي مشروع , وطالما هي مشروع فإنه سوف يتطور ويتوسع بين حين وآخر حسب حجم العمل المنجز من جهة وحسب الظروف المتوافرة لإنجاز المرحلة التالية من جهة أخرى , وذكرنا أن هناك فارقاً بين أهدافها وأهداف الماسونية , على الرغم من التقائهما في بعض الأهداف , مما سهّل التعاون بينهما لتحقيق أهدافهما المشتركة , إلا أن الصهيونية استطاعت أن تؤثر بالماسونية بشكل كبير على الصعيد الديني , وبالأخص في قضية المسيح المنتظر , لقد استطاعت أن تؤثر عليها وتدغدغ مشاعرها وخاصة أن المكوّن الأول من الماسونية هم أوروبيون بروتستنت , فبدأت تظهر المسيحية المتصهينة , وهي حركة تهدف لاسترجاع المسيح ليعمل على هدايتهم وتحويلهم إلى المسيحية , وأغلب معتنقيها من الكنيسة الإنجيلية والبروتستانت , فظهر من بينهم مفكرون قدموا خدمات جليلة تصب في خدمة الصهيونية , ومن بينهم :

وليام هكلر (1845 – 1931) وهو بريطاني يعمل في السفارة البريطانية في فيينا وهو الصديق الحميم لهرتزل وقد قدم خدمات عديدة لهم .

والبريطاني لورانس أوليغانت (1829 – 1888) تبادل الرسائل مع دزرائيلي عندما كان الأخير رئيس وزراء بريطانيا وهو يهودي اعتنق المسيحية , أُرسل أولفانت إلى فلسطين لدراسة فكرة الاستيطان , فرأى إمكانية ذلك وأنه سيضمن تغلغل بريطانيا الاقتصادي والسياسي في فلسطين , وفي عام / 1880 / نشر كتاباً نادى فيه بالاستيطان اليهودي ليس على أساس سياسي واقتصادي فقط بل على أساس ديني وهو عودة المسيح , وفي عام / 1882 /م استقر هو وسكرتيره اليهودي نافتالي هيرزامبير مؤلف نشيد الهاتكفا (الأمل) والذي أصبح النشيد الوطني للكيان الصهيوني , ومن الطريف أن أوليفانت استقر في فلسطين إلى أن وافته المنية , بينما نفتالي مؤلف النشيد رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لأنه لم يطق العيش في فلسطين .

الكولونيل ج . ب . ويدجود (1872 – 1943) طالب بتوطين أبناء (موسى والأنبياء) في فلسطين , لتستفيد منهم الإمبراطورية سياسياً واقتصادياً , وأكد على التشابه الكبير بين الشعب الإنكليزي واليهود , حيث قال : إن كلا الشعبين يعملان بالربا , ويتجولان ويتنقلان بين

الشعوب الأخرى للتجارة , ويكنّان الاحتقار لباقي الشعوب , وكلاهما لا يتمتعان بمحبة الآخرين لهما , وكلاهما على استعداد لاستخدام كتبهم المقدسة للتبرير , وكل ما يحتاجان إلى تبريره في علاقتهما بالجنس البشري .

الإنكليزي أوردو ينجنت (1903 – 1944) : ولد في الهند وتعلم اللغة العربية مع العلم أنه يكره الإسلام والقرآن , دخل فلسطين عام / 1936 / م كضابط استخبارات , وكان مقتنعاً بأنه مرسل بمهمة دينية إلهية مقدسة لإنقاذ بني إسرائيل , وهو من وضع أسس جيش بني صهيون .

ويقول المتصهين سيركين : " إن الانتحار القومي اليهودي مأساة رهيبة لليهود أنفسهم , كما ستكون الحقبة التي تقع فيها هذه الواقعة أفجع ما سيعرفه تاريخ البشرية , لأن القضاء على اليهود يعني القضاء على البشرية " .

الكاتب البولندي المتصهين ناحوم سوكولوف (1859 – 1931) م , بيّن في كتابه (تاريخ الصهيونية) تعاطف بريطانيا وتفهمها للحركة على أساس بعض الأسباب النبيلة مثل الطابع الإنجيلي للشعب الإنكليزي , إضافة إلى الحب الذي يكنه الشعب الإنكليزي لفلسطين , والسياسة الإنكليزية للشرق الأدنى والأوسط .

نادى الكولونيل البريطاني جورج جاولر (1796 – 1869) وقد كان حاكماً لجنوب استراليا , بإعادة استيطان اليهود في فلسطين لحماية الاتصال بين مختلف أنحاء الإمبراطورية , ويرى أن العناية الإلهية هي التي وضعت كلاً من سوريا الكبرى ومصر بين مناطق نفوذها الاستعمارية والتجارية .

اللورد البريطاني بالمرستون (1784 – 1865) وقد كان وزير خارجية بريطانيا , حيث قال : " يجب استخدام اليهود مخلب قط لقمع العرب " , وفي 11 / 8 / 1840 م بعث رسالة إلى السفير البريطاني في اسطنبول جاء فيها : " إذا عاد أفراد الشعب اليهودي إلى فلسطين تحت حماية إمبراطوريتنا , فسوف يكونون حراساً لمصالحنا " .

هؤلاء هم غيض من فيض . لقد استطاع الصهاينة أن يجندوا لصالحهم سياسيين واقتصاديين ومفكرين ومسؤولين من الأغيار إما عن طريق الإقناع أو عن طريق الصداقة أو الرشوة أو النساء , فقد استخدموا جميع الوسائل ليحققوا أهدافهم ومخططاتهم التي رسموها , أضف إلى ذلك أن هذه التصريحات والأعمال التي قدموها للصهيونية لا تخدم اليهود فقط , بل تخدم مصالح بلادهم أكثر من خدمتهم , ونحن كأمة عربية وإسلامية لا نزال نجهل الكثير , وإن علمنا فإننا لا نعمل ولا نخطط , والمسألة بسيطة هي أننا لا نزال في عصر الانحطاط , ومتى فكرنا بالخروج من هذا العصر , وبدأنا نعمل , فإن أمتنا ستصل إلى أقصى مبتغاها خلال فترة وجيزة , وإني أرى أن هذا اليوم بات قريباً .

كل القرارات والقوانين التي أتت بعد حركة الهسكالاه وتشكيل الصهيونية قد أتت لصالحهم باستثناء القرارات التي صدرت في روسيا بعد اغتيال القيصر على أيديهم , لذلك يمكننا القول إنه لو لم يتبنَّ اليهود عقلية تختلف عن العقلية القديمة , والفكر القديم لما وصلوا لما وصلوا إليه الآن , وبعبارة أخرى , لو لم ينتقل اليهود من طريقة التفكير بعقلية الموجة الأولى (الموجة الزراعية) , والتي تتميز بالفكر اللاهوي إلى عقلية الموجة الثانية (الموجة الصناعية) , والتي تتسم بالفكر العلمي , لما استطاعوا جعل الظروف كلها في صالحهم , أضف إلى ذلك , أنهم عملوا مع بعضهم بعضاً بيد واحدة كالبنيان المرصوص , مثل خلية النحل , رغم كل الفوارق التي تتمتع بها كل جماعة منهم .

إن الصهيونية هي مشروع مادي قبل أن تكون أي شيء آخر , وبداية هذا المشروع هو جمع بعض المجاميع اليهودية في فلسطين (أرض الميعاد) , والمشروع كما ذكرنا هو الخطوات الأولى التي أعدوها واتبعوها ليصلوا إلى هدفهم , والحركة الصهيونية ما هي إلا جزء من أهداف المكون اليهودي للماسونية والذي أَقنع به المكون البريطاني , ووضحنا أهداف المؤتمر الذي عقده رئيس الوزراء البريطاني كامبل نبرمان قبل الانتداب عام / 1907 / م , أي قبل الحرب العالمية الأولى بسبع سنوات , ويمكنني أن أقول : إن الحرب العالمية الأولى كان يجهز لها قبل انعقاد المؤتمر بسنوات , وهذا ما تنبأ به سيرجي نيلوس العالم الروسي , حيث سنوضح ذلك لاحقاً .

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى , سقوط الإمبراطورية العثمانية وفراغ سياسي في دول الوطن العربي , مما دعا الدول الاستعمارية إلى تشكيل عصبة الأمم بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى , وإصدار قرارات تقضي بانتداب الأراضي التي خلفها المستعمر العثماني التركي , وكلمة انتداب تعني أن على الدول العظمى أن تعمل على إعادة تشكيل هذه البلدان وتقيم منها دولة قادرة ثم تسلّمها إلى أصحاب الأرض عندما تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها , لكن الذي حدث أن الاستعمار البريطاني أعطى وعداً لليهود بأن يجعل من فلسطين وطناً قومياً لهم بوعد " بلفور " عام / 1917 / م وهذا نصه : " إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي , وسوف نبذل أقصى جهودنا لتسهيل هذه الغاية , على أن يفهم جلياً أنه لا يجوز عمل أي شيء قد يضر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية في فلسطين ولا الحقوق ولا المراكز السياسية التي يتمتع بها اليهود في أي بلد غيرها " .

لو دققنا جيداً بكلمات هذا الوعد والتي كُتبت بمهنية وحرفية عالية , لوجدناها لصالح بريطانيا , وما على اليهود إلا أن يقاتلوا لحماية المصالح الامبريالية , وليس من حقهم أن يرتاحوا ويعيشوا بأمان , لأن في ذلك ضرراً للمصالح الإمبريالية , لأن ارتياح المنطقة والسيطرة عليها من قبل أحد الطرفين العربي أو اليهودي , يعني ازدهار المنطقة وبالتالي الحد من سيطرة الماسونية على العالم مما سيؤدي إلى انخفاض سيطرتها على موارد العالم وهذا ما لا تريده الماسونية , وقد تحارب بنفسها لتحقيق مصالحها إذا وجدت ضرورة لذلك فالوضع الأمثل والأسهل والأنجع والأوفر هو بقاء الصراع العربي الصهيوني في المنطقة مستمراً وبشكل دائم , فعدم افتعال الحروب في العالم يعني ازدهاره وضرب المصالح الامبريالية .

أهم كتابين عند اليهود هما التوراة والتلمود , ويذكر حاخامات اليهود أن التوراة والسيف نزل علينا من السماء , وباطلاعك على هذين الكتابين فإنك ستجد فكراً لم ولن تجده عند أي مجتمع آخر مهما اتصف بالدموية والإجرام والإرهاب , ولا أعتبرهما كتابين بل أعتبرهما موسوعتين , يجتمع فيهما أغلب تاريخ العبرانيين , وذلك لأن التلمود ظل يتوسع ويزداد حتى خلال فترة العصر الوسيط وما بعدها, ويذكر المفكر الصهيوني آرثر هرتزبرغفي جريدة نيويورك تايمز في 23 / 12 / 1961 م : " إن سفر أشعيا في العهد القديم لا يحتوي على رؤى قديمة فحسب

, بل هو دليل للسياسة في العصر الحديث فإسرائيل بالمعنى الديني هي نفسها إسرائيل الشعب ونفسها إسرائيل بالمعنى العرقي ونفسها إسرائيل بمعنى الدولة ونفسها بالمعنى السياسي وكلها تجليات لنفس الجوهر الذي لا يتغير , كما أكَّد على فكرة أن كل من يقف ضد استقلالية اليهود فهو معادٍ للسامية فالعداء للسامية بالنسبة لليهودي هو العداء للجنس البشري .ما قدمته من بحث وتحليل فكري ونفسي عن هذين الشعبين المتغطرسين ما هو إلا غيض من فيض .

الفصل الثاني

الأدوات

مقدمة :

بعد أن وصلت الماسونية أوجها وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت تسمى (الحرب الكبرى) , استطاعت شراء معظم الشركات الضخمة في أوروبا تقريباً وأصبحت تسيطر عليها وبالتالي سيطرت على اقتصاديات العديد من دول العالم , فقد كانت الماسونية تؤمن بأنه عندما تضع قبضتك على اقتصاد الدول فإنك ستسيطر على العالم وهذا ما عبَّر عنه روتشيلد عندما قال : (دعهم يضعون قوانينهم ما دمنا نملك اقتصاد الدولة) .

بدأت الماسونية تفكر بشكل جدِّي في السيطرة على العالم بعد تلك الحرب الكبرى وأصبح أصحاب الشركات العملاقة هم من يتحكمون في القرارات السياسية وقيادة العالم فبدأت تبحث عن السبل التي تحقق لها الاستمرارية فشكلت عصبة الأمم بُعيد الحرب الكبرى لتصدر قراراتها وتفرضها على الدول الضعيفة وعلى العالم كله وارتأت عدة حلول وحجج لتحقيق ذلك منها الاستعمار المباشر للدول الضعيفة أو وضع سلطات عميلة عليها وفرضت شروطها على الدول المتقدمة ونجدها قد مكَّنت تواجدها في قارة أمريكا الجنوبية عسكرياً وبدأت تسلم سلطات الدول فيها إلى سلطات عميلة لها واستخدمت نفس الأسلوب في قارة أفريقيا وبعض دول آسيا وفي شرق أوروبا وقارة استراليا والوطن العربي مما مكّنها من فرض شروطها على الدول المتقدمة آنذاك كالاتحاد السوفيتي واليابان لقد تمت الهيمنة على الوطن العربي باسم الانتداب بقرار من عصبة الأمم بحجة أن هذه الدول لا تملك مقومات استمراريتها وأن على الدول العظمى مساعدة تلك الدول الضعيفة لتقف على أقدامها , وبالتالي تكون قد بسطت سيطرتها على العالم تقريباً وعاشت عصرها الذهبي .

في تلك الآونة بدأت تشعر بأن حلمها في السيطرة على العالم بدأ يتحقق ويجب تعزيزه من أجل استمراريته , ولكن أتى ستالين وتسلم مقاليد الحكم في الاتحاد السوفيتي وثبَّت سلطته وبسط سيطرته عليه وبدأ يُحدث فيه تغيرات جذرية في طبيعة النظام ويستنهض البلاد ويسير بها نحو التقدم والازدهار , وفي ألمانيا لحق به هتلر الذي وجد بلاده تقع تحت سيطرة القوى العظمى

وتتحكم بها الشركات العملاقة ورأس المال اليهودي , وبدأ يعد العدة من أجل التحرر من نير هذا الإخطبوط العملاق وجعل ألمانيا بمصاف الدول العظمى فنقض معاهدة فرساي وبدأ بتسليح الجيش والصناعات الحربية الثقيلة ليفرض على الماسونية شروطه في تقاسم ثروات العالم , فكانت الحرب العالمية الثانية . وهنا لا بد من ذكر أن أكثر شخصيتين تعرضتا للتشويه من قبل الماسونية هما ستالين وهتلر رغم أنهما قدموا الكثير الكثير لبلدانهم , ولكن سبب التشويه هو من أجل كرههما من قبل العامة وعدم تكرار هذه التجارب من قبل الناس لأنها تعد شخصيات موتورة ناقصة ذات عقد نفسية , لقد لعب الإعلام الماسوني دوراً هاماً لنبذ هاتين الشخصيتين من أذهان عامة الناس وحتى معظم المثقفين فقد انطلت عليهم هذه الدعاية .يقول بريجنسكي في كتابه (رقعة الشطرنج الكبرى) أنه في عهد يلسن : (اتسع الخلاف بين واشنطن وموسكو بسبب عدم رغبة الكرملن في إدانة فتوحات ستالين) .

لقد كانت الحرب العالمية الثانية كابوساً على الماسونية أدت لتحرير الكثير من البلدان من نيرها , فقد أدى ضعف الماسونية لتحرير العديد من الدول عسكرياً , حيث نجد ذلك في قارة أفريقيا وقارة أمريكا الجنوبية وقارة آسيا والوطن العربي , ولكن رغم تحررهم عسكرياً فقد بقيت معظمها تابعاً لها سياسياً واقتصادياً بسبب ضعف تلك الدول من جهة ومن جهة ثانية لم تخرج عسكرياً قبل أن تسلم البلاد لسلطات عميلة تنفذ مطامعها .

والسؤال الذي يفرض نفسه .. هل تخلت الماسونية بعد هذا الانحسار الذي سببته لها الحرب العالمية الثانية عن فكرة السيطرة على العالم أم بقيت تسعى لتحقيق حلمها هذا ؟

حقيقةً .. لم تتخلَّ عنها , لكنها بدأت تفكر بتنفيذه بطرق ووسائل وأساليب مختلفة فبدأ مستشرقوها ومفكروها يضعون دراساتهم فظهرت مسألة العولمة ومسألة تفكيك الحضارات وصبغ العالم بحضارة واحدة وهي الحضارة الغربية وتعميم ثقافتها على العالم عن طريق العولمة . إن هذا الحلم الجنوني والسعي لتحقيقه يفوق الخيال لدرجة يعدّه البعض خرافة فلا يصدقه , ولكن ألم يكن الوصول إلى الفضاء خرافة وبفعل السعي لتحقيقه قد تحقق عام / 1957 / م ؟ إذاً ليس كل ما لا يصدق هو غير حقيقي وواقعي بل قابل للتنفيذ .

بكل تأكيد عزيزي القارئ ستقول من هم هؤلاء البشر وما هي طبيعتهم ولماذا يسعون لذلك وما هي العوامل الحقيقية التي دعتهم لهذا التفكير ؟

للإجابة على هذه الأسئلة علينا أن نتعرّف على (من هم رأس الهرم ؟) .. في الحقيقة إن رأس الهرم هم (الأنجلو – سكسون) ومن ثم أتباعهم اليهود , ولنتعرف على الأسباب الحقيقية التي دعتهم لهذا التفكير علينا أن نطلع على ثقافتهم وكيف نشأت كما اطلعنا على تاريخهم وبعجالة نقول :هناك عوامل كثيرة تلعب دوراً هاماً في تشكيل ثقافة أي شعب أو أي أمة وأهمها :1- العقائد والمعتقدات . 2- العادات والتقاليد . 3- الأفكار .

إن هذه العوامل هي أهم العوامل التي تصبغ وتصوغ المكونين النفسي والذهني لأي شعب . فإذا علمنا أن هذه العوامل التي نزلت على شعب الله المختار (اليهود) مصدرها الله (يهوه) عن طريق حاخاماتهم الذي ما يزال يكلمهم حتى يومنا هذا وسيبقى يكلمهم ويفرض عليهم ما يجب أن يقوموا به حسب زعمهم , هذا يعني أن ثقافتهم لم تعد ثقافة بشرية وإنما ثقافة إلهية , لذا أصبحت ثقافتهم عقيدة ومنهجاً جامعاً مانعاً لا يتغير فهو ليس أيديولوجيا قابلة للتغيير . وتتمتع هذه الثقافة بأن شعب الله المختار هو من يستحق الحياة , أما باقي الشعوب إن أرادت أن تبقى على قيد الحياة فما عليها إلا أن تقدم الطاعة لليهود وتكون خدماً لهم وإذا رفضت ذلك فليس أمامها إلا الإبادة الجماعية ومحو أثرها من الوجود لأنها تكون بذلك قد خالفت تعالم إلههم (يهوه) هذا ما وجدناه عند دراستنا لكتبهم الدينية من التوراة والعهد القديم والتلمود وغيرها التي أثرت حتى على صياغة كتبهم الأدبية التي جاءت تحريضية من جهة ومن جهة أخرى تُظهر اليهودي على أنه سيد العالم وللخوض في ذلك أنصحك عزيزي القارئ وأحثك على قراءة كتابي (وقائع اليهود وديانتهم) لتدرك كيف تكون المكونان النفسي والذهني لهذا الشعب الحاقد على كل شعوب العالم .

أما ثقافة الأنجلوسكسون فهي لا تختلف كثيراً عن ثقافة شعب الله المختار مع فارق بسيط هو أن اليهود جاءت ثقافتهم عن عقيدة دينية حسب زعمهم , بينما ثقافة الأنجلو هي معتقد متوارث أي أصبح في نطاق الأفكار والعادات والتقاليد , وهو أنهم العرق الآري الأبيض وتعني (سيد الأرض) هم الأسياد وعلى باقي الأعراق أن تكون خدماً لهم أو الإبادة الجماعية , لذلك

نجدهم ابتدعوا النظريات العرقية وكتبوا تاريخ العالم على هذا النحو وقالوا فيه إنهم أصل الحياة وأن جميع الحضارات التي ظهرت عبر التاريخ هي من صنع عرقهم الآري . لقد قسم الأنجلو العالم إلى أعراق حتى إنهم قسموا العرق الأبيض أيضاً إلى ثلاثة أقسام ليميزوا أنفسهم حتى عن أبناء عرقهم الأبيض , والأقسام الثلاثة هي العرق اللاتيني والعرق الألبي وعرقهم الآري , وقد رأوا أن أدنى الأقسام وأحطها هو العرق الألبي الذي ينحدر من جبال الألب كالشعوب السلافية وبعض شعوب أوروبا الشرقية , بينما العرق اللاتيني هو الشعب الذي يسكن على ساحل البحر الأبيض المتوسط مثل اسبانيا وإيطاليا وفرنسا . لقد ازداد صدى أفكار النقاء العرقي بشكل كبير في بريطانيا مع بداية عصر النهضة ليكون حافزاً لها للنهوض والعمل والإبداع .

إننا نرى هذه النظرة بوضوح في كتابات العديد من الكتّاب الآريين ومفكريهم فنراها بوضوح في كتاب (مذكرات تشرشل) الذي يتحدث فيه عن الحرب العالمية الثانية , عندما سُئل : لماذا أعطيت الأوامر لجيشك بالانسحاب من مواقعه التي وصلت إليها القوات السوفيتية رغم أنهم كانوا شركاءهم في نهاية الحرب العالمية الثانية , وكان الاتفاق أنه متى وصل الجيش السوفيتي لتلك النقطة فإن القيادة في المعركة ستكون للسوفييت , فقال : (لا أستطيع أن أرى جنرالاً سلافياً يعطي الأوامر لجندي بريطاني) , ونجدها في مكان آخر من نفس الكتاب عندما قال له رئيس الولايات المتحدة آنذاك فرانكلين روزفلت : (لماذا قابلت ستالين وحدك ولم تخبرني لنكون معاً) فرد عليه قائلاً : (متى كانت الأسياد تأخذ أوامرها من الآخرين) .

لقد أطلقتُ على الماسونيين الأنجلوسكسونيين مصطلح (اليسار الماسوني) بينما أطلقتُ مصطلح (اليمين الماسوني) على اليهود .. والسبب في ذلك أن اليهود استمدوا ثقافتهم من عقيدتهم الدينية , بينما الآريون استمدوها من موروث بشري .

البدايات :

لا شك أن أي فكرة ستكون في بداياتها فكرة صغيرة بدائية تسعى لتحقيق غاية ما هي غاية عظيمة في حينها إلا أنها تصبح عادية على مرِّ الزمن إن لم تتطور لاحقاً لأن الحياة هي دوماً في تغير وتطور مستمر . أما تطورها فيخضع لعدة أسباب منها ذاتية أي لغايتها الداخلية , ومنها خارجية مثل البيئة والظروف والمناخ العام وهي بدورها تشكل الأرضية لتحقيق الغاية . ومن هذا المنطلق نستطيع القول : ما هي بداية فكرة تشكيل الماسونية ؟

إن بدايتها هي اكتشاف أمريكا وذلك عام / 1492 / , حينها بدأت القوى الاستعمارية تتكالب للسيطرة عليها وكانت هناك قوى أقوى من القوى البريطانية وهي القوى الاسبانية والقوى البرتغالية على الأقل , ومن أسباب قوتهما وجود حضارة فيهما تركها العرب المسلمون . لقد ترك العرب إرثاً حضارياً في شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا والبرتغال) (الأندلس) وتركوا فيها ثروات طائلة وأسطولاً حربياً ضخماً ومنتجات كانت متطورة في ذلك العصر لم تكن موجودة عند غيرهم مما أهّل البرتغاليين والإسبان ليكونوا أول مستعمرين خرجوا خارج حدود القارة الأوروبية .

لقد سال لعاب الإنكليز وأحبوا أن تكون لهم حصة من هذا الاكتشاف الجغرافي , فعدّوا العدة ولكن لضعفهم آنذاك بسبب حروبهم الداخلية وحروبهم مع الدول الأوروبية الأخرى التي أدت لإفقارهم , فكر هنري الثامن إمبراطور إنكلترا مشاركة المال اليهودي ليتسنى له تحقيق مآربه في السيطرة على تلك المكتشفات الجغرافية فأسس بذلك بذور الماسونية التي تطورت فيما بعد نتيجة التطورات التاريخية وغيرها من التطورات وهذا ما أشرنا له في الجزء الأول من الكتاب .

كان الهدف الأكبر من هذا التشكيل هو السيطرة على أكبر مساحة جغرافية من القارة الأمريكية المكتشفة عن طريق الاستيطان على عكس القوى الاستعمارية الأخرى التي كان هدفها نهب الخيرات دون التفكير بالبقاء بشكل جديّ . إن المنافسة في السيطرة على تلك البقعة الجغرافية مع القوى الأخرى دعمت لديها فكرة الإقصاء , أي إضعاف الخصوم والأعداء من أجل السيطرة على أكبر بقعة والاستمرارية فيها لتصبح تابعة لها بكل معنى الكلمة , ولتحقيق ذلك جنّدت كل القدرات العقلية والفكرية والإبداعية وسخرت لهم جميع القدرات المادية لعلمها

ويقينها أن بامتلاكها جميع أنواع القوى المادية وغير المادية (الروحية لا بمفهومها الديني بل بمفهومها الفكري) سيؤدي إلى تطويرها واستمرارها , لذلك نراها بدأت تستغل القدرات الفكرية فأنشأت ما يعرف المستشرقين .

المستشرقون :

لقد أنشأت الماسونية مؤسسات للمستشرقين في جميع بلدان العالم تقريباً آنذاك لدراسة أحوال وطبائع وسلوك كل بلدان العالم , وقد تم تأسيس هذه الشبكة منذ القرن السابع عشر فالمستشرقون أناس مبدعون وعلماء ومفكرون وفلاسفة يقومون بتقديم تقاريرهم إلى مؤسساتهم التي تصل في النهاية إلى الجهات العليا للماسونية ليتم وضع المخططات اللازمة للسيطرة على البلدان بناءً على تلك الدراسات .

إنهم يدرسون البلدان اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وأخلاقياً ونفسياً ودينياً , وكل صغيرة وكبيرة تدرس على حدة . لقد استطاع المستشرقون تقديم خدمات كبيرة وعظيمة أدت في كثير من الحالات إلى النجاح التام للماسونية , وتخفيف أكبر الخسائر في الأموال والعتاد والأرواح نتيجة لتلك الدراسات الدقيقة .

لم يعد المستشرقون في القرن العشرين يتبعون لمؤسسات خاصة بهم بل أصبحوا يتبعون للقيادات العليا في الماسونية بشكل مباشر وعلى اتصال مباشر معهم , يناقشونهم ويقدمون لهم التقارير بشكل مباشر لذلك صار يطلق عليهم اسم سفراء أو خبراء الماسونية بدلاً من اسم المستشرقين .

إن آخر مؤتمر باسم المستشرقين عقد في باريس عام / ١٩٧٣ / م تحت اسم (المستشرقون) , ولكن في عام / ١٩٧٤ / م تغير الاسم وأصبح (الجمعية الدولية للدراسات الآسيوية والشمال إفريقية) ، وأصبحت مؤتمراتهم تحمل اسم (مؤتمرات العلوم الإنسانية الخاصة بمناطق العالم الإسلامي) , من أجل القضاء على العالم الإسلامي .

كان المستشرقون يقدمون أبحاثهم ومؤلفاتهم خلال هذا المؤتمر , وكانت تتناول هذه المؤلفات العالم الإسلامي والعربي من جميع جوانبه الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية .... الخ , وبعض المؤتمرات الأخرى تقدم دراسة عن بعض الدول الأخرى في آسيا مثل الصين والاتحاد السوفيتي و.... , وكانت تخرج تلك الدراسات على شكل كتب ليتم نشرها , وقد نشرت عشرات بل مئات الكتب التي تصف الإسلام وتصبغه بالإرهاب والتطرف , ومن بين هذه المؤلفات (الكتب) على سبيل المثال لا الحصر :

- تطور العقيدة الإسلامية (ماكدونالد) .
- في التشريع الإسلامي (كولسون) .
- تاريخ الشعوب الإسلامية (كارل بروكلمان) .
- تاريخ العرب (برنارد لويس) .
- عودة الإسلام (برنارد لويس) .
- الدعوة الى الإسلام (توماس أرنولد) .
- محمد في مكة (مونتغمري) .
- محمد في المدينة (مونتغمري) .
- محمد رجل الدولة والسياسة (مونتغمري) .
- الإسلام والرأسمالية (ماكس فيبر) .

- الدارة المغلقة (ديفيد برايس) .

- على درب الله (دانييل بايبس) .

والقائمة تطول .

إن قيمة الكتاب تعتمد على قيمة الأفكار والمعلومات التي بين دفتيه , لكنها تكتسب قيمة إضافية وتحقق انتشاراً أكبر بين الناس وخاصة بين المثقفين والمتعلمين عندما تطبع بمطابع ذات قيمة , فكانت تطبع في مطابع الجامعات المشهورة وعلى رأسها جامعة أوكسفورد البريطانية والتي قامت أيضاً بتأليف (موسوعة العالم الإسلامي الحديث) , حيث تتألف هذه الموسوعة من أربعة مجلدات , من أهم مواضيعها الإرهاب والتطرف وحقوق الإنسان ومكانة المرأة في العالم الإسلامي .

لقد بدأ تجهيز ملف الحضارة الإسلامية منذ الربع الأخير للقرن العشرين , كما جهز ملف الحضارة الصينية وكذلك الحضارة الهندوكية , وكل تلك الحضارات قد تم دراستها بشكل دقيق ليتم اختراق تلك الحضارات وتحطيمها , ويبقى السوق العالمي واقتصاد العالم بيدها فقط .

إن الهدف من تلك الكتب هو رسم أيديولوجيا مشوهة للخصم من أجل هزيمته واعتباره عدواً أمام الرأي العام لشعوبهم , كي يسمحوا لهم بالانقلاب على هذه الحضارة أو تلك متى أحبوا أن يخرجوا قواتهم خارج حدودهم ويقضوا على أي حضارة يرغبونها , لذلك صبغوا الحضارة الإسلامية بالإرهاب , فكانت كل هذه الكتب التي ذكرناها والتي لم نذكرها تدور حول الهدف نفسه , وهو رسم أيديولوجيا للعالم الإسلامي على أنه متطرف وإرهابي ومنغلق على ذاته ولا يقبل الآخر ويشعر بالدونية ومتعصب ويميل للنزعة الفردية والقبلية ويضرب أطنابه الجهل والفساد , وهو عبارة عن شعوب وقبائل ظلامية , فهو بأمس الحاجة لمن يقوده إلى التقدم والنور والديموقراطية والحرية , وعلى الغرب أن يقدم يد العون ومساعدة هذه الشعوب المظلومة للخروج من أتون الظلام , فعلى سبيل المثال , رأى (برنارد لويس) أن الإسلام لا يتطور , حاله كحال المسلمين , فهم خائفون ويجب أن يوضعوا تحت المراقبة , فبين في مؤلفاته , أن الإسلام لا يتطور , وإن المسلمين خائفون من أي عملية تطوير أو تغيير , لأن المسلمين شأنهم شأن

الشعوب الشرقية الأخرى التي وقعت تحت سيطرة الاستعمار عاجزون عن قول الحقيقة ومواجهة الواقع , فهم مدمنون على الخرافات والأساطير والتاريخ الكاذب , كما وصف برايس في كتابه (الدائرة المغلقة) الشعوب المسلمة بالعنف وبالأخلاق المنحطة , وقسم ديربليو التاريخ إلى قسمين , الأول : تاريخ مقدس يمثله اليهود والمسيحيون , والثاني : تاريخ مدنس يمثله المسلمون , كما أنكر غرونبام انتماء الإسلام إلى أي ثقافة , فالإسلام برأيه عاجز ومنغلق وغير قابل للتطور , واعتبر ماكس فيبر في كتابه (الإسلام والرأسمالية) أن الإسلام لا يحتوي على أي أخلاق وأن المجتمع المسلم هو مجتمع مستبد وغير عقلاني , ووصف دانيال بايبس في كتابه (على درب الله) أن الإسلام عبارة عن حركة سياسية تتدخل في شؤون الغرب وتقلقه وتحرض على العصيان والتعصب في كل أنحاء العالم , وأن المسلمين عاجزون عن تمثيل أنفسهم , لذا يتوجب تمثيلهم من قبل آخرين يعرفون عن الإسلام أكثر مما يعرفه الإسلام عن نفسه .

لقد ظهرت في أواخر القرن العشرين مصطلحات جديدة مثل (الإرهاب – الخطر الأخضر – الإسلاموفوبيا) , وروجت له كي يصبح الإسلام هو العدو الأول والرئيسي لأمريكا والغرب , وذلك في غياب الفكر البديل والمناهض , لذلك كنا نسمع في الغرب بأصوات تطالب بطرد المسلمين من الغرب والتحذير من أنهم يشكلون قنابل ديموغرافية موقوتة هدفها تحويل المجتمع الغربي إلى مجتمع إسلامي .

لم تكتفِ الماسونية ببث الخلاف بين الغرب والإسلام من خلال مؤلفات المستشرقين , بل استعملت السلاح الأخطر وهو الإعلام بكل أشكاله المكتوب والمسموع والمرئي , فبدأت منذ عام / ١٩٧٤ / م تبث السموم ضد الحضارة الإسلامية , وكان برنارد لويس يأخذ دور المذيع حيناً ودور الضيف أحياناً أخرى على شاشات الفضائيات الغربية والأمريكية ساعياً إلى تشويه الإسلام والمسلمين , لقد أُنشئ الكثير من الفضائيات في الغرب للتحريض على الشعوب الإسلامية واعتبارها شعوباً لا فائدة منها ويجب إبادتها لأنها لم تقدم أي شيء للحضارة الإنسانية وبنفس الوقت تستهلك الطعام الذي سيكون غير كافٍ بسبب ازدياد عدد سكان الأرض .

قام المفكر العربي الكبير (ادوارد سعيد) بفضح هذا الدور للمستشرقين في الكثير من كتبه وأهمها كتاب (تغطية الإسلام) , فاعتبر هذه النظرة الغربية للإسلام والتي سماها بالنظرة

النمطية السردية التي تهدف إلى هزيمة الآخر معنوياً ونفسياً واغتيال شخصيته الأخلاقية قبل كل شيء . إذاً قامت الماسونية في الربع الأخير من القرن العشرين برسم عدوها الجديد لشعوبها الغربية وهو الإسلام قبل أن تبدأ المعركة كي يتمكنوا من نزع موافقة شعوبهم لتدمير هذا العدو الافتراضي .

لم تكتف الماسونية باستغلال أصحاب الفكر والفلسفة والتاريخ ليدرسوا لها الواقع بعين المبدع والمتنبئ والعارف لنقاط القوة والضعف عن الخصم والعدو , بل استغلت كل الأبطال الحقيقيين الذين وحدهم من يترك الأثر على هذه الكرة الأرضية .

الأبطال الحقيقيون :

لقد مر على هذه البسيطة آلاف من القادة والأباطرة والملوك والرؤساء والقياصرة إلا أننا لم نسمع عنهم جميعاً ولم نر أعمال إلا القليل النادر جداً منهم , فمنهم على سبيل المثال لا الحصر بطرس الأكبر وستالين في روسيا وميجي في اليابان وماو تسي تونغ في الصين ومهاتير محمد في ماليزيا وغاندي في الهند وعبد الملك بن مروان وهارون الرشيد وغيرهم من أمثال هؤلاء القادة الذين نقلوا بلدانهم من حال إلى حال أو أخرجوا بلادهم من محن وأزمات مدمرة , أي أحدثوا تغييراً كبيراً وملحوظاً في بلدانهم , لذلك أرى هؤلاء القادة ومن أشبههم أبطالاً من غير منازع . وكذلك الأمر بالنسبة للقادة الحربيين فقد مر الكثير منهم لكننا أيضاً لم نسمع عنهم جميعاً ولم يبرز منهم إلا القليل جداً , أمثال تشي جيفارا , روءمل , سبارتاكوس , خالد بن الوليد ومن أشبههم , لأنهم أبدعوا بالقيادة وحققوا تحولاً في تغيير أوضاع بلدانهم أيضاً , وهم نوع آخر من الأبطال أيضاً . أما الأبطال الحقيقيون سواء علمنا بهم وبأسمائهم أم لم نعلم فهم المبدعون من علماء ومخترعين وفلاسفة وطفرات (عباقرة) وكل شخص أبدع عملاً ما مهما كان شأنه أدى إلى تطوير واضح في الحضارة الإنسانية .

صحيح أن القادة ورجال الحرب الذين عددناهم أبطالاً قدموا لأوطانهم , إلا أن الأبطال الحقيقيين من مبدعين وعباقرة وعلماء وفلاسفة هم وحدهم من قدموا تطوراً ونهضة ليس لبلدانهم فحسب بل لكل أبناء هذه البسيطة لينعموا بها . إننا جميعاً في هذا العالم مدينون لأمثال هؤلاء المبدعين الحقيقيين مهما كانت جنسيتهم أو لغتهم أو ديانتهم , طوبى لهم , فبأمثالهم تبنى الأمم . هل سمعتم بأن أناساً عاديين مهما علا شأنهم قد بنوا أوطاناً ؟!!! وهل سمعتم بأسماء أناس يملكون المليارات من النقود ؟ علينا أن ندفع بالمبدعين إلى المقدمة ونقتفي أثرهم كي تنهض أمتنا ونحميها من أعدائنا الذين يتربصون بنا ليل نهار , لأنهم هم وحدهم طليعة الأمة .

إن هذه الثلة إذا لم تتبوأ مكانتها الطبيعية , ولم تستطع أن تقدم ما عندها وتظهر إبداعاتها للعلن , فستبقى الدول المتخلفة في حالة تخلف إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولا لذلك يتوجب علينا أن لا نحرم هذه الطليعة مما تطمح إليه , وأن تقدم أفكارها وأعمالها ومنتجاتها وإبداعاتها وتنفذ ذلك في حياتها لا بعد مماتها بقرون , وإلا سوف تندثر إبداعاتها وتتوارى معها في الثرى , وبالتالي لا تكون قد حققت أهدافها التي تطمح إليها في الحياة , ألا وهي التقدم والرقي بالإنسانية نحو حياة فضلى , لينعم أبناؤهم وأحفادهم بالأمان والاستقرار , إن أهم ميزة من ميزات هؤلاء المبدعين أنهم لا يعدون بيتهم وطناً لهم , بل يجعلون من وطنهم بيتاً لهم . وما دمنا أننا نتحدث عن الأبطال الحقيقيين , فلا بد لنا من ذكر أهم أعمالهم التي غيرت وجه العالم , بعد أن نسلط الضوء على أهمية العلم , والعلماء الذين ساهموا بشكل كبير في تحقيق هذا الازدهار كله , فبالعلم وحده تزدهر الأمم وتسود وبالجهل تفنى وتباد .

العلم :

يعدُّ العلم أهم عمود من أعمدة الثقافة الحديثة (الحداثة) فهو العمود الأساسي الذي لعب ويلعب في تطوير الثقافة العامة بعد أن يكون المجتمع قد أتم مرحلته الأولى وهي إنشاء العمودين الأساسيين وهما الدين والفلسفة اللّذان يصنعان التكوين النفسي ويهيئان التكوين الذهني ليكون الإنسان قادراً على استيعاب العلوم الأخرى المتقدمة لتصنع عقلاً واعياً وممنهجاً .

إن العلم قد تطور بعد أن تغيرت النظرة لمفهوم الدين من جهة وتغيير مفاهيم الفلسفة والفنون من جهة أخرى , وبالتالي تهيأ وتكوَّن عقل جديد يختلف عن عقل الموجة الأولى الذي سميته في كتابي (فلسفة الدماغ) العقل اللاهوتي , لقد ذكرنا عقلاً جديداً ولم نذكر فكراً جديداً أو أفكاراً جديدة , والسبب في ذلك تراكم الزمن وتوالي أجيال وأجيال متعاقبة تبنت الفكر نفسه , فنتج عن ذلك صياغة وصباغة العقل بهذا الفكر فأصبح العقل أسير هذا الفكر الذي من الصعب التخلص منه , ولا يستطيع التخلص منه إلا العباقرة والمبدعون وهم وحدهم الذين يستطيعون أن يأخذوا بأيدي مجتمعاتهم للخروج من هذا الفكر واستبداله بإبداعات وأفكار متميزة يعتمد على فكر متميز ليبني بالتالي عقلاً متميزاً , لقد لعبت الفلسفة دور الوسيط لنقل الإنسان من العقلي اللاهوتي إلى العقلي العلمي , فأصبح جاهزاً لاستقبال أي نوع من العلوم مهما كانت تعقيداته , حيث أصبح باستطاعته أن يقوم بأعمال إبداعية , لأنه تشكل لديه فهم جديد للحياة , فأسس بذلك حياة الموجة الثانية , وما دامت حركة التطور لا تتجزأ وإنما تتسلسل وتتوالى , فمن المستحيل إحداث قفزة حضارية كما يدّعي الغرب لذلك أقول , لقد أسس علماء الحضارة الإسلامية بذور معظم تلك العلوم لكنها ترعرعت على أيدي علماء الحضارة الغربية وأظهَرَت تلك العلوم الحديثة أنها من صنعها لتخفي معالم الحضارة الإسلامية وتصيب أبناءها بالإحباط . وللإنصاف رغم اعتماد علماء الحضارة الغربية على علوم ومنتجات علماء الحضارة الإسلامية إلا أنهم أبدعوا علوماً جديدة لم تكن موجودة من قبل وإن كانت تعتمد على تطور العلوم السابقة بشكل غير مباشر حسب نظرية التطور . فمثلاً عندما تبحث في أي مسألة رياضية فإنك تتماشى وتلمس وتحس وترى كل خطوات هذه العملية الرياضية لتصل إلى النتيجة المطلوبة , في حين أنك إذا تكلمت بمسألة كهربائية على سبيل المثال فإنك لا ترى تلك المعادلات في العملية الكهربائية وإنما ترى النتيجة الإبداعية , ومنه نستطيع القول إن هذا العلم الحديث لا

يستوعبه إلا عقل علمي جُهِّز ليبدع , ولا يتم ذلك إلا إذا تم تصحيح عمود الدين وتم فهم وإنشاء فلسفة ذاتية تتناسب مع ثقافة أمتنا الإسلامية , عندها ستظهر إبداعات فنية وتقنية وغير ذلك .

لو نظرنا بشكل سريع وتتبعنا الخطوات التي مرت بها الحضارة الغربية لتصل إلى ما وصلت إليه , نجد أن هذه المرحلة بدأت عندما ظهر فلاسفة وفنانون مبدعون حقيقيون في القرن الخامس عشر ميلادي استطاعوا أن يرسموا حياة جديدة من خلال أعمال وإبداعات تختلف اختلافاً جذرياً عن أعمال أسلافهم , فمثلا نجد أن رفاييلو رسم لوحة جمع فيها جميع فلاسفة اليونان وكأنه يشير إلى دور الفلسفة وضرورة البحث فيها , ونجد مايكل أنجلو رسم أعمالاً هندسية جديدة في لوحاته . وظهرت موسيقى تختلف اختلافاً جذرياً عن الموسيقى التي كانت موجودة آنذاك , فقد كانت الموسيقى عبارة عن موسيقا غرائزية تعمل على إشباع غرائز وشهوات الإنسان من عاطفة وجنس ومجون وما إلى هنالك , لكن روادها أبدعوا وألفوا ولحنوا موسيقا تحاكي الفكر والخيال وترسم مستقبلاً جديداً ومختلفاً يحرض على بناء عالم جديد يختلف عن العالم الذي كانوا يعيشونه . واختلف الأدب عما كان عليه من قبل فظهرت أعمال تطالب بالتغيير , وبنشر أفكار جديدة وصور لحياة جديدة قابلة للتطبيق , ومن جهة ثانية نجد أن النظرة إلى الديانة قد اختلفت اختلافاً جذرياً عما كانت عليه . لقد كانوا قديماً يرون الديانة على أنها الحياة كلها , لكن بعدما ارتسمت الصورة الجديدة من خلال هؤلاء المبدعين الذين تحدثنا عنهم والذين وجدوا أن الديانة لم تعد تملك الحقيقة المطلقة وحدها , عندها عملوا على تطوير العامل الديني حيث ظهر في القرن السادس عشر ثورتان دينيتان , ثورة أدت إلى تأسيس الكنيسة البروتستانتية , وثورة أخرى سميت بالثورة المضادة أعادت فيها الكنيسة الكاثوليكية ترتيب أفكارها , فانطلق بذلك العالم الغربي ليصنع حضارة متميزة تنجذب لها العيون .

لكن أهم خطوة كانت في تلك المرحلة هي تأسيس فلسفة , والفلسفة هي خزان لا ينضب من الأفكار , لقد أسس هذا المناخ وهذه البيئة أرضية صالحة لتنبت فيها براعم المبدعين فكان أولهم غوتنبيرغ الذي اخترع الطابعة بعد أن أخذها عن الصينيين فشكل بذلك بداية الطريق , وأتى من بعدة كوبرنيكوس – رغم أن ما نُسب إليه يعود لعلماء الحضارة الإسلامية ومنهم البتاني وابن الشاطر والطوسي وهذا نراه بشكل جليّ في النسخة الأصلية لكتاب كوبرنيكوس الموجود

في جامعة بادوا في إيطاليا ولايزال موجوداً – الذي غير وجه التاريخ فقد كانت الأفكار قبل كوبرنيكوس تقول إن الأرض هي مركز الكون والكواكب الأخرى تدور حولها بينما أثبت أن الشمس هي المركز والكواكب الأخرى تدور حولها . إن هذه النظرية لعبت دوراً كبيراً بالتشكيك في معتقدات الكنيسة , وأتى من بعده غاليلو ليصدر في عام / ١٦٣٢ / م كتابه تحت عنوان (حوار النظامين الكبيرين للكون) – حتى هذا الكتاب هو من منتجات علماء الحضارة الإسلامية – حيث وضع فيه شرحاً لطريقة عمل الكون فأتى برياضيات جديدة حسب زعمهم تصف حركة الأجسام وعلم السكون والديناميك معتمداً على أعمال علماء جامعة أوكسفورد الذين صاغوا أول قانون مرض عن التسارع فأحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة أدت إلى محاكمته أمام محاكم التفتيش في روما مما اضطره إلى التراجع عن أفكاره , لكن هذا القمع لم يكن ذا أهمية لأن آراءه بل آراء العلماء المسلمين كانت قد انتشرت وصارت معروفة مما زاد الشرخ الفكري ما بين العامة ومعتقدات الكنيسة التي تقول عكس ذلك , وفي عام / ١٦٤٢ / م توفي غاليلو الإيطالي وولد في نفس العام نيوتن الإنكليزي ليحمل راية العلم فنشر عام / ١٦٨٧ / م أي بعد خمس وخمسين عاماً من كتاب غاليلو كتابه الشهير (أسس رياضية) – وهذا الكتاب في معظمه يعتمد على علوم علماء الحضارة الإسلامية , لا أقول ذلك جزافاً بل عن علم , ولتعلم صدق ذلك عزيزي القارئ قارن بينها وبين كتب علماء الحضارة الإسلامية لترى ذلك بأمّ عينك – نشر فيه تقريباً نفس أفكار غاليلو , ولكن برؤية أخرى , لم يحارب هذا الكتاب كما حورب كتاب غاليلو , والسبب في ذلك هو أن بريطانيا لم تكن تحارب العلوم على عكس إيطاليا بل كانت تتبناها وتدعمها وتدعم أصحابها , كما أن الناس في هذه المرحلة كانت تتقبل وترضى ببعض هذه الأفكار , لقد قدم الكتاب شرحاً عن عالمي السماء والأرض أي علم الفلك وعلم الأرض .

لقد هضمت أوروبا علوم الحضارة الإسلامية وسرقت كتبها وترجمتها إلى اللاتينية ومن ثم إلى اللغات الأوروبية الأخرى واستغرقت في هضمها حوالي ثلاثة قرون , ففي بداية القرن الثامن عشر وبالتحديد عام / ١٧١٢ / م كان أول حدث تاريخي قلب موازين الحياة رأساً على عقب هو اختراع المحرك البخاري الذي اخترعه توماس نيوكمان وقام على تطويره في نهاية القرن الثامن عشر العالم جيمس واط الإسكوتلندي مستفيداً من صديقه الفيزيائي جوزيف بلاك مكتشف

الحرارة الكامنة , واخترع الأمريكي إيلي هويتني آلة حلج القطن , واخترع الأمريكي روبرت فولتون سفينة تجارية تعمل بالمحرك البخاري , واخترع الأمريكي إيلياس هاو آلة الخياطة , واخترع المخترعان سايرس ماكو رمبك وأوبيد هسي آلة الحصاد , وتشارلز جو دبير المطاط المقصّى , نستطيع القول : إن العلم النظري كان بداية لاكتشافات المنجزات العملية , وفي القرن التاسع عشر تم استخدام هذا المحرك البخاري في مجال النقل البري والبحري بشكل كبير ثم تم اختراع محرك الاحتراق الداخلي , إن أهم سبب من أسباب اختراع محرك الاحتراق الداخلي هو اكتشاف تكرير النفط في عام / ١٨٥٩ / م في ولاية بنسلفانيا في أمريكا مما أدى إلى اختراع المحرك الذي يعمل على البترول , وفي عام / ١٨٣١ / م اكتشف فارداي مبدأ المولد الكهربائي وتبين أن الكهرباء يمكن توليدها فظهر بذلك مصدر آخر للطاقة ,كما ظهرت مصادر أخرى للطاقة منها الطاقة المائية , كما اخترع صمويل مورس وهو رسام أمريكي هجر الرسم إلى العلم وتوصل إلى مبادئ البرق الكهربائي (التلغراف) وأقنع الكونغرس بتقديم مساعدة مالية لمد الأسلاك من واشنطن إلى بلتيمور , وعلى الفور مدت شركة ويستر يونيون شبكة في أرجاء القارة من أعمدة وأسلاك وبدأت الجهود في مد خط عبر المحيط الأطلسي , أما في أوروبا فقد مدت شركة جريت ويسترن خط من نيوفوندلاند حتى ايرلندا وذلك عام / 1866 / , وفي عام / 1876 / قدم المخترع جراهام بل اختراعه جهاز الهاتف لشركة ويسترن ولم تمضِ بضعة سنوات حتى كان في كل مكتب تجاري وصناعي جهاز هاتف وبعد ربع قرن تأسست شركة (أمريكا تلفون آن تلغراف) برأس مال وقدره ربع مليون دولار , وظهرت في أمريكا شركات لضبط الحركة المرورية أوتوماتيكياً , كما ظهرت الفرملة الهوائية , وفي عام / 1873 / ظهرت الآلة الكاتبة في الأسواق للمخترعين شولز وغليدن , كما أحدثت آلة اللينوتاب لصف الأحرف وكذلك النسخ الكهربائي للمطبوعات انقلاباً في طباعة الصحف والكتب , وفي عام / 1878 / تم اختراع المصباح القوسي من قبل المخترع الأمريكي تشارلز برش فبادرت معظم المدن والدول المتقدمة إلى استخدامه في إضاءة الطرقات , وجاء عام / 1882 / وجاء معه اختراع المصباح المتوهج للشاب المبدع توماس أديسون وأُنشئت له محطة لتوليد الكهرباء وتوزيعها في نيويورك , كل هذه الاختراعات التي تطورت بشكل تسلسلي أدت إلى إنشاء حضارة متميزة في الغرب مما أدى إلى اختراع السيارة وذلك عام / ١٨٩٦ / م على يد المبدع الفرنسي بانار , إلا أننا نجد أن هذا الاختراع انتقل مباشرة إلى بريطانيا في نفس العام وأسست له أول معرض للسيارات

في لندن بعد عامين , وفي عام / 1899 / م انتقل هذا المنتج إلى أمريكا ليفتتح أول خط لإنتاج سيارات فورد مصممة خصيصاً للسوق وبسعر رخيص , وفي عام / ١٩١٥ / م كانت شركة فورد تصنع مليون سيارة في العام , واختراع السيارة لم يكتب لـه الحياة لو لم يتم استخراج تكرير النفط في بنسلفانيا عام / 1859 / .

استغل العالم ماركوني النظرية الكهرطيسية لإرسال أولى الرسائل لاسلكيا , إن أول رسالة لاسلكية عبرت الأطلسي كانت في عام / ١٩٠١ / م , أما بالنسبة للطيران فقد بدأ اختراع المنطاد في القرن الثامن عشر , وفي القرن التاسع عشر تم اختراع المناطيد القابلة للتوجيه , ثم في عام / ١٩٠٣ / م اخترع الأخوان رايت الطائرة وهي أول آلة تحليق ذات محرك وفي عام / ١٨٩٦ / جرى أول عرض سينمائي في لندن في معهد (ريجينت ستريت بول تيكنيك) , أي أصبحت الصورة تنتقل مثل الصوت , وفي عام / ١٩١٤ / م صار هناك (٣٥٠٠) دار عرض سينمائي في أوروبا وأمريكا , إن أول بث تلفزيوني بشكل بدائي تم على يد رجل ألماني عام / ١٩١١ / م , وفي عام / ١٩٣٦ / م افتتحت الـ (**BBC**) البريطانية أول خدمة للبث التلفزيوني , وفي عام / ١٩٤٥ / م ثبت التلفاز أقدامه , لقد بدل التلفاز الحياة من القراءة إلى المشاهدة وأصبحت الصورة أهم من القراءة , لقد أدى ذلك إلى أكبر قوة في التغيير الثقافي والاجتماعي منذ اختراع الطباعة , لأنها تبعد الناس عن الكلمات وتجذبهم نحو الصورة , وتبعدهم عن التفكير وتدفعهم إلى الانفعالات بمدها وجذرها وإلى الانطباعات غير الدقيقة . تطورت الصناعة بفضل تقنية المعلومات فدخل العالم موجته الثالثة (موجة المعلوماتية) فظهرت اختراعات رفيعة المستوى في المجال التقني الإلكتروني , حيث ارتفعت طاقة الحاسوب وانخفض حجمه .

لقد بلغ العلم مرتبة عالية في القرن العشرين وباتت الصناعة الحديثة معتمدة على العلم , لقد تغلغل العلم في كافة نواحي الحياة فضلاً عن انجازاته المذهلة . وكان من أهم العلامات والاعتراف المتزايد بأهميته هو صرف الأموال الطائلة في تطوير البحوث العلمية مما أدى إلى تطور العلوم النظرية والتطبيقات العملية .

عندما نشر جيمس كلارك ماكسويل وهو أول أستاذ في الفيزياء التجريبية في جامعة كامبريدج كتاباً حول الكهرطيسية تناول بصورة فعالة مشكلات لم يتطرق إليها علم القرن السادس عشر ومنذ ذلك الحين لم تعد النظرية النيوتينية كافية والتي تقول إن الكون خاضع لقوانين طبيعية منتظمة يمكن اكتشافها , فتلا ذلك تأسيس النظرية الفيزيائية الحديثة عن طريق التجارب العلمية وبحلول عام / ١٩١٤ / م كان رونتيغن قد اكتشف الأشعة السينية أشعة (إكس) واكتشف بيكرل النشاط الإشعاعي , وتعرف طومسون على الإلكترون وقد عزل بيير وماري كوري الراديوم , كما قام ريذرفورد بأبحاثه حول بنية الذرة فنتجت عن كل هذه الاكتشافات صورة جديدة للكون , وبين ريذرفورد أن الذرات يمكن شطرها مع العلم أنه قال عام / ١٩٣٥ / م إن الفيزياء الذرية لن يكون لها تطبيقات علمية ولم يخالفه أحد كما تم التعرف على جزأين جديدين وهما النيوترون والبروتون , لكن الذي كان يحدث أنه في عام / ١٩٠٥ / م كان ماكس بلانك وألبرت آينشتاين قد بيّنا تجريبياً ورياضياً أن قوانين نيوتن في الحركة غير قادرة على تفسير انتقال الطاقة في العالم المادي لأن هذا الانتقال لا يحدث بشكل سيلان منتظم بل بشكل قفزات منفصلة , كما بين بلانك أن الإشعاع الحراري لا ينبعث بصورة متواصلة كما في فيزياء نيوتن وقال إن هذا الأمر يصح على جميع أشكال انتقال الطاقة , وقال آينشتاين إن الضوء لا ينتشر بصورة متواصلة بل بكل جزيئات فنشر آينشتاين في عام / ١٩٠٥ / م أفكاره عن النظرية الخاصة في النسبية , كما قدم كل من عالمي الرياضيات شرودنجر وهايزنبرغ إطاراً رياضياً لملاحظات بلانك وللفيزياء الذرية , فصاغ بذلك آينشتاين علاقة رياضية بين الكتلة والطاقة أثبتت التجربة صحتها لقد أنتج العلم اختراعات ما أنزل الله بها من سلطان , ففي عام / ١٩٣٩ / م اتصل آينشتاين بالرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت وأبلغه بأن أصدقاءه العلماء في ألمانيا توصلوا إلى أن باستطاعتهم أن يدمروا مرفأً كبيراً بقنبلة لا يزيد وزنها بضع كيلوغرامات فتبنى روزفلت دعم هذا البحث واعتبره ضرورة للأمن القومي الأمريكي وللمفارقة كان الألمان يتناشطون في تصنيع القنبلة الذرية إلا أن الأوامر أتت من هتلر بتوقيف هذا النشاط وتحويل المبالغ المالية الطائلة لإنتاج أسلحة تقليدية متطورة بينما راح الأمريكيون مع البريطانيين يتشاركون لإنتاج أسلحة ذرية فشرعوا في تأسيس مشروع سمي (مشروع منهاتن) الذي قدرت كلفته بأنها تفوق كلفة جميع الأبحاث العلمية التي قامت بها البشرية منذ بداية التاريخ المسجل وإلى حين إقامته .

أما في المجال الفضائي فنجد أن الروس هم أول من أبدع في هذا المجال , ففي عام / ١٩٣٣ / م انطلق أول صاروخ روسي يعمل بالوقود السائل , وفي عام / ١٩٥٧ / م أطلق السوفييت صاروخاً يحمل قمراً صناعياً من دون إنسان وهو (سبوتنيك١) وبعد شهر من إطلاقه أطلق الروس (سبوتنيك٢) الذي يحمل كلبة سوداء اسمها (لايكا) , وفي عام / ١٩٥٨ / م نجح الأمريكان بإطلاق القمر بانغارد بعد عدة محاولات فاشلة , أرسل الروس (سبوتنيك٥) وهو يحمل كلبين وقد عادا بسلام فعمدوا في عام / ١٩٦١ / م إلى إطلاق قمر صناعي يحمل رجلاً روسياً اسمه (يوري غاغارين) وعاد بسلام . أثار هذا العمل حفيظة الأمريكان فأعلن الرئيس الأمركي في العام نفسه أن (على أمريكا أن تحاول إرسال رجل إلى سطح القمر وإعادته إلى الأرض سالماً قبل نهاية العقد) وقال أيضاً (هذا المشروع يشكل هدفاً قومياً) وبالفعل ففي عام / ١٩٦٨ / م أرسل الأمريكان ثلاثة رجال نحو الفضاء , ويقال إنهم وصلوا إلى القمر وبثوا صوراً تلفزيونية لسطحه وكان أول رجل تطأ قدمه سطح القمر هو الأمريكي (نيل أرمسترونغ) لكن السوفييت لم يصدقوا أن الأمريكان قد وصلوا إلى سطح القمر ورأوا ذلك ادعاء إعلامياً يهدف لأهداف سياسية بحتة . أما العلوم الطبيعية والطبية فقد أدى تطورها إلى القضاء على الكثير من الأمراض والآفات التي كانت تودي بحياة الكثير من الناس , فقد كان الناس الذين يلقون حتفهم بسبب الأمراض والآفات أكبر بكثير من الناس الذين يقتلون في الحروب , مما أدى إلى ارتفاع عدد سكان العالم , لقد استطاعت الماسونية استغلال كل هذه التطورات من أجل بسط نفوذها على العالم واستمرارية السيطرة عليه , وبكل صدق نقول لم يكن لكثير من هذه الاختراعات أن تظهر وبسرعة فائقة ما لم يتم شراؤها من قبل الماسونية التي استفادت منها في السيطرة وفي زيادة رأس مالها وفرض سياساتها على الدول الضعيفة , فأسست شركات مهمتها شراء الأدمغة طبعاً أدمغة المبدعين وأول شركة اهتمت بذلك هي شركة (ويسترن يونيون) وذلك عام / 1856 / وكذلك شركة (غريت ويسترن) وشركات أخرى كثيرة , وبازدياد ثروات تلك الشركات العملاقة وازدياد سيطرتها على مواقع القرار في العالم أخذت الماسونية شكلاً جديداً فبدلاً من أن يكون القرار بيد سلطة دولية وبيد رجال السياسة , أصبحت هذه الشركات العملاقة (الشركات العابرة للقارات) هي التي تسيطر على مركز القرار في العالم وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر وازداد نفوذها بعد الحرب العالمية الأولى إلا أن الحرب العالمية الثانية حدَّت من تحركاتها ومن سيطرتها على كثير من الدول التي تحررت

بفضل الاتحاد السوفييتي , لكن بعد انتهاء الحرب الباردة ومنذ سبعينيات القرن العشرين , قامت شراكة بين رجال السياسة وأصحاب الشركات العملاقة وقادة القوى العسكرية , فتشكلت بذلك الكوربورقراطية , هدفها السيطرة على العالم بشكل كامل من خلال العولمة والليبرالية الجديدة .

إن الماسونية تدرك بشكل أكيد أن زيادة عدد السكان وازدياد القوى المناهضة لها يتطلب منها زيادة في الجهد وإدخال عناصر جديدة لخدمتها وابتكار وسائل جديدة لتحافظ على استمراريتها فاعتمدت إلى جانب ما ذكرناه من مستشرقين وأبطال حقيقيين على جهود من أنواع أخرى منها ما سميّته أنصاف أبطال وعلى ما سميّته الماسونية المرئية.

أنصاف الأبطال :

لعب هذا النوع من الرجال دوراً كبيراً في تثبيت قواعد الماسونية وخاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر , فقد استطاع قسم منهم وهم (المبشرين) بنشر الأفكار الديانية (المسيحية الإنجيلية والبروتستانتية) , واستطاع القسم الآخر بنشر اللغات (إنكليزية – فرنسية – اسبانية وغيرها) , مما سهّل تقبّل الثقافة التي تود الماسونية نشرها , وهذا ما عبّرت عنه هيلاري كلنتون في كتابها (خيارات صعبة) حين قالت : (إن ثقافتنا هي الثقافة الأكثر انتشاراً في العالم) . لقد انتقد أرنولد توينبي في كتابه (العالم والغرب) أسلوب الغرب في السيطرة على العالم ورأى أن السيطرة على العالم تتم عن طريق توحيد الثقافة في العالم , أي أن هدف العولمة هو ما عبر عنه توينبي .

لم تتوقف البعثات التبشيرية حتى يومنا هذا فإننا نراها ظهرت وبقوة في روسيا بعد تسلم يلتسن مقاليد الحكم , وهذا ما عبر عنه صموئيل هنتغتون في كتابه (صدام الحضارات) في فقرة (ثأر الله) التي تحدث فيها عن البعثات التبشيرية الانجيلية المدعومة غربياً وكيف اصطدمت بالكنيسة الأرثوذكسية في مطلع تسعينيات القرن العشرين رغم دعمها من الرئيس يلتسن الذي لم يستطع الوقوف ضد الكنيسة وبنفس الوقت لم يوقِّع على قرار يمنع ممارسة هذه البعثات من نشاطاتها على الأراضي الروسية وقد سمى هنتغتون فقرته هذه (ثأر الله) لأن ما حدث هو ردة فعل عكسية حيث ازدادت فعالية الكنائس الأرثوذكسية وارتفع عدد الكنائس العاملة في موسكو فقط من خمسين كنيسة إلى مئتين وخمسين كنيسة وارتفع عدد الشباب المتدينين البالغة أعمارهم حتى خمسة وعشرين عاماً / 30 % / وذلك في بداية تسعينيات القرن العشرين .

الماسونية المرئية :

لقد أدركت الماسونية الخفية أنها تحتاج لأدوات من نوع خاص تساعدها في استقطاب أنواع أخرى من الأدوات فأسست بذلك الماسونية المرئية (أقصد بالماسونية المرئية هي المحافل والنوادي التابعة لها الظاهرة للعيان) , وبدأت تعمل على استقطاب المبدعين للاستفادة منهم , فقدمت لهم كل الدعم المالي والمعنوي وكل شيء كي يبدعوا لتستفيد من إبداعاتهم وتسخرها في السيطرة على العالم , فشكلت أندية لهم ومن أهم هذه الأندية , هي أندية الروتري والوينز .

لم تعمد هذه الأندية على استقطاب المبدعين فقط , بل عملت على استقطاب من هم عكس ذلك , أي عمدت على استقطاب أناس عاديين موتورين يعيشون عقداً نفسية لكنهم أحبوا أن يكونوا في الشهرة والعلن , فحمّلتهم أفكاراً وأعمالاً لتصنع من هؤلاء الأشخاص المرضى أبطالاً ونجوماً مزيفة تبث وتنشر من خلالهم مبادئها وأفكارها وأخلاقياتها وثقافتها عن طريق وسائل الإعلام والفضائيات لتخرِّب عقول المجتمعات المتخلفة , وتحل أخلاق الأمم عن طريق تفعيل وتظهير الغرائز والرغبات والشهوات , صانعة بذلك ثقافة الكيتش . لقد استطاعت الماسونية من

خلال هذه النوادي أن تجذب إليها أناساً من ثلاثة أصناف , وهم صنف المبدعين الحقيقيين , وصنف المرضى الموتورين , وصنف ثالث هو من عامة الشعب ليكونوا ستاراً يخفون بوجودهم الأعمال والأهداف الحقيقية التي لا تريد أن تكشف عنها , كما كانت تعقد صفقات غير قانونية داخل هذه الأندية . ومن بين رواد هذه الأندية المفكر محمد عبده وجمال الدين الأفغاني اللذان اكتشفا أمر هذه الأندية وهربا منها خوفاً على حياتهما . كما تم اكتشاف أمر بعض هذه النوادي في بعض دول العالم وتم إغلاقها .

لعبت الماسونية المرئية دوراً هاماً في معظم دول العالم , وفي هذا الجانب هناك العديد من الكتب تكشف أسرارها , لكني لا أهتم بها لأنها , رغم أهميتها , هي خارج بحثنا , كما أن هناك العديد من الكتّاب الذين درسوا هذا الجانب أكثر مني وأجادوا فيه .

وسائل الإعلام :

لو نظرنا نظرة سريعة إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة لوجدنا أن كل هذه الوسائل متشابهة فيما بينها أي أنها تسير وفق سياسة واحدة رسمت خطوطها العريضة الماسونية لكل من يعمل في هذا المجال الإعلامي سواء علم بذلك أم لم يعلم , فالهدف الرئيسي من كل ما تقدم هو سرقة الوقت والزمن من أبناء المجتمعات المتخلفة والذي هو أثمن شيء في الوجود دون تقديم الفائدة لهم , إن الزمن هو الشيء الوحيد الذي عندما يُفقد ويذهب لا يعوض ولا يعود ثانية , أما الأشياء الأخرى مهما غلا ثمنها وعظم شأنها فإنك تستطيع أن تعوضها في الوقت الذي تسنح لك الفرصة بذلك , لذلك تسعى الماسونية إشغالك بالأشياء التافهة والمدمرة لتسرق من أبناء الشعوب المتخلفة الزمن كي لا يُخلق تراكم ونمو لهذه المجتمعات وتبقى في حالة تخلف , فإذا لم يؤدِ الزمن إلى تراكم ونمو وتغيير صور الحياة من صور قديمة بالية إلى صور فتية جديدة هذا يعني أن الأمة تضيع وقتها وهي تعيش في حالة لعب ولهو وتعيش في حالة ضياع من السهل التلاعب فيها .

بكل صراحة .. فقد استطاعت أدوات الماسونية نشر ثقافة الكيتش وخاصة عن طريق الإعلام وهذه الثقافة التي عملت عليها الماسونية منذ أكثر من قرن تهدف لخلق إنسان مستهلك ذي عقلية مسطحة بعيدة كل البعد عن التفكير , حيث لا هم له في الحياة غير أن يأكل ويشرب وينام ويمارس الجنس – وهي جميعها منشؤها غرائزي لا علاقة للعقل فيها – معتبراً ذلك هي غاية الحياة القصوى , وأن ذلك هو الاستمتاع الحقيقي وأن الله خلقنا من أجل ذلك .

العملاء والجواسيس :

إن هذا الصنف من الناس موجود منذ القدم وخاصة في المجتمعات التي لا يزال يتحكم فيها العقل اللاهوتي أي المجتمعات التي لا تزال تعيش الموجة الأولى , إلا أن الماسونية طورت هذا النوع من العملاء والجواسيس , وأسست لهم مراكز وشبكات تواصل واتصال وكانت وزارة المستعمرات البريطانية هي الجهة الرسمية التي تحدد كل شاردة وواردة .

لقد كانت الجاسوسية والعمالة قديماً مقتصرة على إعطاء العدو معلومات من أجل غزوة معينة أو مسألة وقضية معينة وينتهي بعدها كل شيء , لكن الماسونية استطاعت أن تؤسس لهم مكاتب ليس من أجل قضية معينة أو معركة بل من أجل وضع أسس وأنظمة يمشون عليها لتحقيق جميع أهدافهم وأهمها السيطرة على العالم , وهذا يعني أن المعلومات والتقارير والأخبار التي كانت ترد إلى المكاتب الخاصة , ليس فقط من أجل تنفيذها الفوري بل من أجل وضع خطط طويلة الأمد قد يتم تنفيذها بعد عدة عقود , وهذا ما نراه واضحاً وجلياً في كتاب (مذكرات الجاسوس البريطاني مستر همفر) الذي عاش في القرن الثامن عشر والذي يقول فيه : (وإن كنا قد عقدنا مع الرجل المريض – ويقصد الإمبراطورية العثمانية – عدداً من المعاهدات كانت جميعها في صالحنا , فقد كان تقديرات خبراء وزارة المستعمرات أن الرجل سيلفظ أنفاسه الأخيرة

في أقل من قرن) ويقول في موقع آخر من كتابه هذا : (عقدنا المؤتمرات الكثيرة لنلتمس الحلول الكافية لهذه المشاكل المقلقة لكننا في كل مرة لم نجد أمامنا سوى الطريق المسدود , وكانت التقارير التي تأتينا بانتظام من قبل العملاء والجواسيس مخيبة للآمال , كما كانت نتائج المؤتمرات كلها صفراً أو تحت الصفر , لكنا لم ندع المجال لليأس فينا , حيث عودنا أنفسنا النفس الطويل والصبر اللا متناهي) , وفي مكان آخر يقول فيه : (قال لي السكرتير – يقصد سكرتير وزارة المستعمرات – بعدما بيّن لي البرنامج المذكور لا يهولنَّك هذا البرنامج الضخم فإن الواجب علينا أن نبذر البذرة وستأتي الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة , وقد اعتادت حكومة بريطانيا العظمى على النفس الطويل , والسير خطوة خطوة , وهل محمد النبي إلا رجل واحد تمكن من ذلك الانقلاب المذهل ؟ فليكن محمد بن عبد الوهاب مثل نبيه محمد ليتمكن من هذا الانقلاب المنشود) .

ومن مهام هذه الفئة من الناس دراسة نقاط القوة والضعف لكل منطقة أو بلد يدخلونه , وتجنيد عملاء وجواسيس جدد لصالحهم , وبث الفتن بين الناس وتشويه الديانات , والفساد والإفساد , ونشر الربا والمخدرات والدعارة والشذوذ الجنسي وأعمال كثيرة تؤدي لضعف هذه المنطقة أو تلك ليسهل الانقضاض عليها إما سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً وحتى ثقافياً .

ونجد أنواع النزاعات التي كانت الماسونية تعمل عليها موجودة في كتاب همفر الذي ذكرناه سابقاً حيث يقول له سكرتير في وزارة المستعمرات البريطانية ما يلي : (اعلم يا همفر أن هناك نزاعات طبيعية بين البشر منذ أن خلق الله قابيل وهابيل وستبقى هذه النزاعات إلى أن يعود المسيح , ومن هذه النزاعات , نزاعات عرقية ولونية ونزاعات قبلية وإقليمية وقومية ودينية ومهمتك أن تتعرف في هذه السفرة على هذه النزاعات بين المسلمين وتعرف البركان المستعد للانفجار منها , وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك , وإن تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى) , وبالمناسبة كانت مهام همفر , التجسس على العالم الإسلامي وهو من جند محمد عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية لصالح الإمبراطورية البريطانية , وعمل على تأسيس الدرعية في نجد ليحكمها آل سعود سياسياً وإدارياً ويحكمها محمد عبد الوهاب دينياً بالتعاون مع آل سعود . وهذا ما يؤكد عليه الشهيد ناصر السعيد في كتابه (تاريخ آل سعود) .

لقد استطاعت الماسونية من خلال عملائها وجواسيسها أن توصل أفراد إلى سلطات الدول المتخلفة وتضع الحكام الذين يأتمرون بإمرتها وتنفذ مشاريعها وبالأخص إبقاء الشعوب تحت نير التخلف والجهل والفقر والجوع والحرمان والمرض رغم هول الثروات التي تملكها تلك البلدان حتى تذهب ثروة البلاد إليها بطرق مختلفة .

القوى الناعمة :

يتميز العقل الاستعماري بالدهاء لأنه لا يفكر إلا بمصلحته , فهو يحاول استغلال كل شاردة وواردة وكل جهد سواء كان عضلياً أو ذهنياً , ولما كانت العصور الاستعمارية القديمة تعتمد على القوة العضلية نجده كان يسعى للسيطرة على العبيد لاستخدامهم الحروب فعلى سبيل المثال نجد أن الشركات الإنجليزية وحدها صدّرت حوالي / 2130000 / زنجي من الرقيق ما بين عامي /1680– 1786/ م , واستمرت الأعداد في التصاعد حتى القرن التاسع عشر عندما أصدر الإنكليز مرسوماً بإلغاء الرق في العالم وفرضته على الدول الاستعمارية التي انصاعت لأوامر بريطانيا العظمى لأنها أصبحت كلها ضعيفة أمامها بعد حرب السنوات السبع التي دارت بين فرنسا وبريطانيا وكان الانتصار ساحقاً لمصلحة الإنكليز , لم يكن هذا المرسوم من باب العطف على العبيد أم أن الإنكليزي قد دبت في قلبه الرحمة والشفقة على العبيد , لكنه كان من باب إضعاف المستعمر الهولندي الذي كان يحتل دولة جنوب إفريقيا لأنه كان قد دخلها قبل الإنكليز بحوالي قرنين على الأقل , لذا استطاع المستعمر الإنكليزي أن يطرد المستعمر الهولندي بعد أن حيّد الزنوج الذين كان يسيطر عليهم الهولندي .

فكر الإنكليز بأسلوب جديد لتأسيس قوى ناعمة يستخدمها حيثما أراد , فبدأ يشكل حركات ومنظمات وأحزاب في العديد من بلدان العالم مستخدماً قوة المال التي يملكها واللعب على غرائز البشر , فشكل على سبيل المثال حزب الكوميتانغ في الصين استطاع أن يستغله أبشع استغلال

حيث كان سيصل إلى السلطة لولا تدخل الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسي تونغ ودخولهما في حرب أهلية استطاع الشيوعيون أن يبعدوا الكومينتانغ عن السلطة رغم الدعم غير المحدود من الامبريالية .

ومثال آخر عن القوى الناعمة التي تعمل لصالح الامبريالية سواء كانت تدري أم لا تدري وأغلبها لا يدري , هي الحركات الدينية المتطرفة . كانت الامبريالية تدعم معظم الحركات الدينية المتطرفة في العالم مهما كانت ديانتها , لتستخدمها ضد شعوبها , وهذا نجده في معظم الحروب الأهلية التي حصلت في العديد من دول العالم , وللتوسع بهذه الفقرة أنصحك بقراءة كتاب (التاريخ الأسود لتآمر بريطانيا مع الأصوليين) . لقد وجدت الامبريالية أن استخدام القوى الناعمة هو السلاح الأنجع لها وهي لا تكلفها شيئاً لا بالمال ولا بالأرواح وقد سمت هذه الحروب بالحروب الصفرية .

خلاصة :

كل ما تقدم من فقرات في هذا الفصل تندرج تحت بند واحد بالنسبة للماسونية وهي أنها أدوات لتنفيذ مآربها يمكن شراؤها في أي وقت ممكن معتمدة بذلك على قوتها المالية وغريزة الطرف الآخر لحبه للمال والجنس والشهوات والسلطة .

نستطيع القول إن الشراكة بين الشريكين الماسونيين (اليسار واليمين) قامت على أسس متباينة بين الطرفين ورغم هذا التباين في الأهداف , فقد وجد الطرفان أنه من الضرورة أن تحصل هذه الشراكة وإلا فلن يحققا أي مكسب من المكاسب التي كانت تحققها القوى الاستعمارية الأخرى وأهمها الثروة والتوسع والسيطرة على الشعوب , وعندما تحققت هذه الشراكة بدأ اعتمادهما على وسيلتين أساسيتين هما الأولى : القوة ونقصد بالقوة هنا (القوة البشرية – قوة المال – قوة السلاح) والثانية : العقل , وراحت تطور بهما .

ومن خلال تجاربها وخبرتها وجدت أن سلاح العقل أقوى وأمضى من أي سلاح فبدأت تطور قدراتها مستخدمة العقول الفذة التي كانت تظهر في تلك المرحلة التأسيسية وخاصة القرن السابع عشر في أوروبا الذي سميَّ عصر العقل , لأنهم أدركوا أهميته وأنه هو الوحيد الذي يمكن من خلاله السيطرة على العالم , فشكلت في القرن السابع عشر ما يعرف باسم المستشرقين ليدرسوا كل بلد من بلدان العالم , وأسست لهم مكاتب ومؤسسات في معظم بلدان العالم ليقدموا لها الدراسات اللازمة من أجل تخطيط ما يجب أن تقوم به للسيطرة على هذا البلد أو ذاك . وباعتبارها تؤمن بالعلم وبالعلماء ولا أحد في العالم يجاريها بإيمانها بهما , فقد اعتمدت على قوانين علمية , ومن أهم هذه القوانين هو (كل شيء متغير في هذا الكون ولا يوجد شيء ثابت) , لذلك عرفت أن من واجبها أن تتطور في كل لحظة وأنها إذا توقفت عند نقطة معينة فإن قوة ما ستسبقها ,لذا يتوجب عليها تحطيم كل قوة تحاول أن تتقدم عليها أو إضعافها كي لا تتفوق عليها في المستقبل , كما درست الحضارات وعلمت أن جميع الحضارات مهما علا شأنها فإنها ستمر في مرحلة الانحطاط وأنها ستهرم ثم تندثر , فعملت على أن تكون كالثعبان تستطيع أن تغير جلدها كي تبقى شابة لا تهرم , ولكي تدوم وتسيطر لمدة أطول عليها أن تقضي على كل الحضارات أو أن تصبغ العالم كله بثقافتها وحضارتها , وفي ذلك يقول كامبل بنرمان رئيس

الوزراء البريطاني عام /1907/ في اجتماع عقده مع نخبة من المستشرقين والعلماء ووفود من الدول الاستعمارية وقال لهم : (إن الحضارات تتكون وتتسع وتقوى وتستقر إلى حد ما ثم تنحل رويداً رويداً ثم تزول والتاريخ مليء بالأمثلة) .

آمنت الماسونية بالعلم وهذا ما يدل عليه اسمها الذي يعني (البناؤون) , والمقصود بها هو بناء العالم كما تريد هي لتحقق السيطرة الكاملة عليه . لقد ظهرت كلمة الماسونية بشكلها الجلي والواضح في بداية القرن التاسع عشر أي بعد إلحاق الولايات المتحدة بها . إن إيمانها بالعلم إيماناً مطلقاً جعلها تؤمن بكل كلمة يقولها العلم أكثر من أي كلمة قالها الكتاب المقدس , لدرجة أنها بدَّلت الكتاب المقدس بنظرية داروين (أصل الأنواع) التي ظهرت عام / 1859 / م , وصاغت ثقافتها منه وعممتها على مجتمعاتها الغربية مما ساهم مساهمة كبرى في نشر الموجة الإلحادية في الغرب , وصار معظم الغربيين يؤمنون بنظرية داروين أكثر من إيمانهم بالكتاب المقدس , لدرجة أن مصطلح العناية الإلهية الذي ظهر في القرن السابع عشر أو في أواخر القرن السادس عشر , قد اضمحل وانتهى مفعوله منذ النصف الثاني من القرن العشرين , واستبدل مكانه بعبارة : (إن الكون عبارة عن صندوق مغلق يعمل ذاتياً) , فنجد أنه عندما بدأت تظهر في الغرب في أواخر القرن العشرين أصوات وعلامات تبرهن على وجود خالق لهذا الكون , أسرعت جميع وسائل الإعلام تبث أخبارها لتدعم نظرية داروين . كما آمنت بنظرية مالتوس التي سبقت نظرية داروين بست عقود والتي مضمونها أن العالم يتضاعف أربع مرات في كل قرن حسب سلسلة هندسية , وفي ذلك يقول الدكتور جون نولز رئيس مؤسسة روكفلر الماسونية وخاصة بعد إحصائية عدد سكان العالم عام ألفين ومقارنتها بعدد سكانها عام /1900/ م : (لقد ثبت بالفعل أن مالتوس على صواب) , ويقول مسؤول آخر في نفس الشركة : (إن تزايد سكان العالم هو أكثر الأمراض إثارة للرعب) , ويقول س.و. كوك الرئيس المتقاعد لشركة جنرال فورد الماسونية : (إذا كان علينا أن نتنافس مع عالم يزداد ازدحاماً وجوعاً فإن توفير التغذية المناسبة لملايين الأمريكيين من ذوي الدخل المنخفض قد يصبح حلماً مستحيلاً) إنه يعترف بوجود فقر في الولايات الأمريكية الديمقراطية دون أن يدري , وقد زاد عليها الدكتور الإنكليزي جاريت هاردن في كتابه (أخلاقيات قارب النجاة) الذي صدر في ستينيات القرن العشرين إذ يقول فيه : (إن الفكرة بسيطة جداً ولا تحتاج لتفكير , فالأرض الآن

تشكل قارب النجاة , وليس فيها من الطعام ما يكفي الجميع , أليس من المنطق والطبيعي أن يذهب الطعام إلى من يتمتعون بأكبر فرصة في النجاة ؟ وألا نخاطر بسلامة الجميع بإحضار ركاب جدد ؟) يعود فيسأل : (ماذا سيحدث لو اقتسمت المساحة في قارب النجاة) هكذا يسأل الدكتور هاردن ثم يجيب من تلقاء نفسه فيقول : (يغطس القارب ويغرق الجميع , فالعدالة المطلقة تعني الكارثة المطلقة) , ولحل هذه المسألة يضع دكتورنا هاردن علاجاً له فيقول : (العلاج الذي يقدم لتخفيف ألم صراعنا بسيط , هو أن تكفوا عن الإحساس , إذ يقال لنا أن الأخلاق اليهودية – المسيحية قد مضى عهدها في هذه الحقبة الجديدة من الندرة , وأن التعاطف ترف لم نعد نستطيعه , وإن نزعة فعل الخير اليهودية – المسيحية هي الجذر الحقيقي لمأزق العالم الراهن . ويجب أن نتعلم أخلاقاً جديدة , هي أخلاق العقل المجرد , لا بد أن نتعلم كيف ندع الناس يموتون من أجل البقاء النهائي للجنس البشري) .

نجد من خلال أفكار الدكتور هاردن أن نزعة العرق الأبيض الآري ما تزال سارية المفعول في الغرب وخاصة عند الأنجلوسكسون كما نلاحظ الربط بين اليهودية والمسيحية في العقل الغربي لدرجة تكاد تراها أنها أصبحت ديناً واحداً , وهذا دليل على تأثير الفكر اليهودي في الغرب من خلال تأسيس الكنائس التي ظهرت منذ القرن السادس عشر .

إن نظريتي مالتوس وداروين أثرتا تأثيراً كبيراً وواضحاً في الفكر والفلسفة والعقلية الماسونية , لدرجة أننا نراها واضحة من خلال تصريحات الرئيس الأمريكي ويلسون بعد أن أخذت نظرية داروين تشرش في حياة الفكر الغربي وخاصة بعد أن تناولها العلماء من جوانب عدة قائلاً (الحكومة ليست جهازاً , بل هي كائن حي , فهي لا تدخل تحت نظرية الكون , وإنما تحت نظرية الحياة العضوية , ويمكن تفسيرها على ضوء تعاليم داروين لا تعاليم نيوتن , ليست الحكومة كتلة من القوى العمياء , وإنما هي هيئة من البشر , فيجب أن تكون الدساتير السياسية الحية داروينية في مبناها وفي تطبيقها) .

استطاعت نظرية داروين أن تنتزع المقولة التي كانت تتردد كثيراً في حياة الشعب الأمريكي والأوروبي على السواء , وهي التي أطلقها جيفرسون والتي تعبر عن وجود عناية إلهية مسيطرة تثبت بكل تدابيرها أنها تبتهج لسعادة الإنسان في الدنيا وسعادته الكبرى في الآخرة . لقد تناول

الكتاب والمؤلفون والأدباء والفلاسفة وحتى العلماء جوانب هذه النظرية وانعكاسها على مسيرة الحياة والتاريخ , فتبدلت فلسفة الإيمان بالفلسفة التي منبعها نظرية داروين , فتصدعت فكرة وفلسفة أن الكون تنظمه وتديره قوة عليا , لقد حلت نظرية داروين التطور الطبيعي والبقاء للأصلح محل الخلق والتوجيه الإلهي , لقد أدت هذه النظرية إلى الجدل الفكري في كافة مناحي الحياة المألوفة , فظهر تيار مؤمن متنور يطالب بتفسير الكتاب المقدس على أسس العلم وترك التفاسير القديمة جانباً , إلا أن هذا التيار لم يلق آذاناً صاغية فخفت صوته وغاب . بينما راحت المجتمعات المتخلفة تناقشها بنظرة دينية تقليدية لأنها ما زالت تملك العقل اللاهوتي ولم يتكون لديها العقل العلمي .

راحت الماسونية تعزز أفكارها بأن لا بقاء في هذا العالم إلا للأقوى , فعكستها على جميع الجوانب السياسية والتنظيمية والاقتصادية والفكرية .... , وراحت تقول إن هذه هي الفلسفة التي سيكتب لها النجاح , وتطيل بأمد بقائها . قال أحد الكتاب : (لو قدر لويلسون أن يشهد نظرية أينشتاين لقال حتى نظرية الكون تخضع لنظرية داروين) .

يقال لنا : علينا أن ندع الأمور وشأنها , وأن ندع الطبيعة تجري في مجراها , ولكن , أليست الحضارة ذاتها بكل ما حققته هي نتيجة لعدم ترك الإنسان الأمور تسير على أعنتها وعدم ترك الطبيعة تجري في مجراها ؟ إن كل أداة أو وسيلة وكل آلة ميكانيكية كانت أو كهربائية أو غيرها هي انتصار للعقل على القوى المادية للطبيعة , فهي في منافسة مستمرة بينه وبينها .

ومن الأدوات الأخرى غير القوة والعلم هي القوة الاستخباراتية التي زرعتها في العديد من البلدان إن لم نقل كل بلدان العالم , وقد أطلقت على هذه القوة الاستخباراتية اسم (فرقة الثعالب) , كما أسست فرق اقتصادية تحاول فرض خططها الاقتصادية على رؤساء العالم وأطلقت عليهم اسم (قراصنة الاقتصاد) , ومن هؤلاء القراصنة جون بيركنز الذي كشف في كتابه اعترافات رجل اقتصادي أو (الاغتيال الاقتصادي للأمم) بيَّن فيه أسلوب الشركات العملاقة في التعامل مع رؤساء العالم وكشف أكثر من جانب فيه .

كانت الماسونية في كل مرحلة تطور أدواتها لأنها تعي أن العالم في تغير مستمر ويجب عليها أن تبقى الأصلح , ولكن هل ستبقى هي الأصلح حسب نظرية داروين أم ستشيخ وتهرم وتندثر حسب السنة الكونية للحضارات ؟؟!!

ومن أدواتها الأخرى القوى الناعمة التي صنعتها في منتصف القرن التاسع عشر وقوى الإرهاب العالمي التي صنّعته في القرن العشرين ومنها الإخوان المسلمون وغيرهم ومعظمهم من المسلمين لتقضي على عدوها بيده ولكن أهم سلاح وأخطر سلاح بالنسبة لها هو الجهل , فيجب أن تبقى الدول المتخلفة على ما هي عليه كي تستطيع التلاعب بها كيفما تشاء وبأي وقت تريد مستخدمة الفساد والإفساد أيضاً . إنها تستخدم كل الأدوات والوسائل والأساليب كي تبقى في المقدمة ومتحكمة في مصير الشعوب !! .

ما نقوله ليس خيالاً أو وهماً أو توهماً بل هو أقرب ما يكون للحقيقة , فالذي لا تعرفه لا يعني أنه غير موجود ومن جهة ثانية نحن لسنا من مناصري أو ممن يرى أن كل شيء في هذا الوجود هو من نتاج المؤامرات , كذلك لسنا من مناصري أن الله هو من يفعل ذلك في هذا الكون وأن الإنسان مسير لا مخير فكلا الرأيين ليسا على صواب , فللإنسان إرادة ولكن ما ينجز هي مشيئة الله , وللتوضيح , ليس كل ما تخططه الماسونية قد نُفذ كما تريد أو سينفذ كما تريد , فهناك الكثير من خططها ومخططاتها فشلت وستفشل في مخططها الحالي , المخطط الذي وُضع عام / 1995 / م , لأن ما سينفذ هو المشيئة الإلهية , وبعبارة أخرى إن للإنسان إرادة ولكنه لا يملك مشيئة , فلا توجد إلا مشيئة الله في هذا الكون هي التي تنجز وستنجز بحذافيرها , وهذا ما نراه في تعريف المؤرخ الفذ أرنولد توينبي حين عرّف التاريخ قائلاً : (هو إنجاز اللحظة الإلهية , وإبداع الله في حركته , فمن الله منطلقه وإلى الله مبتغاه) , أما في الإرادة فأجمل ما كتب عنها هو ما كتبه الفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس ابن سينا حيث قال : (إن الأفعال والحوادث لا تصدر عن الله بشكل مباشر , بل إن الأشياء تتطور بفعل غائي داخلي , أي أن لها أغراضاً ومصائر في ذاتها , ولهذا فإن الله لا يصدر عنه الشر , وما الشر إلا الثمن الذي نؤديه مقابل ما لنا من حرية الإرادة , وقد يكون الشر في الجزء هو الخير للكل) . إذاً نحن لا نؤمن بالمؤامرة ولكن نؤمن بالتخطيط والمشاريع , فالماسونية انتقلت من مرحلة المؤامرة إلى مرحلة تخطيط المشاريع التي تود إنجازها . كما أنها تستخدم سلاح الدين الذي

يناسب مجتمعات الموجة الأولى المتمتع بالعقلية اللاهوتية ويرى فيه أفضل السلاح المناسب في كل عصر طالما بقيت المجتمعات المتخلفة كما هي عليه .

إن أخطر ما كانت تقوم به الماسونية , عقد اتفاقات ومعاهدات وصفقات مع الدول المستَعمرة من أجل انهاكها وإشغالها بأشياء هي في غنى عنها , والأخطر أنها كانت تخلق مشكلات في الحدود بين الدول المستَعمرة فكانت تقتطع الأراضي والجزر كما يحلو لها وتؤسس دولاً لم تكن موجودة من قبل مثل الباكستان والتايوان وهونغ كونغ وغيرها , ومن مشكلات الحدود على سبيل المثال أنها اقتطعت أراضي وجزراً من الصين ومنحتها إلى اليابان والفيتنام والفيلبين , فنرى أن الصين اضطرت أن تتنازع مع الفيتنام بعنف على جزر منحتها الماسونية لفيتنام في العقدين السابع والثامن من القرن العشرين , واشتبكت مع الفيلبين على جزر أخرى في تسعينيات القرن العشرين، وفي شرق بحر الصين هناك ثمانية جزر متنازع عليها بينها وبين اليابان.

الفصل الثالث

مسيرة الماسونية

مسيرة الماسونية حتى الحرب العالمية الثانية :

قبل أن نبدأ بكشف مسيرة الماسونية التي اتفقنا أنها بدأت بالشراكة بين بريطانيا العظمى واليهود في النصف الأول من القرن السادس عشر , ولا ننسى أننا سمّينا الغرب الأنجلو سكسون باليسار الماسوني واليهود باليمين الماسوني , وبعد الاطلاع على أكثر من جانب من جوانب المشهد العام للحركة العامة لأغلب مفاصل الحركة التاريخية وكيف تطورت الشعوب والأمم وتحديد مكامن الشر عند الشعوب الشريرة نجد أن الماسونية قد صيغت على أسس عقائدية دينية لدى اليهود وأسس عرقية فكرية عند الأنجلوسكسون وتلاقحت تلك الأسس مع بعضها بعضاً لتكوِّن أعتى قاعدة إمبريالية تعمل للسيطرة على العالم .

لم يكن هدف الماسونية في بداية الأمر السيطرة على العالم وبالأخص اليسار الماسوني فقد كان هدفه هو السيطرة على القارتين الأمريكيتين فقط أو إحداها على الأقل ونهب ثرواتها والاستيطان فيها أي جعل القارتين تابعتين للتاج البريطاني بشكل كامل ولكن عندما ظهرت قوتها بشكل مدروس ومخطط له وبأنها القوة الوحيدة في العالم وخاصة بعد حرب السبع سنوات مع فرنسا التي انتهت بانتصار ساحق ماحق على الفرنسيين عام / 1763 /

عندما أصبحت بريطانيا العظمى القوة الاستعمارية الوحيدة القوية في العالم , بدأت تفرض قوانينها وقواعد اللعبة العالمية فسارعت بإصدار قوانين ومراسيم اقتصادية تفرض على العالم التجارة البحرية وحركة الملاحة العالمية وفرض رسوم جمركية على البضائع فأصبحت جميع الدول الاستعمارية وغير الاستعمارية تسير تحت إمرتها . عندها فكرت بالسيطرة على كامل الكرة الأرضية فظهرت فكرة العولمة منذ أواخر القرن الثامن عشر وأن من واجبها بناء وترتيب هذا الكون كما تريد وخاصة أن باقي الدول والإمبراطوريات كانت في صراعات فيما بينها ومنهكة القوى وضعيفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

بدأت الإنجازات الأولى للماسونية في إضعاف القوة الإسبانية وتدمير أسطولها (الأرمادا) وكان ذلك في عام / ١٥٨٨ / م , وفي بداية القرن السابع عشر عملت على تحقيق هدفين الأول إضعاف جميع القوى الاستعمارية الأوروبية مهما كانت عقائدها عن طريق إشعال الحروب فيما بينها , فعلى سبيل المثال كانت تمد هولندا بالسلاح والمال وتعدها بأثمان باهظة مقابل إخراج فرنسا من الهند ومن شرق آسيا مما أدى إلى إنهاك الطرفين وإضعافهما , والثاني تأسيس مؤسسة عالمية للمستشرقين وزِّعت في جميع أنحاء العالم من أجل دراسة أحوال البلدان ومعرفة مكامن ضعف سكانها وكيفية السيطرة عليها .

استطاعت الماسونية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أن تسيطر بشكل كامل على القارتين الأمريكيتين وقارة أستراليا والقسمين الجنوبي ووسط قارة إفريقيا , فعملت على نشر لغتها وديانتها عن طريق إرسال بعثات تبشيرية وبعثات لتعليم اللغة الإنكليزية , كما استطاعت أن تحتل مناطق وبلدان واسعة في قارة آسيا مثل الصين واليابان وغيرها من البلدان إلا أنها لم تستطع السيطرة عليها بشكل كامل , فوجدت أن الاحتلال لا يجدي نفعاً في الدول التي لها حضارتها وعراقتها المعروفة , ففكرت في السيطرة عليها بطرق أخرى .

ما إن دخل القرن العشرون حتى غدت الماسونية مسيطرة على قارة أوروبا وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى التي تم التخطيط لها من أجل السيطرة على أوروبا اقتصادياً عن طريق شراء معظم الشركات الأوروبية العامة والخاصة من قبل الشركات العابرة للقارات مما أدى لسيطرتها على الدول الأوروبية المهزومة أثناء الحرب العالمية الأولى التي تم بعدها تشكيل عصبة الأمم التي تهدف إلى السيطرة على العالم , تم احتلال البلاد العربية بحجة الانتداب لأن تلك الدول ضعيفة لا تستطيع إدارة بلدانها بنفسها فقامت هي بهذه المهمة بحجة أنها تريد إنعاش البلدان العربية لا من أجل أن تسيطر عليها وتنهب خيراتها . لقد استطاعت الماسونية أن تسيطر على خمس قارات وهي : (أمريكا الشمالية – أمريكا الجنوبية – استراليا – إفريقيا – أوروبا) مع أخذ العلم أن بعضاً من دول إفريقيا وأوروبا ظلت تقاوم هذه السيطرة , كما استطاعت أن تسيطر على الدول العربية بشكلها الكامل ولو أن بعضاً منها حاول أن يقاوم هذه السيطرة , لقد ظلت الماسونية حتى ثلاثينيات القرن العشرين القوة العظمى الوحيدة في العالم يقودها الأنجلو– سكسون , فكانت تسيطر على (٤٩%) من مساحة الكرة الأرضية , وعلى

جميع البحار والمحيطات فيها تقريباً , وعلى (٧٠) % من ناتج الاقتصاد العالمي , و(٨٤) % من الناتج الصناعي وكانت تود تنفيذ مشروع العولمة الذي فكرت فيه سابقاً لتبسط سيطرتها على العالم تحت اسم (النظام العالمي الجديد) الذي تكلم عنه مجدداً فرانكلين روزفلت عند وصوله سدة الحكم في الولايات المتحدة في دورته الأولى عام / 1932 / م , كما كانت تود أن تبسط سيطرة الدولار على العالم منذ ثلاثينيات القرن العشرين عن طريق ربطه بالذهب فأمرت شعبها بأن يبيع كل ممتلكاته من الذهب إلى دولته وذلك عام / 1933 / م الذي تأجل بسبب الحرب العالمية الثانية حتى عام / 1944 / م عندما عقدت أربع وأربعين دولة مؤتمر وودز بروتون بقيادة الولايات المتحدة إلا أن تسلم هتلر سدة الحكم في ألمانيا عام /1933/ قلب الموازين رأساً على عقب وقد سبقه ظهور رئيس روسيا ستالين الذي تسلم السلطة عام / 1924 / م , فبدأ بأخذ البلاد نحو الطريق الصحيح خلافاً عن سابقه لينين الذي كان يود أخذ روسيا نحو الهاوية وفي ذلك يقول ونستون تشرشل في كتابه (مذكرات تشرشل) : ((إن شيوعية ستالين تختلف عن شيوعية لينين)) قاصداً بذلك أن الاتجاهين مختلفان , وقال روبرتس في كتابه (موجز تاريخ العالم) : ((لقد استطاع ستالين أن يثبت نظريته التي هي عكس نظرية ماركس , فماركس يقول : إذا سيطرت على الاقتصاد تستطيع أن تبني دولة لكن ستالين أثبت أنه إذا أحكمت قبضتك على الجيش تستطيع أن تبني اقتصاداً قوياً))

بعد أن تسلم هتلر مقاليد الحكم قام بتمزيق معاهدة فرساي المذلة التي وقعتها الحكومة الألمانية إبان الحرب الأوروبية (العالمية الأولى) , وقام بحشد قواته وتدريبهم ورفع حالة التأهب في صناعة الأسلحة وانسحب من هيئة عصبة الأمم , عندها بدأت الماسونية أيضاً بتهيئة قوتها والزيادة في التسلح لأنها عرفت من خلال تحليلها لشخصية هتلر أنه ينوي الحرب , عندها بدأ روزفلت الناطق باسم الماسونية تقديم تنازلات للشعب الأمريكي وصار روزفلت محبوب الجماهير الأمريكية , لأنها تعلم أن دخول الجيش الأمريكي في أية حرب تحتاج لموافقة الشعب الذي سماه روزفلت (بالقنبلة الديمغرافية الموقوتة) , كما راح ستالين يسحب روسيا من يد اليهود وأتباعهم الذين سيطروا على تسعة أعشار الحكم تقريباً فقام بتصفية معظم قاداتهم وأتباعهم وعملائهم وبسط سيطرته على كل مفاصل الدولة , واستطاع أن ينهض بروسيا ويعيدها

إلى المعسكر الشرقي . لا شك أن هتلر انهزم في الحرب العالمية الثانية , لكن أهم أسباب هزيمته أمام قوات التحالف هو ارتكابه ثلاثة أغلاط قاتلة وهي :

الأولى : عند تسلمه السلطة كان العلماء الألمان يسعون للحصول على القنبلة الذرية وكانت مراكز الأبحاث تصرف على أبحاثها المال دون حساب , إلا أنه أعطى أوامره بالتوقف عن هذا المشروع وتحويل الأموال إلى صناعة الأسلحة التقليدية وتطويرها إلى أقصى حد , وفي هذه المسألة استفادت منها الماسونية فقد سعت هي إلى تحقيق ذلك بعد أن اتصل أينشتاين هاتفياً مع الرئيس الأمريكي روزفلت وأعلمه أن أصدقاءه العلماء الألمان يسعون إلى تصنيع القنبلة الذرية وقال له إنك تستطيع أن تضع قنبلة وزنها عدة كيلو غرامات بسفينة تدمر فيها مرفأ كاملاً وما حوله , فأمر روزفلت بتنفيذ هذا المشروع وعدّه مشروعاً قومياً وعلى العلماء الأمريكان التواصل مع العلماء الألمان من أجل تنفيذ هذا المشروع , وحصل ذلك عن طريق استخبارات السي أي إيه (فرق الثعالب) كما يسمونها وتم تأسيس مشروع مانهاتن بتمويل بريطاني أمريكي يقال أن حجم المال المصروف في هذا المشروع كان أكثر من مجموع ما تم صرفه على جميع الأبحاث منذ أن خلق الله الكون .

الثانية : كاد هتلر أن يقضي على القوات البريطانية في معركة جزيرة دنكرك إلا أنه في آخر لحظة أعطى أوامره بسحب القوات الألمانية من الجبهة الشمالية الغربية إلى الجبهة الشرقية لمواجهة الجيش الروسي , وفي ذلك يقول تشرشل في كتابه مذكرات تشرشل لو قام هتلر بتنفيذ الهجوم لاستسلم الجيش البريطاني لأن المدرعات الألمانية لم تكن تخترقها الأسلحة فهي تمشي وكأن الذباب يسقط عليها وقد استغربنا عدم تنفيذ الهجوم وعندما سئل هتلر من أحد ضباطه لماذا فعلت ذلك قال : (أريد لبريطانيا هزيمة مشرفة) لم يكن يود هتلر السيطرة على العالم , لكنه كان يرغب بأن يقنع الغرب أن ألمانيا موجودة وقادرة على فعل ما تريد , فقد كان يريد من الغرب أن تعترف بقوته وتعطيه قسماً من السيطرة على بعض البلدان يتفق عليها مع الماسونية , إلا أن الماسونية لا تريد شريكاً قوياً تخشى منه الغدر بها , لذلك اتخذت من الصبر وسيلة .

الثالثة : هجومه على الجيش الروسي الذي كان يقف بجانبه واجتياح روسيا فقد ذكر في كتابه (كفاحي) أن الشيوعية هي من عمل اليهود , وكان يكره اليهود ويرى الشيوعية ابنتهم , عندها استغلت الماسونية هذا الشرخ بين الشريكين الروسي والألماني وتواصلت مع ستالين ونسقت معه , إلا أن ستالين لم يرق له ذلك لكنه رآه ضرورة لا بد منها , وفي النهاية تم تقاسم العالم في مؤتمر يالطا بين ستالين من جهة وتشرشل وروزفلت من جهة أخرى وانتهت الحرب بتشكيل هيئة الأمم المتحدة التي كانت ستقام دون الصين إلا أن ستالين أصر على أن تكون الصين من الدول العضوية الدائمة وأنها تملك حق النقض (الفيتو) .

كانت الامبريالية تود أن تفرض قيودها على العالم أجمع عندما اصطنعت كساد / 1929 / الذي أدى إلى تجمع رأس مال كبير بيدها وضعف اقتصادي في معظم البلدان وخاصة قارة أوروبا , وكانت تود تنفيذ مشروع مارشال في ثلاثينيات القرن العشرين إلا أنه تأجل بسبب الحرب العالمية الثانية حتى عام / 1947 / م والذي كان عرابه وزير خارجية بريطانيا , ولضعف قوتها العسكرية بدأت فتح حرب من نوع آخر وهي الحرب الباردة التي كان من أسلحتها السياسة والأيديولوجيا والاقتصاد والعلم والاستخبارات وكل شيء مباح عدا السلاح , عندها انقسم العالم إلى معسكرين هما المعسكر الشرقي الذي يقوده الاتحاد السوفييتي بقيادة ستالين , والمعسكر الغربي الذي تتحكم فيه الماسونية . بعد الحرب العالمية الثانية وجدت الماسونية نفسها أنها تحتاج لضم ألمانيا تحت جناحها فأسست ما يعرف بمجلس البيلدربيرغرز , وشعرت أنها أخطأت لوقوفها بجانب ستالين وكان الأجدر بها أن تقف بجانب هتلر وتتقاسم العالم معه عوضاً عن تقاسمها مع ستالين في مؤتمر يالطا , لكن الذي حصل قد حصل ولا فائدة للندم .

كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي الجائزة الكبرى الحقيقية والأولى للماسونية , فما إن سيطرت عليها حتى أعلنت استقلالها شكلاً بينما لا تزال تحت سيطرتها بالكامل مضموناً , ومن أهم الأسباب التي دعتها لإعلان استقلالها هو ما يلي :

1- ظهور الولايات المتحدة تابعة لبريطانيا مما سيسبب لها متاعب وحروباً مع الدول الأوروبية , بينما في حال إعلان استقلالها ستسعى الأمم الأوروبية وغيرها لإقامة صداقات معها .

2- الابتعاد عن المنازعات الأوروبية سوف يؤدي لإقامة علاقات تجارية وسوف تصبح أوروبا سوقاً تجارية لها .

3- إذا عُدَّ الأمريكيون رعايا بريطانيين فلن تحصل على أي مساعدات من أي دولة لأن هذا سيكون ضد مصالحهم .

مسيرة الماسونية بعد الحرب العالمية الثانية :

ما إن انتهت الحرب العالمية الثانية وحطت أوزارها حتى تم تشكيل هيئة الأمم المتحدة بأعضائها الرئيسيين الخمسة , ثلاثة منها دول غربية وهي بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا والدولتان الباقيتان شرقيتان وهما الاتحاد السوفيتي والصين التي أصر السوفييت على إدخالها بعد نقاشات عديدة , وبدأ الجميع وبالأخص الدول الغربية بتصدير القرارات التي تخدم مصالحها ومن أهمها القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية . ولكن في عام / 1946 / حصل داخل الهيئة شجار بين البريطانيين والسوفييت مفاده أن السوفييت لديهم قواعد في رومانيا , فرد عليهم السوفييت : وأنتم لكم قواعد في كل من تركيا واليونان , إلا أن البريطانيين خافوا من اللهجة الحادة التي تكلم بها السوفييت فأسرعوا في سحب قواتهم منهما واستبدالها بالقوات الأمريكية في الحقيقة لم يكن الاستبدال بالتجهيزات الحربية وإنما تم الاستبدال فقط بالعلم فقد استبدلوا العلم البريطاني بالعلم الأمريكي وأصبحت القواعد قواعد أمريكية في الشكل .لقد ترتب على هذا العمل تغيير في السياسة البريطانية بشكل جذري , حيث لم تعد تظهر على الساحة السياسية بأنها رأس حربة بل أصبحت تُظهر نفسها على أنها تابعاً لأمريكا , لأنها ارتأت في ذلك التصرف صرف الأنظار عنها مما سيجعلها تتحرك بحرية أكثر لبعدها عن الأنظار وتُنسي العالم إجرامها السابق بحق الدول التي احتلتها , فأرسلت في عام / 1947 / رسالتين إلى الخارجية الأمريكية حيث اتصل سيشل السكرتير الأول في السفارة البريطانية في واشنطن بمساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وأفريقيا في الولايات المتحدة الأمريكية لوي هندرسن ثم تقابلا وسلمه رسالتين صادرتين عن القسم الأجنبي في السفارة البريطانية – وقد كانت الأعراف الدولية تقضي أن يقوم سفير بريطانيا بتسليمهما إلى وزير خارجية الولايات المتحدة مباشرة – وتباحثا بشأنهما . كانت فحوى الرسالتين أن بريطانيا تعتزم إنهاء وصاياها على بعض دول أرجاء العالم لأنها تريد أن ترتاح وتسلم هذه المهمة للولايات المتحدة , وأن على الولايات أن تسد ذلك الفراغ قبل أن يبادر الاتحاد السوفيتي بسده وعلى الولايات المتحدة أن تتحمل أعباء المد الشيوعي وبالأخص في تركيا واليونان , أي أنها أعطتها الضوء الأخضر لتصبح دولة ذات تأثير فعال في السياسة العالمية لتدير شؤون العالم وتظهر في الواجهة لأن بريطانيا أحبت أن ترتاح من المواجهات لأنها قريبة من ساحة الصراع . ومن أهداف هاتين الرسالتين ما يلي :

1- تجنب بريطانيا الاحتكاك مع السوفييت نتيجة اشتباكات إقليمية .

2- تقوية حكومات المنطقة عسكرياً وسياسياً للمساهمة في مواجهة المد الشيوعي

3- خلق ظروف للتغلغل التجاري والتوظيف المالي للأمريكيين .

قُدِّمت الرسالتان للأمريكيين في 21 /2/ 1947 م وعلى أثرهما تم إعلان مبدأ ترومان في 12 / 3 / 1947 م أي بعد أقل من عشرين يوماً , وتم بناء (مركز اللعب) في واشنطن الهدف منه دراسة جميع شخصيات رؤساء العالم وأعوانهم , ومن أجل التعرف أكثر على هذه المسألة من الموضوع العام راجع كتاب (لعبة الأمم) لمؤلفه مايلز كوبلاند الذي كان مستشاراً في وزارة الخارجية منذ ذلك التاريخ , لتتعرف أكثر على مغزى بناء مركز الأمم وطبيعة عمله . بعد هذا التاريخ بدأت أمريكا تأخذ دورها لا لقوتها بل لأن سيدها البريطاني سمح لها أن تلعب هذا الدور , وكانت تفشل في بداية الأمر كما يوضح كوبلاند في كتابه المذكور سابقاً , حتى أصبح لديها الخبرة فيما بعد فاستلمت إدارة الصراع مع السوفييت والدول الأخرى فدخلت الحرب الباردة مع السوفييت واستمرت تلك الحرب حتى عام /1975/ م كما وضحنا في الجزء الأول , لكن الذي أزعج الماسونية هو دخول السوفييت اقتصادياً إلى قارة إفريقيا وغيرها في ستينيات القرن العشرين ثم دخول الصين اقتصادياً إلى نفس المناطق المذكورة سابقاً في سبعينيات القرن العشرين , مما أضعف إمكانية نهب ثروات البلدان من قبلها، فقررت تفكيك الاتحاد السوفييتي استخباراتياً ونجحت نجاحاً كبيراً في خطتها وتم تفكيك الاتحاد السوفييتي , وعندما حصل ذلك قال أحد أعضاء الكونغرس(لقد استطعنا إضعاف الحضارة الأرثوذكسية) وحدث أوج نصرها في مخططها هذا عام / 1989 / م وأصبحت الماسونية بقيادة أمريكا ظاهرياً هي الشرطي الوحيد في العالم لا يستطيع أحد الوقوف بوجهها أي أصبح العالم وحيد القطبية , عندها بدأت تفكر بالسيطرة على العالم , لكن هذا لن يتم ما لم تقم بتفتيت روسيا إلى عدة دول وبتحطيم الصين لأنها بدأت تظهر كقوة اقتصادية لا يستهان بها , لذا قررت أن ترسم مخططاتها لتنفيذ رغباتها فكان ذلك عام / 1995 / م حيث اجتمع حوالي أربعمائة شخص من جميع الاختصاصات السياسية والاقتصادية والعلمية والفنية والعسكرية وبدؤوا يقدمون الدراسات تلو الدراسات لتحقيق الهدف الذي وُضِع لهم وهو السيطرة على العالم وكيفية التنفيذ بأقل الخسائر المادية والبشرية .

الفصل الرابع

مشروع عام / 1995 / م والسيطرة على العالم

مقدمة :

لمعرفة فحوى هذا المشروع وهذه المخططات التي رُسمت له علينا أن ندرس العديد من الكتب وأهمها : [(رقعة الشطرنج الكبرى) لبريجينسكي ألفه عام / 1995 / م أي بُعيد التصميم على المشروع – أعمال ألفين وهايدي توفلر وهي كالتالي (صدمة المستقبل) (الموجة الثالثة)(الحرب وضد الحرب) والتي بدأ صدور أولها عام /1995/ – (صدام الحضارات) صموئيل هنتغتن ألفه عام / 1996 / م – (الاغتيال الاقتصادي للأمم) جون بيركنز بدأ بتأليفه منذ عام / 1988 / م لكن أصدره عام / 2002 / م لأسباب ولكنه أضاف عليه خلال هذا التأخير– (الاختيار– السيطرة على العالم أم قيادة العالم) بريجينسكي ألفه عام / 2004 / م – (خيارات صعبة) هيلاري كلينتون / 2014 / م – (رؤية استراتيجية – أمريكا وأزمة السلطة العالمية) بريجينسكي / 2012 / م – (النبوءة والسياسة) للكاتبة والصحفية غريس هالسي الموظفة السابقة في البيت الأبيض والتي تعرضت لعدة محاولات اغتيال بسبب نشرها هذا الكتاب] , وأعمال أخرى قدمها الباحثون والمفكرون لأصحاب القرار العالمي من أجل السيطرة على العالم . أعود وأكرر ما أقوله ليس خيالاً بل هو صلب الواقع .

إن هؤلاء المؤلفين ليسوا بالشخصيات العادية فهم مجموعة من أهم الشخصيات التي تعتمد عليها الامبريالية في دراسة الواقع وكيفية تغييره وينتمي بعضهم إلى مجلس العلاقات الخارجية الذي يعتبر الهيئة الأساسية التي تقدم الدراسة لأصحاب القرار العالمي , وهؤلاء هم الذين يجتمعون مع الرؤساء ويناقشون القضايا المتعلقة بالمستقبل , فهم من يرسمون مستقبل العالم , ومن أحد هذه الاجتماعات التي يرويها الأخوان (ألفين وهايدي توفلر) ما صرحا به في كتابهم (الموجة الثالثة) عن الاجتماع الذي تم في ثمانينيات القرن العشرين مع ريغان رئيس أمريكا حيث يقول ريغان لهؤلاء الذين اجتمع بهم : (لقد أصبح كل شيء عندنا مؤتمت لدرجة أننا لم نعد نملك عملاً فما هو المطلوب منا , هل علينا أن نبيع سياخ شاورما ؟) فتجيبه هايدن عن أسرار الموجة الثالثة وكيف أن الحالة الاجتماعية للعالم سوف تتغير , وعلى أثره وبعد أقل من

عقد ألفا كتبهما المذكورة سابقاً هذه لمحة بسيطة عن هذه الشخصيات التي تقدم دراساتها لأصحاب القرار العالمي , ناهيك عن المستشرقين الذين تحدثنا عنهم في الفصل السابق .

تحدثت سابقاً وفي الجزء الأول من الكتاب عن الحرب العالمية الثانية وعن بعض خطواتها وأسبابها , وسأبدأ حديثي منها لتكون مقدمة وافية عن الأسباب التي دعت إلى التفكير بمشروع / 1995 / م , فأثناء الحرب وبعدها بعدة سنوات حدثت قضايا هامة , كانت الامبريالية تحضرها وترتبها لحقبة ما بعد الحرب ومن أهم القضايا ما يلي :

مؤتمر يالطا :

قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية اجتمع القادة الثلاث وهم (ستالين – روزفلت – تشرشل) في يالطا المطلة على البحر الأسود في روسيا وتم فيها تقاسم العالم وانقسم العالم منذ ذلك التاريخ إلى معسكر شرقي أغلبه شيوعي واشتراكي , ومعسكر غربي تحكمه الامبريالية العالمية , استغرق مؤتمر يالطا من (4 – 11) شباط / 1945 / م , هذا من الناحية الإعلامية , لكن حقيقة الأمر أن تقاسم العالم تم بالاجتماع الذي حصل بين (ستالين – تشرشل) في شهر كانون الأول من عام / 1943 / م أي قبيل أقل من أربعة أشهر من مؤتمر يالطا واختلفا حول قضية تقسيم ألمانيا فتشرشل يريد تقسيم ألمانيا إلى ثلاثة مناطق الشمال والغرب نفوذ للبريطانيين والجنوب لأمريكا والشرق للسوفييت , بينما كان ستالين يريد أن تبقى ألمانيا دولة موحدة , ولم تحل المسألة بينهما إلا في مؤتمر يالطا حيث تم تقسيمها إلى أكثر من ثلاث مناطق نفوذ فقد اقتطع جزء من أراضيها وضمت إلى بولونيا , وأخذ الفرنسيون منطقة الألزاس واللورين , وألمانيا الشرقية للسوفييت والغربية نفوذ للبريطانيين والأمريكان , ومحاكمة القادة النازيين واعتبارهم مجرمي حرب , والقضاء على الفكر النازي كي لا تفكر ألمانيا رد اعتبارها من جديد.حدثت بعض المشاحنات بين تشرشل وروزفلت على أثر المؤتمر الذي عقد بين تشرشل وستالين, فقد عاتب الأخير الأول لذهابه إلى موسكو وحيداً دون رفقته , وهذا نراه جلياً في كتاب (مذكرات تشرشل) لونستون تشرشل , عندما رد تشرشل على روزفلت قائلاً : (متى الأسياد تأخذ أوامرها من الآخرين) . لم يكن مؤتمر يالطا هو المؤتمر الوحيد الذي جمع القادة الثلاثة الكبار في العالم بل سبقه مؤتمر طهران الذي عُقد في شهر نوفمبر / 1943 / م , ولحق مؤتمر يالطا مؤتمر بوتسدام في شهر يوليو / 1945 / م وحضره ترومان خليفة روزفلت , وعُرفت هذه المؤتمرات باجتماع الثلاثة الكبار .

تمخض عن مؤتمر يالطا بعض النقاط التالية :

1- الاتفاق على أولوية الاستسلام غير المشروط لألمانيا النازية بعد الحرب، تقسيم ألمانيا إلى أربع مناطق احتلال.

2- وافق ستالين على إعطاء فرنسا منطقة احتلال رابعة في ألمانيا، بشرط أن تؤخذ من حساب المنطقتين البريطانية والأمريكية.

3- خضوع ألمانيا لعملية نزع السلاح واجتثاث النازية من البلاد.

4- اقتطاع جزء من التعويضات التي فرضها المؤتمر على ألمانيا بسبب إشعالها الحرب على شكل عمل قسري . فاستخدموا تسخير الأسرى الألمان لإصلاح الأضرار التي لحقت بالبلاد . لكن العمال أُجبروا أيضاً على حصد المحاصيل والتنقيب عن اليورانيوم وغيرها من الأعمال الأخرى .

5- إنشاء مجلس للتعويضات على أراضي الاتحاد السوفيتي .

6- نقاش مسألة بولندا والاتفاق على إعادة تنظيم الحكومة الشيوعية المؤقتة لجمهورية بولندا والمُنصّبة من قبل الاتحاد السوفيتي .

7- أن تصبح الحدود الشرقية من بولندا تابعة لخط كورزون ، مع تعويض بولندا عن ذلك بتوسيع حدودها الغربية على حساب ألمانيا .

8- تعهد ستالين بالسماح بإجراء انتخابات حرة في بولندا .

9- تعهد ستالين بانضمامه إلى الأمم المتحدة .

10- مطالبة ستالين بضمان حصول الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية الستة عشر على مقاعد العضوية في الأمم المتحدة . أُخذ هذا المطلب بعين الاعتبار ، لكن رُفضت طلبات انتساب أربع عشرة دولة من هذه الجمهوريات، ووافق ترومان على عضوية أوكرانيا وبيلاروسيا فقط .

11- وافق ستالين على خوض حرب ضد الإمبراطورية اليابانية من قبل الأمريكان بعد شهرين إلى ثلاثة أشهر من استسلام الألمان وانتهاء الحرب في أوروبا، مقابل تنازلات قُدّمت للسوفييت على حساب اليابان , حيث يستحوذ السوفييت على جنوب سخالين وجزر الكوريل، وتدويل ميناء داليان واستعادة عقد الإيجار الخاص بميناء آرثر،

بالإضافة إلى غيرها من التنازلات. وبالنسبة إلى قصف اليابان، توصّل الفرقاء المعنيون إلى اتفاق بشأن إقامة قاعدة جويّة للطائرات الأمريكية من طراز / **B–29s** / بالقرب من مصب نهر آمور في منطقة كومسومولسك – نيكولاييفسك عوضاً عن فلاديفوستوك التي اقتُرحت في وقت سابق , علماً أن هذا الأمر لم يُنفذ في نهاية المطاف.

12- العثور على مجرمي الحرب النازيين ، وتقديمهم للمحاكمة في المقاطعات التي ارتكبوا فيها جرائمهم ,وإعدام القادة النازيين.

استسلمت ألمانيا وأُعلن عن انتهاء الحرب , إلا أنها لم تتوقف فقد ظلت مشتعلة بين أمريكا واليابان , ورغم أن الحرب لم تخص بريطانيا ظاهرياً إلا أنها تخصها فعلياً لأنها هي من تحكم أمريكا , لذا نجد تشرشل يصرح في خطابه إعلان الانتصار الذي بثته الإذاعة من قاعة الحكومة في العاصمة لندن : (يجب أن لا نسمح لأنفسنا إلا بفرحة قصيرة , ويجب علينا أن نبذل قصارى جهدنا للانتصار على اليابان وحيلها ومطامعها) , مع العلم لم يكن الجيش البريطاني في مواجهة مع الجيش الياباني . وللمفارقة نستطيع القول إن بريطانيا خسرت في الحرب العالمية الأولى أضعاف خسارتها في الحرب العالمية الثانية ورغم ذلك , استمرت في احتلالها للعالم وفرض الوصاية على الشرق الأوسط , إلا أنها بعد الحرب العالمية الثانية أعطت دور قيادة العالم لأمريكا , وهذا وضحناه من خلال الرسالتين المرسلتين من بريطانيا إلى أمريكا .

مؤتمر بريتون وودز :

عندما لاح في الأفق انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية , بادرت الولايات الأميركية بطلب انعقاد مؤتمر لمعالجة القضايا الاقتصادية العالمية , وقد انعقد المؤتمر من / 1– 22 / يوليو / من عام / 1944 / م بحضور / 730 / موفد من / 44 / دولة بفندق في غابات بريتون وودز التابعة لنيوهامبشر الأمريكية . ويُعد كل من الاقتصادي الأمريكي هينري وايت والاقتصادي البريطاني جون مينارد كينز مهندسَيْ المؤتمر , وقد ظهرت هيمنة الماسونية وسيطرتها على أعماله .لم يكن المؤتمر وليد المصادفة , فقد كانت تعدّ له منذ عام / 1933 / عندما أجبرت أمريكا رعاياها على بيع ذهبها إلى الدولة الأمريكية , إلا أن ظهور هتلر كرئيس لدولة ألمانيا وإعلانه عن تمزيق معاهدة فرساي المذلة جعلها تؤجله لإشعار آخر ريثما تتضح لها الصورة .

شملت هذه المباحثات أهدافاً عدَّة , ومن أهمها :

1– ربط العملات بالذهب .
2– القروض لآجال طويلة للدول التي تعاني العجز الاقتصادي .
3– مساعدة الدول المتخلفة .
4– مراقبة السياسات النقدية للدول التي تعاني من مشاكل اقتصادية .
5– تأسيس البنك الدولي وصندوق النقد الدولي .

نجحت الامبريالية في إقرار مشروعها الذي يعرف باسم اتفاقية بريتون وودز وهو شكل مقارب لمعيار الذهب أعطى الدولار الأمريكي ثقلاً عالمياً ، حيث من الممكن لأي دولة تحويل الدولار إلى ذهب بحسب الاتفاقية . وقد نصَّت بعض بنود الاتفاقية على التالي :

1– يمكن لأي بلد عضو في صندوق النقد الدولي أن يحدد سعر صرف العملة المحلية إما بالذهب أو بالدولار بحيث يكون / 35 / دولار لكل أونصة من الذهب.
2– تلتزم الولايات المتحدة الأمريكية بقابلية تحويل الدولار الورقي إلى ذهب كل واحد دولار يعادل / 0,888671 / من الذهب أي ما يعادل / 35 / دولار للأوقية .

حاول المؤتمر تكريس مجموعة من الأفكار وتحقيق أهداف هامة منها :

أ- ضمان حرية التحويل بين عملات الدول المختلفة ووضع نظام لأسعار الصرف يمنع التقلبات العنيفة فيما بينها.

ب- النظر في موضوع الاحتياطات الدولية لتوفير السيولة الدولية.

ت- تحقيق التوازن في موازين المدفوعات .

ث- الإدارة الدولية للنظام النقدي العالمي الجديد .

كما أسفرت جهود هذا المؤتمر إلى تأسيس بنكين هما :

الأول: إنشاء صندوق النقد الدولي /**IMF** / الغرض منه تحقيق استقرار أسعار الصرف والإشراف على تنفيذ قواعد النظام النقدي الدولي الجديد. حيث قام هذا الصندوق بمباشرة مهامه بعد سنة / 1947 / م .

الثاني: إنشاء البنك الدولي للإنشاء والتعمير / **IBRD** / الغرض منه مساعدة الدول الأوروبية التي دمرتها الحرب ثم مساعدة الدول الأخرى على التنمية الاقتصادية .

وبالإضافة إلى المؤسستين السابقتين فقد انبثقت عن المؤتمر فكرة إنشاء منظمة التجارة العالمية / **WTO** / لكنها لم تنفذ مباشرة وإنما ابتدأت بالاتفاقية متعددة الأطراف والمسماة بـ(الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة) عام / 1948 / بمشاركة / 23 / دولة وبجولاتها الثمانية والتي تمخضت جولتها الأخيرة – جولة الأوروغواي – عن إنشاء منظمة التجارة العالمية / **WTO** / .

استطاعت الامبريالية العالمية من خلال هذا المؤتمر أن تجعل الدولار عملة عالمية ، كما استهدف هذا النظام حرية التجارة الدولية وإلغاء القيود على المدفوعات الدولية. إلا أنَّ الفائض المستمر في موازين التجارة الذي تمتعت به الدول الأوربية مقابل الولايات المتحدة مع نهاية الخمسينات وطوال الستينات قد حدا بهذه الدول إلى طلب المقابل الذهبي وخاصة بعد الضغوط المستمرة على أسعار الذهب وظهور سعرين له , ونظراً لعدم رغبة الولايات المتحدة في فقدان احتياطاتها الذهبية ، أعلن الرئيس نيكسون في خطاب شهير له عام / 1971 / م عن وقف قابلية تحويل الدولار إلى ذهب . ومنذ تلك اللحظة اختفى الأساس الذي استند إليه هذا النظام

, وبدأ نظام جديد هو نظام التعويم . من أهم أسباب إعلان نيكسون فك ارتباط الدولار عن الذهب هو تزايد القوة الاقتصادية والسياسية للاتحاد السوفيتي واليابان والصين على المسرح الدولي من جهة ودور البلدان الاشتراكية والنامية من جهة ثانية ، فقد برزت معطيات جديدة تتعارض مع الهيمنة الامبريالية على الاقتصاد العالمي المتمثلة في سيطرة عملتها المحلية على نظام النقد الدولي .

رغم مشاركة الاتحاد السوفياتي في أعمال المؤتمر ومناقشاته فإنه لم ينضم إلى عضوية صندوق النقد الدولي لأنه رأى فيه هيمنة واضحة للاقتصاد الامبريالي على النظام المقترح

كان الهدف من هذه الاتفاقية السيطرة على اقتصاديات العالم وبالأخص الدول الفقيرة من خلال إقراضها مبالغ لآجال طويلة , تستطيع من خلالها السيطرة على سياسة الدولة المقترضة , وهذا ما عبر عنه جون بيركنز في كتابه (الاغتيال الاقتصادي للأمم) .

السلاح الجديد الذي ساعد في السيطرة على العالم :

تحدثنا في الجزء الأول وقبل قليل عن أخطاء هتلر في الحرب العالمية الثانية ومنها عدم رغبته في متابعة علمائه تصنيع القنبلة الذرية , وفي تلك الأثناء شاع الخبر بين العلماء أن العلماء الألمان قد توصلوا إلى صناعة القنبلة الذرية , عندها اتصل العالم آينشتاين برئيس الولايات المتحدة فرانكلين روزفلت وشرح له عن أهمية المشروع وقال له في رسالة عام / 1939 / : (وصلني نسخ خطية عن أبحاث حديثة يقوم بها كل من أ. بزمي و سزيلارد تجعلني أتوقع أن عنصر اليورانيوم يمكن أن يتحول إلى مصدر جديد للطاقة في المستقبل القريب العاجل , كما تؤدي هذه الجديدة إلى صنع القنابل , ومن المفهوم أن قنبلة واحدة من هذا النوع إذا حملتها سفينة وفجرتها في ميناء أمكنها تدمير ذلك الميناء كله ومعه بعض الأراضي المحيطة به) . كانت النتيجة المباشرة لهذه الرسالة البدء بمشروع مانهاتن الذري بالشراكة بين بريطانيا وأمريكا .

تم استخدام هذا السلاح وتجريبه في عام / 1945 / م في اليابان في مدينتي هيروشيما وناكازاغي وهما أكبر جريمتين في التاريخ , كما فكرت في عهد الرئيس الأمريكي ترومان خليفة روزفلت ونائبه السابق أن تضرب الاتحاد السوفيتي في العام / 1946 / م , فجهَّزت نفسها لهذا الهدف وكانت تنوي ضربها بقنابل ذرية لتتخلص من خصمها ومنافسها الوحيد على تقاسم العالم في ذلك العهد, فالماسونية ترغب بالسيطرة على العالم دون منافس يعكر صفوها , إلا أن إعلان ستالين عن امتلاك بلاده القنبلة الذرية ألغت العملية من جذورها خوفاً من ردة فعل معاكسة تنهي بذلك سيطرتها على العالم . يعتقد بعض المحللين أن إعلان ستالين عن امتلاكهم القنبلة الذرية تم قبل امتلاكهم لها بشكل فعلي , لكن هذا التصريح جنَّبهم الضربة وتم معرفة العملية بشكل استخباراتي فقد علم السوفييت بتلك الضربة المبيتة لهم .فكرت الماسونية بتنفيذ مشروعها بطرق أخرى تتجنب فيها الكثير من الخسائر , فبدأت بتجهيز القوى الناعمة لتدخل بصراع مع السوفييت عن طريق وكلاء لها

مشروع مارشال عام / 1947 / م :

دمَّرت الحرب العالمية الثانية معظم دول أوروبا , فقد ألحق القصف الجوّي المستمر أضراراً بالغة في معظم المدن الكبرى ,وبالأخص المنشآت الصناعية وتوقّفت التدفّقات التجارية في المنطقة بشكل كامل وعاش الملايين من الناس في مخيمات معتمدين على المساعدات التي قُدّمت تحت غطاء إدارة الأمم المتّحدة للإغاثة والتأهيل وغيرها من الوكالات ,وانتشرت حالات نقص الغذاء بشكل شديد وخصوصاً في فصل الشتاء القاسي في الفترة بين عامي / 1946- 1947/ . شحنت الولايات المتّحدة / 16.5 / مليون طناً من المواد الغذائية وبالأخص القمح إلى أوروبا واليابان بين شهر يوليو من عام / 1945 / وشهر يونيو من عام / 1946 / . وشكّلت هذه الإمدادات سدس الإمدادات الغذائية , وتضرّرت البنية التحتية للنقل أيضاً , إذ استُهدفت السكك الحديدية والجسور والأرصفة بالغارات الجوّية , بينما غرقت الكثير من السفن التجارية وأسفر تدميرها عن عزل معظم البلدات والقرى الصغيرة اقتصادياً على الرغم من أنّها لم تتعرض لأضرار كبيرة. لم تكن معالجة هذه المشاكل بالأمر السهل إذ استنفدت معظم الدول المنخرطة في الحرب خزائنها في هذه الحرب المجنونة . بينما لم تتضرر البنية التحتية في الولايات المتّحدة وكندا بشكل كبير خلال الحرب العالمية الثانية إذ أصبحت أكثر ازدهارًا مما كانت عليه قبل الحرب على الرغم من لعب الصادرات دوراً هامشياً في بنية اقتصادها.

بعد مؤتمري يالطا وبريتون وود وتوقف الحرب وتقاسم العالم بين القطبين الإمبريالي والشيوعي , خاف كل طرف من الآخر من التمدد نحو حصة الآخر , رغم أن ستالين قال لتشرشل وروزفلت في مؤتمر يالطا : (أتمنى أن نحافظ على تلك الاتفاقية على الأقل خمسين سنة قادمة) , إلا أن الإمبريالية كعادتها لا تحفظ ولا تحترم العهود والوعود . فبدأت بالسيطرة على حصتها وسعت للسيطرة على حصة القطب الآخر عن طريق المال والاقتصاد ووسائل أخرى , فجهزت مشروع مارشال الاقتصادي الذي يمهد للسيطرة الماسونية على أوروبا اقتصادياً وسياسياً . كان وزير خارجية بريطانيا أرنست بيغن عراباً لمشروع مارشال وعمل على إقناع الدول الأوروبية بالقبول به , ولم تمضِ فترة قصيرة حتى استجابت هذه الدول لنداء مارشال , فعقدت ست عشرة دولة أوروبية اجتماعاً لدراسة فكرة المشروع في باريس في 12 / تموز من عام / 1947 م بدعوة من وزير خارجية بريطانيا واتفق المجتمعون على الشروع في وضع برنامج اقتصادي

قادر على إعادة بناء اقتصادها وقدراتها الإنتاجية المدمَّرة, وأطلق على المشروع (برنامج الانتعاش الأوروبي)

لقد سمي مشروع مارشال نسبة لجورج مارشال وزير خارجية أمريكا آنذاك الذي كان يشغل منصب رئيس هيئة أركان الجيش الأمريكي أثناء الحرب العالمية الثانية , وإطلاق اسم المشروع على اسمه لا يدل على أن هذا المشروع ناتج عن إبداعاته , فالماسونية لا تخطو أي خطوة واحدة ما لم تكن قد أتمَّت دراستها من أصحاب العقول والعلوم والخبرات ودراستها من كل الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية ومدى تأثيرها بشكل عام . لكن لا شك أن مارشال هو من أعلن عن هذا المشروع في خطابه أمام طلاب جامعة هارفارد في 5 / يونيو / 1947 م , ومن بنود هذا المشروع , إعادة إعمار أوروبا التي دمرتها الحرب العالمية الثانية ومنح الدول المليارات منها على شكل هبات ومنها على شكل قروض طويلة الأمد .

وقَّع الرئيس هاري ترومان على المشروع في / 3 / نيسان/ 1948 /م , مانحاً/ 5 / مليارات دولار كمساعدات لست عشرة دولة أوروبية. كما تبرّعت الولايات المتّحدة بمبلغ قدره / 17 / مليار دولار خلال السنوات الأربع التي كانت الخطّة فيها سارية المفعول، إذ اعتُبرت هذه الأموال مساعدات اقتصادية وتقنية بهدف مساعدة الدول الأوروبية المنضمّة إلى منظّمة التعاون الاقتصادي الأوروبي , ويعدّ هذا المبلغ جزءاً من الناتج المحلي الإجمالي الأمريكي البالغ / 258 / مليار دولار عام / 1948 / . وعلى أثر هذا المشروع تم الاتفاق على المشروع الأمني المتبادل في نهاية عام / 1951 / إذ وهب المشروع الجديد نحو / 7.5 / مليار دولار سنوياً حتّى عام / 1961 / م . تطلّع المشروع إلى المستقبل ولم يركّز على الدمار الذي نجم عن الحرب فأزال العوائق التجارية التي تحد من حركته وتجاوز اقتصاد كلّ الدول المشاركة في المشروع لكن الحقيقة يمكننا القول إن أوروبا الغربية تمتّعت بنمو وازدهار كبيرين خلال عقدين بعد المشروع , لكنّ الاقتصاديين لم يتأكّدوا من حجم الدور المباشر وغير المباشر الذي لعبه برنامج التعافي الأوروبي (مشروع مارشال) في النمو والازدهار ، ولم يعرفوا ما كان سيحدث لولا هذا البرنامج , لكن يمكننا القول أيضاً إن المال الممنوح ساعد وبشكل كبير في إسراع النمو والازدهار . اعتُبر مشروع مارشال واحداً من العناصر الأولى المساهمة في التكامل الأوروبي، إذ استطاع إلغاء العوائق التجارية وإنشاء مؤسسات هادفة إلى تنظيم الاقتصاد على المستوى

القاري والعالمي, وبالتالي شجّع على عملية إعادة الإعمار السياسي الكامل لأوروبا الغربية.عُرِض المشروع على الاتّحاد السوفيتي وحلفائه, لكنّهم رفضوه ، لأنّه سيسمح بالسيطرة الأمريكية على الاقتصادات الشيوعية . حظر الاتّحاد السوفياتي الدول التابعة له وبالأخص ألمانيا الشرقية وبولندا قبول العرض. وأصبح الوزير مارشال متيقّنًا من عدم اهتمام ستالين بالمساعدة الهادفة إلى استعادة الصحّة الاقتصادية في أوروبا الغربية.

وافقت ثماني عشرة دولة أوروبية على الانضمام إلى المشروع وهي : (بريطانيا , فرنسا ، ألمانيا الغربية , بلجيكا , هولندا , إيطاليا , سويسرا , لوكسمبورغ , النمسا , الدانمارك , السويد , النرويج , أيرلندا , آيسلندا , البرتغال , اليونان , وتركيا) .

أُسندت مهمة تنفيذ المشروع إلى الجانب الأميركي فأُحدثت بمقتضاه إدارة التعاون الاقتصادي , وأُنشئت المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي التي تحولت لاحقاً إلى منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية .

وكُلِّفت الجهتان بالتنسيق من أجل توزيع الإعانات والقروض حسب الخطة, أخذت كل من بريطانيا وفرنسا أكثر من نصف الإعانات وتقاسمت باقي الدول والتي يبلغ عددها ست عشرة دولة أقل من نصفها . امتدت مدة التنفيذ لأربع سنوات منذنيسان/ 1948 / إلى حزيران / 1952 / . يعد مشروع مارشال أساسأس للاتحاد الأوروبي الذي يضم / 27 / دولة و / 500 / مليون نسمة .

في أيار من عام / 1950 / م اقترح وزير الخارجية الفرنسي آنذاك روبير شومان إدارة مشتركة لصناعتي الفحم والفولاذ الفرنسية والألمانية , فأدت خطته في العام / 1951 / م إلى تشكيل مؤسسة الفحم والفولاذ الأوروبية بشراكة كل من ألمانيا الغربية وفرنسا وإيطاليا ودول البنلوكس . وقد أدى هذا بدوره في عام / 1957 / م إلى معاهدة روما التي أُنشئت بناء عليها أول وحدة جمركية تامة لأوروبا , وهي المؤسسة الاقتصادية الأوروبية المعروفة بصورة غير رسمية بالسوق المشتركة والتي تعتبر المنظمة المؤسسة التي قام عليها الاتحاد الأوروبي الحديث . أسهم مشروع مارشال في توثيق العلاقة بين هذه البلدان مع بعضها من جهة , وبينها وبين

الولايات المتحدة من جهة أخرى. وأثمرت نتائجه بروز تكتل اقتصادي أوروبي وتشكيل حلف عابر للمحيط الأطلسي وُكِلت إليه مهمة مواجهة المد الشيوعي في العالم.

حلف الناتو :

كل شيء جديد هو على الأغلب نتاج تطور أشياء قديمة سواء كانت هذه الأشياء مادية أو روحية – نقصد بالروحية الأشياء الفكرية حسب فلسفتنا وهي الأهم وهي منطلق كل هذه الأشياء – فمثلاً معاهدة حلف الشمال الأطلسي هو من نتاج مؤتمري يالطا وبريتون وودز ومشروع مارشال ومعاهدة بروكسل وغيرها من المؤتمرات والمشاريع والمعاهدات والاتفاقيات الثنائية والجماعية التي دارت بين طرفي الماسونية والدول الغربية التي أصبحت تابعة لها بعد الحرب العالمية الثانية . لقد استطاعت الماسونية أن تسيطر على الاقتصاد العالمي من خلال هذه المشاريع والمؤتمرات والاتفاقيات والمعاهدات التي أدت إلى السيطرة السياسية والثقافية والاجتماعية على القسم الغربي من العالم فبدأت تفكر كيف تستفيد من هذه القوة الغربية لتسيطر على باقي العالم , فوضعت إمكاناتها تحت جناحيها وأطلقت مشروع حلف الشمال الأطلسي بحجة الخوف من عدو وهمي هو التمدد الشيوعي إلى القسم الغربي من العالم .

في شهر آذار من عام / 1948 / م تمّ توقيع معاهدة بروكسل العسكرية بين بريطانيا وفرنسا ودول البنلوكس (البلجيك وهولندا ولوكسمبورغ) , تهدف إلى إقامة الدفاع المشترك ضد تهديدات الاتحاد السوفيتي المزعومة , وتعزيز التكامل الثقافي والاقتصادي والاجتماعي .ثم سعت بريطانيا إلى إشراك أمريكا فيها فأدت المفاوضات التي جرت في أول شهر نيسان من عام / 1949 / م إلى تأسيس منظمة حلف شمال الأطلسي (حلف الناتو) , وقد تم التوقيع على اتفاقية في / 4 / نيسان / 1949 / م في واشنطن التي قادت هي وبريطانيا كل جلسات المفاوضات ,ومع ذلك كان الحلف ضعيفاً عسكرياً لمواجهة القوة العسكرية للاتحاد السوفيتي , هذا بالإضافة إلى انقلاب تشيكوسلوفاكيا عام / 1948 / م من قبل الشيوعيين وتسلمهم السلطة .فقد صرح وزير خارجية بريطانيا أرنستبيغن أن أفضل طريقة لمنع انقلاب آخر هي تطوير استراتيجية عسكرية غربية مشتركة ووافقته الولايات المتحدة فتأسس حلف الناتو الذي يعدّ نتيجة لمدرسة الفكر المسماة الهيمنة الأطلسية والتي شددت على أهمية التعاون الأطلسي, وقد شمل دول معاهدة بروكسل الخماسية بالإضافة إلى الولايات المتحدة وكندا والبرتغال وإيطاليا والنرويج والدانمرك وايسلندا. وقد ذكر الأمين العام الأول للناتو اللورد اسماي في عام / 1949 / م أن هدف المنظمة هو (إبقاء الروس خارجاً , والأمريكيين داخلاً , وإسقاط الألمان) . لم تحظ هذه

المعاهدة على تأييد شعبي أوروبي, فقد شارك الأيسلنديين في أعمال شغب مؤيدة للحياد ومناهضة لعضوية أيسلندا في الحلف في آذار/ 1949 / م .

اتفق الأعضاء على أن أي هجوم مسلح على أوروبا أو أمريكا الشمالية يعدّ هجوماً ضد الجميع, وعلى الرغم من أنهم مُلزَمون بالرد إلا أن لهم حرية اختيار الطريقة التي يردون بها . وهذا بخلاف المادة الرابعة من معاهدة بروكسل التي تنص بوضوح على أن الرد سيكون عسكرياً بطبيعته , لكن يفترض على أعضاء الناتو مساعدة العضو المعتدى عليه عسكرياً .لقد أدى إنشاء الناتو إلى توحيد بعض المصطلحات والإجراءات والتكنولوجيا العسكرية المتحالفة . كما تم توحيد الإشارات الخاصة بتنظيم الطائرات بحيث يمكن لأي طائرة تابعة لحلف شمال الأطلسي أن تهبط في أي قاعدة من قواعد الناتو.

كان حلف شمال الأطلسي لا يغدو عن كونه منظمة سياسية إلى أن حلَّت الحرب الكوريَّة التي رفعت أعداد الدول الأعضاء في المنظمة , وتم بناء هيكل عسكري متكامل تحت إشراف اثنين من القادة الأمريكيين,كما أدى مسار الحرب الباردة إلى التنافس مع حلف وارسو الذي تأسس في / 14 / أيار من عام / 1955 / م رداً على انضمام ألمانيا الغربية إلى حلف الناتو والذي ضم كلاً من الاتحاد السوفييتي وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وبلغاريا ورومانيا وألبانيا وألمانيا الشرقية .ومن أهم أسباب ضم ألمانيا الغربية إلى الحلف هو أنه لولا القوى المسلحة الألمانية لكان من المستحيل أن تكون هناك قوات كافية لتحدي السوفييت , وقد وصف هالفارد لانج وزير خارجية النرويج في ذلك الوقت انضمام ألمانيا الغربية إلى المنظمة في / 9 / أيار من عام / 1955 / م , حيث قال (إنه نقطة تحول حاسمة في تاريخ قارتنا) .

ثارت الشكوك حول قوة العلاقة بين الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب الشكوك حول مصداقية دفاع حلف الناتو ضد السوفيتي في حال هاجم دولاً أوروبية فقامت فرنسا بتطوير ردعها النووي المستقل وانسحبت من الهيكل العسكري لحلف الناتو في عام / 1960 / م , ثم عادت بعد حوالي ثلاثة عقود أي بعد سقوط جدار برلين في عام / 1989 / مخوفاً من تفكير ألمانيا باحتلالها فشاركت الحلف في تفكيك يوغوسلافيا وأجرت أول تدخلاتها العسكرية في البوسنة من / 1992 / إلى / 1995 / . ومن الناحية السياسية سعى الحلف إلى

تحسين العلاقات مع بلدان حلف وارسو بعد تفكيكه فانضم العديد منها إلى حلف الناتو بين عامي / 1999 / و / 2004 / .

من أهم أسباب انسحاب فرنسا هو احتجاج ديغول على هيمنة الولايات المتحدة على الحلف وعلاقتها المتميزة مع المملكة المتحدة . ففي مذكرة أُرسلت إلى الرئيس دوايت أيزنهاور ورئيس الوزراء هارولد ماكميلان في / 17 / أيلول/ 1958 / دعا ديغول إلى إنشاء مؤسسة ثلاثية الأبعاد تضع فرنسا على قدم المساواة مع الولايات المتحدة وبريطانيا . وبالنظر إلى الرد غير المرضي بدأ ديغول في بناء قوة دفاع مستقلة لبلده . وفي شباط / 1959 / سحبت فرنسا أسطولها من قيادة منظمة حلف شمال الأطلسي وحظرت في وقت لاحق وضع أسلحة نووية أجنبية على أراضيها . وقد أدى ذلك إلى نقل / 200 / طائرة عسكرية أمريكية من فرنسا وإعادة السيطرة على قواعد القوات الجوية التي كانت تعمل في فرنسا منذ / 1950 / إلى القوات الفرنسية في عام / 1967 / م , وعلى الرغم من أن فرنسا أظهرت تضامنها مع بقية حلف شمال الأطلسي خلال أزمة الصواريخ الكوبية في عام / 1962 / م , إلا أن ديغول واصل سعيه للحصول على دفاع مستقل عن طريق إزالة أساطيل فرنسا الأطلسية من قيادة الناتو. وفي عام / 1966 / م تمت إزالة جميع القوات المسلحة الفرنسية من القيادة العسكرية للناتو وطلب من جميع قوات الناتو غير الفرنسية مغادرة فرنسا. وقد نُقل عن وزير الخارجية الأمريكي دين روسك في وقت لاحق بأنه سأل ديغول ساخراً (هل يتضمن الأمر نقل جثث الجنود الأمريكيين المدفونة في مقابر فرنسا؟) ومع ذلك ظلت فرنسا ملتزمة بالدفاع عن أوروبا في حال هجوم حلف وارسو . وفي عام / 2009 / م في قمة ستراسبورغ تمّ الإعلان عن عودة فرنسا والانضمام إلى حلف الناتو رغم أن فرنسا شاركت الحلف منذ سقوط جدار برلين . كان هناك سلسلة من الاتفاقات السرية بين الأميركيين والفرنسيين توضح بالتفصيل كيفية انسجام القوات الفرنسية في حال اندلاع حرب بين الشرق والغرب.

يتكوّن حلف الناتو من / 28 / دولة من ضمنها الدول المؤسسة للحلف , ففي فترة تأسيسه انضمت الولايات المتحدة باعتبارها القوة العسكرية العظمى مقارنة ببقية الدول وكانت فيه بلجيكا وفرنسا وهولندا ولكسمبورغ وإنجلترا، إضافة إلى انضمام إيطاليا والدنيمارك والنرويج والبرتغال وكندا وآيسلندا جميع هذه الدول انضمت في عام/ 1949 / وفي عام / 1952 / م انضمت

تركيا واليونان , ثم انسحبت اليونان عدة سنوات وعادت عام /1980 / م ,إن سحب اليونان قواتها من الحلف عام / 1974 / م جاء نتيجة غزو تركيا لقبرص . وفي عام / 1955 / م انضمت ألمانيا الغربية إلى حلف الناتو ثم انضمت مرة أخرى بعد أن اتحدت مع ألمانيا الشرقية في عام / 1990 / م.كما انضمت اسبانيا في عام / 1982 / م ثم تبعتها التشيك والمجر وبولندا في عام / 1999 / م , أما بلغاريا واستونيا ولاتفيا ولتوانيا ورومانيا فقد انضموا في عام / 2004 / م وتبعهم في العام نفسه دولتا سلوفاكيا وسلوفينيا , وقد تجسد في هذا العام الانضمام الأكبر في تاريخ حلف الناتو وأصبح عدد أعضاء حلف الناتو / 28 / عضواً بعد انضمام كرواتيا وألبانيا له في عام / 2009 / م , كما دعا حلف الناتو دولاً أخرى للانضمام إليه والتعاون معه رسمياً , مثل البوسنة والهرسك وصربيا وكان ذلك في قمة لاتفيا في عام / 2006 / م. لقد انتقد العديد من القادة العسكريين والسياسيين والأكاديميين في الولايات الأمريكية دعوات الحلف للدول الشرقية الشيوعية سابقاً واعتبرتها قرارات سياسية خاطئة ذات أبعاد تاريخية.

ولحلف الناتو هيكل تنظيمي حيث يترأس حلف الناتو أمين عام , وتتحدد مهمته في توجيه عملية اتخاذ القرارات وحدوث التشاورات بين الأعضاء ,ويُعدّ الأمين العام الموظف المدني الأعلى مرتبة بين موظفي حلف الناتو , كما يُعتبر المتحدث الرئيسي باسم حلف الناتو , وهو رئيس المنظمة الدولية التي تقدم المشورات والتوجيهات اللازمة لأي وفد وطني داخل مقر الحلف . أما عن قيادة حلف الناتو فتتولّاها مجموعة من البلدان العاملة مع بعضها بعضاً , فيؤدي كل عضو سواء كان عسكرياً أم مدنياً أعماله ضمن إطار هيكل القيادة للحلف. ويتكون الهيكل التنظيمي للحلف من اللجان المدنية والهيكل التنظيمي العسكري , وتكمن مهمة اللجان المدنية في إنجاز جميع الأعمال المجدولة بدءاً من الأمور السياسية ووصولاً إلى الأمور التقنية وتتشكل اللجان المدنية من الخبراء والممثلين الوطنيين من مختلف دول أعضاء الحلف أما الهيكل التنظيمي العسكري فيتكون من اللجنة العسكرية التي تتكون بدورها من هيئات تنفيذية ورؤساء دفاع الدول الأعضاء والأركان العسكرية الدولية . إن القوات الدائمة لحلف الناتو عددها قليل جداً وعندما تتم الموافقة على عملية معينة من قِبَل مجلس شمال الأطلسي عندها تشارك القوات العسكرية لدول الأعضاء بالعملية , وما إن تنتهي العملية حتى تعود هذه القوات إلى بلدانها والهدف من ذلك هو توفير النفقات .

تنص بعض بنود معاهدة حلف الناتو : على أن الدول الأعضاء ترغب في العيش بسلام وتريد المحافظة على حريتها وكيانها , إضافة إلى السير على مبادئ الديمقراطية والحرية الفردية والامتثال للقانون , وتؤكد الدول الأعضاء على أنها ستحمي منطقة شمال الأطلسي بشكل مشترك وجماعي , وتنص المادة الأولى من المعاهدة على منع الدول الأعضاء من استخدام القوة بما يتعارض مع نصوص مبادئ ميثاق الأمم المتحدة , حيث يتم حل أي نزاع بطريقة سلمية دون اللجوء إلى القوة أو التهديد. وتنص المادة الثالثة على رغبة الدول الأعضاء في توحيد جهودها لتحقيق الأهداف المرجوة من إنشاء حلف الناتو , أما المادة الرابعة فهي تتمثل في مشاورة الدول الأعضاء لبعضها بعضاً في حال ملاحظتها لما يهدد استقلالها وأمنها , في حين نصت المادة الخامسة على أن أي عدوان مسلح يقع على دولة واحدة من الدول الأعضاء يعدّ عدواناً واقعاً على جميع الدول الأعضاء في الحلف , وعليه فإن للدول الأعضاء الحق في اتخاذ الإجراء المناسب لمواجهة العدوان الواقع , وتؤكد المادة السابعة أن بنود معاهدة حلف الناتو لا تتعارض مع حقوق الدول الأعضاء المعلن عنها في ميثاق الأمم المتحدة , أما بالنسبة لانسحاب الدول من المعاهدة فإن المادة الثالثة عشرة تنص على أنه يمكن لأي طرف الانسحاب بعد عام من تقديم طلب الانسحاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي تُخبر بدورها بقية الدول الأعضاء برغبة انسحاب الطرف المعني , وذلك بشرط مضي عشرين عاماً على بدء المعاهدة .

يتم تمويل حلف الناتو من الدول الأعضاء , وتكون المشاركة الأكبر من الحلفاء حيث يساهمون في العمليات التي تتم بقيادة الحلف , فمثلاً يؤمن بلد ما الطائرات المقاتلة في حين يوفر بلد آخر السفن وهكذا , كما يتولى الحلفاء بشكل مباشر تكاليف المباني والمعدات المشتركة بينهم مثل طائرات أواكس إضافة إلى رواتب الموظفين. قام الحلف بمبادرات عديدة منها مبادرة الشراكة عام / 1994 / م, فقد تم إسناد العلاقة مع الدول الواقعة على أطراف حلف شمال الأطلسي مثل البوسنة وصربيا والجبل الأسود بدعمها وزيادة التعاون معها . كما وقع الحلف اتفاقية تقتضي تأسيس مجلس للتعاون مع روسيا في عام/ 1997 / م وقد منحت الاتفاقية حقها في مناقشة القضايا المشتركة معها وتمّ العمل بهذه الاتفاقية رسمياً بحلول عام / 2002 / م ,

وفي عام / 2004 / م حدثت مبادرة جديدة وهي مبادرة اسطنبول للتعاون التي تحث على التعاون مع دول الشرق الأوسط بهدف الحفاظ على السلام والاستقرار في المنطقة .

لم يتدخل الحلف خلال حرب الفوكلاند بين المملكة المتحدة والأرجنتين لأن المادة / 6 / من معاهدة شمال الأطلسي تنص على أن الدفاع الجماعي عن النفس لا ينطبق إلا على الهجمات التي تستهدف الأراضي التابعة للدول الأعضاء الواقعة شمال مدار السرطان . وفي ذروة الحرب الباردة حافظت / 16 / دولة على قوة قوامها / 5,252,800 / عسكري في إطار هيكل قيادي بلغ / 78 / مقراً وتم تنظيمه في أربعة مستويات .

أسفرت سياسات الرئيس الفرنسي نيكولا ساركوزي عن إصلاح كبير في الموقف العسكري لفرنسا توج بعودة العضوية الكاملة في / 4 / نيسان عام / 2009 / م التي شملت أيضا انضمام فرنسا إلى هيكل القيادة العسكرية لمنظمة حلف شمال الأطلسي مع المحافظة على رادع نووي خاص بها . كما رُفع علم الناتو في حفل أقيم بمناسبة انضمام كرواتيا إلى الحلف عام / 2009 / م . وبين عامي / 1994 – 1997 / م أُنشئت محافل أوسع للتعاون الإقليمي بين الناتو وجيرانه , مثل الشراكة من أجل السلام , ومبادرة الحوار المتوسطي , ومجلس الشراكة الأوروبية الأطلسية , وفي / 1998 / م أنشئ المجلس المشترك الدائم بين الحلف وروسيا في عهد يلتسن الذي خدم الحلف خدمات جمة . كما أنشئت هياكل جديدة للناتو في حين ألغيت هياكل قديمة . وفي عام / 1997 / م توصل الحلف إلى اتفاق بشأن تخفيض كبير في هياكل قياداته من / 65 / مقر قيادي إلى / 20 / فقط . وفي آذار / 2004 / م بدأت أعمال الشرطة الجوية البلطيقية التابعة للحلف والتي دعمت سيادة لاتفيا وليتوانيا وأستونيا بتوفيرها مقاتلات نفاثة للرد على أية اقتحامات جوية غير مرغوب فيها , حيث وضع في ليتوانيا ثماني مقاتلات متعددة الجنسيات . وفي قمة استنبول عام / 2004 / م أطلق الحلف مبادرة اسطنبول للتعاون مع أربع من دول الخليج العربي , وعقد مؤتمر قمة ريغا / 2006 / في ريغا في لاتيفيا وفيه سُلط الضوء على مسألة أمن الطاقة . وكانت أول قمة للناتو تعقد في بلد كان جزءاً من الاتحاد السوفيتي . وفي قمة بوخارست التي عقدت في نيسان / 2008 / م وافق الحلف على انضمام كرواتيا وألبانيا اللتين انضمتا إلى الناتو في نيسان من عام / 2009 / م , وأُبلغت أوكرانيا وجورجيا بأنهما يمكنهما أن تصبحا عضوين في نهاية المطاف , وقد أثارت قضية العضوية

لجورجيا وأوكرانيا في الناتو انتقادات قاسية من روسيا . بدأ الناتو بوضع خطط لنشر نظام الدفاع الصاروخي وقد بدأت الدراسات المتعلقة بهذا النظام في عام / 2002 / م , وعلى الرغم من أن قادة الناتو قدموا تأكيدات بأن النظام لا يستهدف أمن روسيا إلا أن كلاً من الرئيسين فلاديمير بوتين وديمتري ميدفيديف اعتبراه تهديداً مباشراً لأمن بلادهم . وفي عام / 2009 / م اقترح الرئيس الأمريكي باراك أوباما استخدام نظام / نظام قتال أيجيس / **Aegis Combat System** / على الرغم من أن هذه الخطة لا يزال يجري بناء محطاتها في كل من تركيا واسبانيا والبرتغال ورومانيا وبولندا مع العلم أن الناتو قال : (إنه سيحافظ على الوضع الراهن في الردع النووي في أوروبا من خلال تحسين قدرات الاستهداف للقنابل النووية التكتيكية / **B61** / المتمركزة هناك ونشر مقاتلات لوكهيد مارتن / إف-35 / لايتنيغ الثانية سرياً) وعقب قيام روسيا بضم القرم في عام / 2014 / قام الحلف بتشكيل قوة طليعية جديدة قوامها / 5,000 / جندي وضعها في قواعد في استونيا وليتوانيا ولاتفيا وبولندا ورومانيا وبلغاريا . وفي قمة ويلز في عام / 2014 / م أكد قادة الدول الأعضاء في الناتو مجدداً تعهدهم بإنفاق ما يعادل / 2 % / على الأقل من إجمالي منتجاتهم المحلية على الدفاع . وقد التزم خمسة أعضاء من أعضائها الـ / 28 / وحققوا ذلك الهدف وذلك عام / 2015 / م . وفي / 15 / حزيران من عام / 2016 / م اعتبر الناتو الحرب الإلكترونية أو حرب الإنترنت كمجال عملي للحرب تماما مثل الأرض والبحر والحرب الجوية مما يعني أن أي هجوم إلكتروني على أعضاء الحلف يمكن أن يثير المادة / 5 / من معاهدة شمال الأطلسي . وفي / 5 / حزيران من عام / 2017 / م أصبح الجبل الأسود العضو التاسع والعشرون وسط اعتراضات قوية من روسيا .

تواصل روسيا معارضتها لمزيد من التوسع وتعتبره غير متسق مع التفاهمات والاتفاقات بين الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف والمفاوضين الأوروبيين والأمريكيين هذه الاتفاقات التي سمحت بإعادة توحيد ألمانيا سلمياً . وكثيرًا ما ينظر زعماء موسكو إلى جهود التوسع التي يبذلها الناتو باعتبارها استمراراً لمحاولة الحرب الباردة لتطويق روسيا وعزلها. وقد توصل استطلاع للرأي أجري في يونيو من عام / 2016 / م إلى أن / 68% / من الروس يعتقدون أن نشر قوات الناتو في دول البلطيق وبولندا – دول الكتلة الشرقية السابقة المجاورة لروسيا – يشكل تهديداً لروسيا.

كانت علاقة أوكرانيا مع منظمة حلف شمال الأطلسي وأوروبا مثيرة للانقسام السياسي وساهمت في احتجاجات الميدان الأوروبي التي شهدت الإطاحة بالرئيس الموالي لروسيا فيكتور يانوكوفيتش في / 2014 / م , وفي آذار من العام نفسه أكد رئيس الوزراء ارسيني ياتسينيوك مجدداً موقف الحكومة الذي يؤكد أن أوكرانيا لا تبحث عن عضوية في الناتو . وفي وقت لاحق وقع رئيس أوكرانيا مشروع قانون يسقط وضع "عدم الانحياز" لمتابعة عضوية الناتو، ولكنه أشار إلى أنه سيجري استفتاء قبل السعي للانضمام للحلف . أوكرانيا هي واحدة من ثمانية بلدان في أوروبا الشرقية ضمن خطة عمل الشراكة الفردية .

أنشئ برنامج الشراكة من أجل السلام في عام / 1994 / م بهدف خلق الثقة بين الناتو ودول أخرى في أوروبا وجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق , وأُنشئ مجلس الشراكة الأوروبية الأطلسية لأول مرة في / 29 / أيار من عام / 1997 / م وهو منتدى للتنسيق والتشاور والحوار المنتظم بين المشاركين الخمسين.

ووقع الاتحاد الأوروبي مجموعة شاملة من الترتيبات مع منظمة حلف شمال الأطلسي بموجب اتفاق برلين بلاس في / 16 / كانون الأول من عام / 2002 / م , وبهذا الاتفاق منح الاتحاد الأوروبي إمكانية استخدام ممتلكات الناتو في حالة رغبته في التصرف بصورة مستقلة في أزمة دولية ما في حال رفض الحلف التدخل في حل الأزمة وهو ما يسمي بالحق في الرفض الأول . وفي تبليسي في تموز من عام / 2007 / م أُطلق برنامج شراكة من أجل السلام . بالإضافة إلى ذلك تتعاون المنظمة وتناقش أنشطتها مع العديد من الأعضاء الآخرين من خارج الحلف . كما أُنشئ الحوار المتوسطي في عام / 1994 / للتنسيق مع الكيان الصهيوني والبلدان في شمال أفريقيا , وأُعلِنَت مبادرة إسطنبول للتعاون في / 2004 / بوصفها منتدى للحوار في الشرق الأوسط على غرار الحوار المتوسطي , بالإضافة إلى مجلس التعاون لدول الخليج العربي بدأ تشييد مبنى مقر جديد بقيمة / 750 / مليون يورو في عام / 2010 / م وانتهى في صيف عام / 2016 / م وقد تم تصميم مجمع بمساحة تبلغ / 250,000 / متر مربع بواسطة جو بالما يتسع إلى / 3800 / فرد . نشأت المشاكل في المبنى القديم في / 1967 / م عندما اضطر الحلف إلى نقل مقره من بورت دوفين في باريس عقب الانسحاب الفرنسي , ويتألف موظفو المقر من وفود وطنية من البلدان الأعضاء ويشملون مكاتب الاتصال المدنية والعسكرية

والموظفين أو البعثات الدبلوماسية والدبلوماسيين من البلدان الأعضاء فضلاً عن الموظفين الدوليين والموظفين العسكريين الدوليين من الأفراد العاملين في القوات المسلحة للدول الأعضاء .

وقع وزراء خارجية الناتو ورئيس وزراء الجبل الأسود ميلو يوكانوفيتش بروتوكولا حول انضمام الجبل الأسود إلى الناتو في / 19 / أيار من عام / 2016 / م ليصبح العضو التاسع والعشرين . إن معاهدة شمال الأطلسي وغيرها من الاتفاقيات تحدد كيفية اتخاذ القرارات داخل الناتو حيث يرسل كل عضو من الأعضاء التسعة والعشرين وفداً أو بعثة إلى مقر الناتو في بروكسل ببلجيكا .

ويشكل الأعضاء الدائمون معاً مجلس شمال الأطلسي وهو هيئة تجتمع مرة واحدة في الأسبوع على الأقل وتتمتع بسلطة الحكم الفعالة وسلطة اتخاذ القرارات في المنظمة . ويجتمع المجلس من وقت لآخر في اجتماعات رفيعة المستوى يشارك فيها وزراء الخارجية أو وزراء الدفاع أو رؤساء الدول أو الحكومات , وفي هذه الاجتماعات تُتَخَذ قرارات رئيسية بشأن سياسات الناتو . وتجدر الإشارة إلى أن المجلس يتمتع بنفس سلطة وصلاحيات صناع القرار , وقراراته لها نفس المركز والصلاحية أيا كان مستوى الاجتماع وتسمى دول (المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وفرنسا وإيطاليا) مجتمعة مع بعضها بعضاً باسم (كوينت) (**Quint**) وهي مجموعة مناقشة غير رسمية داخل الحلف , كما تتشكل مؤتمرات قمة منظمة حلف شمال الأطلسي لاتخاذ القرارات بشان المسائل المعقدة مثل التوسيع وغيرها .

ويترأس اجتماعات مجلس شمال الأطلسي الأمين العام للمنظمة وعندما يتعين اتخاذ قرارات يتم الاتفاق على العمل على أساس الإجماع والاتفاق المشترك . ولا يوجد تصويت أو قرار بالأغلبية . تحتفظ كل أمة ممثلة على طاولة المجلس أو اي من لجانها الفرعية بالسيادة والمسؤولية الكاملتين عن قراراتها.

وللحلف جمعية برلمانية تحدد الأهداف الإستراتيجية له , وقد اجتمعت هذه الجمعية البرلمانية في لندن / 2014 / م وهي تجتمع مرة واحدة في السنة , ومرة أخرى خلال السنة , وهي الجهاز الذي يتفاعل مباشرة مع الهياكل البرلمانية للحكومات الوطنية في الدول الأعضاء التي

تعين أعضاء دائمين أو سفراء للمنظمة , وتضم الجمعية البرلمانية لمنظمة حلف شمال الأطلسي مشرعين من الدول الأعضاء في الحلف وثلاثة عشر عضواً منتسباً . والجمعية هي الهيئة التي تضع جدول أعمال السياسة لمجلس الناتو عن طريق تقارير لجانه الخمس وهي :

1- لجنة العلم والتكنولوجيا .

2- لجنة الدفاع والأمن .

3- لجنة الاقتصاد والأمن .

4- اللجنة السياسية .

5- اللجنة المعنية بالبعد المدني للأمن .

وتوفر هذه التقارير الدافع والاتجاهات وفقاً لما اتفقت عليه الحكومات الوطنية للدول الأعضاء من خلال عملياتها السياسية الوطنية وتأثيراتها على الكيانات التنظيمية الإدارية والتنفيذية لمنظمة حلف شمال الأطلسي .

يقوم رئيس اللجنة العسكرية للناتو بتوجيه العمليات العسكرية , وتتكون من قيادتين استراتيجيتين يقودهما ضباط كبار يساعده موظفون من جميع أنحاء الناتو , والقادة الاستراتيجيون مسؤولون أمام اللجنة العسكرية عن التوجيه والتسيير العامين لجميع المسائل العسكرية للتحالف داخل مناطق قيادتهم . ويضم وفد كل بلد ممثلاً عسكرياً وضابطاً كبيراً من القوات المسلحة ودعم من الموظفين العسكريين الدوليين . ويشكل الممثلون العسكريون معاً اللجنة العسكرية , وهي هيئة مسؤولة عن توصية السلطات السياسية لمنظمة حلف شمال الأطلسي باتخاذ التدابير التي تعتبر ضرورية للدفاع المشترك عن منطقة الناتو . ويتمثل دورها الرئيسي في توفير التوجيه والمشورة بشأن السياسات والاستراتيجيات العسكرية . وهي تقدم التوجيه بشأن المسائل العسكرية إلى القادة الإستراتيجيين للمنظمة الذين يحضر ممثلوهم اجتماعاتها , وهي مسؤولة عن الإدارة العامة للشؤون العسكرية للتحالف تحت سلطة المجلس . وكما هو الشأن بالنسبة للمجلس , تجتمع اللجنة العسكرية من حين لآخر على مستوى أعلى , أي على مستوى رؤساء الدفاع . ففي / 2008 / م استبعدت اللجنة العسكرية فرنسا بسبب

خروجها من هيكل القيادة العسكرية للناتو الذي انضمت إليه في / 1995 / م . وإلى أن انضمت فرنسا إلى حلف شمال الأطلسي مرة أخرى فإنها لم تكن ممثلة في لجنة تخطيط الدفاع مما أدى إلى نشوب نزاعات بينها وبين أعضاء الناتو .

في / 17 / كانون الأول من عام / 1954 / م وافق مجلس شمال الأطلسي على الوثيقة النموذجية رقم / 48 / التي تمثل الورقة الرئيسية في تطور الفكرة النووية للناتو . وأكدت المنظمة على أن الناتو سيتعين عليه استخدام الأسلحة الذرية منذ بداية الحرب مع الاتحاد السوفييتي سواء اختار السوفييت استخدامها أولاً أم لا , وقد أُعطي ذلك المركز نفس الامتيازات المتعلقة بالاستخدام التلقائي للأسلحة النووية .

أما بالنسبة لحروب الناتو فإننا سنذكر بعضاً منها بعد فقرة حروب الحرب الباردة , لأن الناتو لم يتجرأ على القيام بأي عملية عسكرية قبل تفكيك الاتحاد السوفيتي .

حروب الحرب الباردة :

تحدث بعض المؤرخين والمحللين الاستراتيجيين والكتاب وغيرهم عن الحرب الباردة التي اشتعلت بعد الحرب العالمية الثانية وانتهت في عام / 1975 / م أي عند توقيع القطبين معاهدة (**MAD**) أي معاهدة الدمار الحتمي للطرفين . وللتوضيح أكثر فقد وجدت أن الحرب الباردة هي خلاف ذلك , وأنها تتوزع على ثلاثة أنواع من الحروب وسمَّيْتُها كما يلي :

1- الحروب المفتعلة .
2- الثورات المفتعلة .
3- الحرب الباردة الفعلية .

الحرب المفتعلة :

هي حروب تقسيم الدول المتفق على تقسيمها خلال مؤتمري يالطا وبوتسدام بين القادة الثلاثة الكبار , وهي الدول التي كانت تحتلها اليابان قبل هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ومنها كوريا التي منحتها الامبريالية لها عام / 1910 / م لقاء هجومها على روسيا القيصرية عام / 1905 / م . ومن أهم تلك الحروب الحرب الفيتنامية وهي نموذج عن الحروب التي دارت خلال الحرب الباردة والتي دارت رحاها بين الولايات المتحدة والشيوعيين الفيتناميين .

ففي تموز من عام / 1954 / م وبعد حرب ضروس بين المحتل الفرنسي والثوار الفيتناميين , تمَّ التوقيع على اتفاق جنيف الذي أنهى الحرب بينهما بحضور وفد من الثوار الفيتناميين ووفود من فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين والولايات المتحدة ولاوس وكمبوديا , وكانت النتيجة تقسيم فيتنام إلى شطرين يفصل بينهما خط العرض / 17 / , وفور رحيل المحتل الفرنسي بدأت الولايات المتحدة تساعد حكومة سايغون عسكرياً , أي حكومة فيتنام الجنوبية , وبدأت تمدها بالمال والسلاح والتدريب , فأصبحت فيتنام الشمالية شيوعية وفيتنام الجنوب تحت سيطرة الامبريالية , وأعلنت الامبريالية الحرب على هانوي وقد أطلق البريطانيون اسم (عملية السيادة) على تلك الحرب .

بدأ الثوار الجنوبيون مع قوات الشمال بشن هجماتهم على حكومة سايغون فدخلت أمريكا الحرب وإلى جانبها قوات من دول أخرى مثل كوريا الجنوبية وأستراليا ونيوزيلاند وتايلند وغيرها وبلغ عدد القوات الأمريكية في فيتنام / 550 / ألف جندي . طلب رئيس أمريكا جونسون من الزعيم السوفييتي لوسيغين الضغط على حكومة هانوي إلا أن مساعي لوسيغين باءت بالفشل . ومع ارتفاع خسائر أميركا بشرياً ومادياً بدأت الاحتجاجات في الشارع الأميركي تدعو إلى إنهاء الحرب الفيتنامية فخرجت مظاهرات عارمة عمَّت المدن الأميركية إضافة إلى الحملات الصحفية . وفي / 25 / كانون الثاني من عام / 1972 / م أعلن الرئيس نيكسون المفاوضات الأميركية الفيتنامية , كان الهدف منها إجراء انتخابات رئاسية ديمقراطية في القسم الجنوبي من البلاد , أما الشماليون فكان هدفهم ضرورة تنحي الرئيس الفيتنامي الجنوبي (تيو) عن السلطة كشرط

أساسي للسلام والامتناع عن تسليم الأسرى الأميركيين إلا بعد تنازل الولايات المتحدة عن مساندة حكومة سايغون .

أخذت الحرب منحى خطيراً حين قام فيتنام الشمال في / 30 / آذار من العام ذاته بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة (كانغ تري) متجاوزين بذلك المنطقة المنزوعة السلاح وكان رد الفعل الأميركي مزيداً من القصف الجوي . وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت مفاوضات سرية بين الطرفين , حيث اجتمع مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي يومها هنري كيسنجر بمندوب فيتنام الشمالية دوك تو . ومع انتعاش الآمال بالوصول إلى حل نهائي وفي محاولة للضغط على الفيتناميين وكسب انتصارات ميدانية تقوي موقفه أمر الرئيس نيكسون بقصف هانوي وهايبونغ في / 17 / كانون الأول فصبت طائرات / بي 52 / نيرانها على المدينتين في قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيراً له , وفقدت أميركا / 15 / طائرة كما فقدت / 93 / ضابطاً من سلاح الطيران الأميركي في هذه العملية وحدها وفي / 23 / كانون الثاني من عام / 1973 / م أُعلن عن توصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار الذي دخل حيز التنفيذ في / 28 / من الشهر نفسه , وقد تضمن الاتفاق ما يلي :

1- توقف جميع أنواع العداء .

2- انسحاب القوات الأميركية من جنوب فيتنام خلال الشهرين التاليين للتوقيع وإطلاق سراح الأسرى من الطرفين خلال / 15 / يوماً من التوقيع .

3- الاعتراف بالمنطقة المنزوعة السلاح بين الشطرين على أنها مؤقتة لا أنها حدود سياسية .

4- إنشاء لجنة دولية مكونة من ممثلين عن كندا وهنغاريا وإندونيسيا وبولونيا مكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاق .

5- بقاء / 145 / ألف جندي من شمال فيتنام في الجنوب.

لم ينته آذار من عام / 1973 / حتى غادر آخر جندي أميركي فيتنام . وبحجة فضيحة (ووترغيت) وانشغالها بها عدلت أمريكا عن مساندة حكومة سايغون . انتهز الشماليون الفرصة

فشنوا هجوماً كاسحاً على الجنوب محتلين مدينة فيوك بنه في كانون الثاني من عام / 1975 / م وتابعوا هجومهم الكاسح الذي توج بدخول سايغون في / 30 / نيسان من السنة نفسها .

كانت خسائر الفيتاميين خلال سنوات الحرب الثمانية : (مليوني قتيل , ثلاثة ملايين جريح , ما يناهز 12 مليون لاجئ) , بينما قدرت خسائر الأميركيين بخمسة وسبعين ألف قتيل , وأكثر من مئة ألف وثلاثة وخمسين جريحاً , أما الأسرى فقد بلغ حوالي ستمئة بين مدني وعسكري وقد تم إطلاق سراحهم . لقد باءت عملية التقسيم بالفشل لكنها نجحت في كوريا , والسبب في ذلك أن الكوريين في الكوريتين لم يساعدوا بعضهم بعضاً على عكس الفيتاميين الذين وقفوا مع بعضهما بعضاً لدحر العدو الأمريكي , ومن أهم أسباب نجاحهم أن معظم الفيتاميين بوذيون بينما كان حاكم فيتنام الشمالية كاثوليكياً تابعاً للثقافة الغربية رغم قلة عدد معتنقيها نتيجة البعثات التبشيرية التي كان يقوم به الاستعمار القديم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر , ولا تزال تلك البعثات مستمرة حتى الآن , بينما نجاح التقسيم في الكوريتين جاء نتيجة تجذر المسيحية في الشمال الناتج عن البعثات التي ذكرناها وانتشار الثقافة الغربية فيها , إضافة لما ذكرناه سابقاً .

أصدرت هيئة الأمم قرار الوصاية على كوريا بسبب خروج القوات اليابانية منها بسبب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية بحجة عدم حدوث فراغ سياسي , فدخلت القوات الأمريكية إلى جنوب كوريا والقوات السوفيتية إلى شمالها وقد تم تقاسم التركة اليابانية بينهما , فالشمال للسوفييت والجنوب للأمريكان . وفي عام / 1948 / م أجريت انتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة في الجنوب الذي تحتله الولايات المتحدة وفاز سينغمان ري في الانتخابات في حين تم تعيين كيم ايل سونغ كزعيم لكوريا الشمالية من قبل السوفييت . وقد أدى ذلك إلى إنشاء جمهورية كوريا في الجنوب وجمهورية كوريا الشعبية الديمقراطية في الشمال . دعمت الولايات المتحدة الجنوب , ودعم الاتحاد السوفياتي الشمال , بينما طالبت كل حكومة بالسيادة على كامل شبه الجزيرة الكورية , مما أدى إلى إشعال حرب أهلية بين الكوريتين بين عامي / 1950 – 1953 / م راح ضحيتها أكثر من خمسة ملايين قتيل .

من أهم مجريات تلك الحرب أن الشماليين استطاعوا غزو الجنوب والوصول إلى عاصمته إلا أن القوات الأمريكية تدخلت ودحرت القوات الشمالية حتى حدود الصين مما أغضب الصين التي كانت تساعد الشماليين أكثر من السوفييت وخاصة أن انتصار الشيوعية في الصين وتسلم ما تسي تونغ الحكم كان منعطفاً تاريخياً في التاريخ العالمي .

وصلت الحرب إلى طريق مسدود وبقيت الكوريتان منفصلتين عن بعضهما بعضاً بينهما منطقة منزوعة السلاح وهي لا تزال إلى يومنا هذا . وفشلت جميع المبادرات الدبلوماسية في إنهاء هذا الانقسام .

الثورات المفتعلة :

انزعجت الماسونية من المد الشيوعي وقوته في الشرق , ورأت أن نتائج التقاسم الذي تم في مؤتمرات يالطا وبوتسدام وغيرها لا يحقق مطامعها , لدرجة أنها ندمت على وقوفها إلى جانب ستالين في الحرب العالمية الثانية , وتمنت لو أنها وقفت إلى جانب هتلر وتقاسمت معه العالم لكان أفضل لها ولكانت استطاعت أن تقضي على الشرق الذي يتنامى ويزدهر بين الحين والآخر , ورأت ما حدث خطأً تاريخياً في تاريخها , فبدأت تتدخل في الشرق بطرق غير مباشرة وذلك بافتعال الثورات التي تحقق مصالحها وتضعف القطب الآخر , ومن أهم هذه الثورات , الثورات التي حدثت في اليونان ورومانيا , الأمر الذي أغضب ستالين الذي كان قد اتفق مؤخراً مع ونستون تشرشل على عدم التدخل في اليونان ونتيجة تلك الثورات توصل القطبان إلى ضم رومانيا إلى المعسكر الشيوعي دون التدخل الامبريالي واليونان إلى المعسكر الامبريالي ووافق القطبان على ذلك وأنهيت الثورات فيهما .

الحرب الباردة الفعلية :

لنعرّف أولاً ماذا تعني الحرب الباردة , هي الحرب التي دارت بين القطبين الشيوعي بقيادة السوفييت والقطب الامبريالي بقيادة أمريكا شكلاً وبريطانيا مضموناً والتي يحق لكلا الطرفين استخدام الأسلحة السياسية والتكنولوجية والاستخباراتية والأيديولوجية والاقتصادية وغيرها من الأسلحة ضد بعضهما بعضاً بشكل مباشر أو غير مباشر عدا السلاح العسكري ويرى بعض المحللين الاستراتيجيين والمؤرخين وغيرهم أن تلك الحرب انتهت عام / 1975 / م بتوقيع اتفاقية / **MAD** / بين القطبين أي اتفاقية الدمار الحتمي للطرفين بسبب سباق التسلح , إلا أنني أراها انتهت عام / 1989 / م عندما استطاعت الماسونية تفكيك الاتحاد السوفيتي باستخدامها تلك الأسلحة وخاصة السلاحين الاستخباراتي والاقتصادي وقد قدرت الأموال التي صرفتها الماسونية استخباراتياً لهذا الغرض بخمسة مليارات دولار وهو رقم بسيط جداً بالنسبة لمردود العملية المنجزة .

بدأت الحرب الباردة الفعلية بتطوير السلاح الذري وتطوير سلاح الصواريخ , وكل قطب بدأ يطور صواريخه بحيث يكون مداها أبعد من مدى صواريخ الخصم إضافة إلى زيادة سرعتها , وكان السوفييت أفضل من الأمريكيين في ذلك وقد توصلوا إلى إطلاق صاروخ للفضاء الخارجي عام / 1957 / م وهو أول صاروخ يُطلق في العالم . استاء الأمريكان من هذا العمل فصرح الرئيس الأمريكي آنذاك أن على أمريكا أن تسعى لامتلاك هذا السلاح من خلال التوصل إلى صناعته في أسرع وقت لأنه يعدُّ من الأمن القومي لها , وفي عام / 1961 / أعلن الرئيس الأمريكي أن أمريكا توصلت إلى إطلاق صاروخ نحو الفضاء وبدأ الصراع على تطوير هذا السلاح , وتوصلت أمريكا إلى تصنيع القنبلة الهيدروجينية ولحق بها السوفييت , كما توصلوا إلى صناعة القنبلة النووية وكذلك لحق بهم السوفييت إلى أن أعلنوا أن هذا العمل هو مدمر للطرفين بشكل حتمي فبدأت المفاوضات بين الطرفين وأبرموا معاهدة / **MAD** / (الدمار الحتمي للطرفين) عام / 1975 / م من أجل إيقاف سباق التسلح , وخاصة السلاح النووي .

لم يترك القطبان بعضهما بعضاً من العمليات الاستخباراتية والتجسس وخاصة عندما بدأ السوفييت في ستينيات القرن العشرين يغزون القارات اقتصادياً وبالأخص قارتي أفريقيا وأمريكا

الجنوبية ولحقت بها الصين التي دخلت الأسواق العالمية في سبعينيات القرن نفسه مما أثار غضب الماسونية لأنها ترى أن من حقها فقط السيطرة على اقتصاديات العالم , فبدأت الماسونية تفكر في إنهاء الاتحاد أو إضعافه على الأقل وفي نهاية الأمر استطاعت الماسونية تفكيك الاتحاد السوفييتي استخباراتياً , فقد استطاعت إيصال غورباتشوف إلى سدة حكم الاتحاد السوفيتي ولحق به يلتسن فعملا على تفكيك الاتحاد السوفيتي بحجة مزعومة وهي أن هناك مشاكل داخلية يعاني منها .

يتسم حكام الاتحاد السوفيتي بكبر السن فلو استثنينا لينين وستالين أول قائدين للمعسكر الشيوعي لوجدنا أن رؤساء الاتحاد السوفيتي يتجاوز أعمارهم الستينات والسبعينات ووصل بعضهم إلى الثمانينات , وعند وفاة أحدهم يكون الخلف معروفاً سابقاً وهو الأمين العامل لحزب المتفق عليه سابقاً قبل توليه .

شهد الاتحاد السوفيتي قبل تسلم غورباتشوف السلطة ثلاث جنازات للرؤساء خلال ثمانية وعشرين شهراً , آخرها وفاة الرئيس قسطنطين تشيرنينكو في 10 / 3 / 1985 م والذي جرى دفنه في 13 /3/ 1985 م وفي ليلة وفاة تشيرنينكو حصل شيء غريب قياساً للأعراف السوفيتية إذ عقدت جلسة طارئة للمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي وتم فيها انتخاب ميخائيل غورباتشوف أميناً عاماً للحزب . أُثيرت الشكوك حول تلك الجلسة الطارئة بسبب الغموض والملابسات التي لازمت الجلسة إذ لم يكتمل فيها النصاب ولم يحضرها كل أعضاء المكتب السياسي وذلك خلافاً للنظام الداخلي للحزب , حيث كان عدد منهم خارج البلاد وبعضهم الآخر بعيد جداً عن موسكو فعلى سبيل المثال كان شتشربيسكي في زيارة للولايات المتحدة الامريكية , وفورو تينكوف في زيارة ليوغسلافيا وعلييف كونانييف في آلما آتا وهي تبعد أربع ساعات عن موسكو بالطائرة, ورغم ذلك انتخب غورباتشوف أميناً للحزب ليصبح خلفاً لتشيرنينكو , وفي اليوم التالي عرض القرار على اللجنة المركزية بهدف دعمه وحقق هدفه . مع العلم أن معظم المسؤولين والشعب كانوا يتوقعون غريشين خلفاً للرئيس الراحل لأنه كان يلقي خطابات تشيرنينكو طوال فترة رقود الأخير في المستشفى إضافة إلى قدمه الحزبي وهذه إشارات واضحة تشير إلى أنه الخلف الذي يرغبه الحزب في حالة وفاة الرئيس. لقد كتب الكتّاب السوفييت الكثير عن هذه الفترة وهذه التمثيليات , فنجد مثلاً الصحفي الكرواتي الكسندر نوفاتشيتش

يصدر كتاباً بعنوان (مسرحية غورباتشوف) . ويكتب الأديب الروسي ميدفيديتش عن البروسترايكا وغورباتشوف , وغيرهم الكثير .

تسلم غورباتشوف مقاليد الحكم خلفاً لتشيرنينكو وعيّن أعوانه عديمي الخبرة والتجربة في العمل القيادي على مستوى الدولة , وأقال الخبراء والقادة الأكفاء , ومن الذين عينهم : ادورد شيفرنادزه وزيراً للخارجية في شهر يوليو من عام / 1985 / م خلفاً للوزير المخضرم اندريا غروميكو . ومن المعلوم عن شيفرنادزه أنه عديم الخبرة بالسياسة الخارجية إضافة إلى عدم إتقانه لأي لغة أجنبية وهو جورجي يجيد اللغة الجورجية فقط ولا ينطق الروسية بشكل جيد , وذات يوم كان ضيفاً في أحد البرامج التلفزيونية وسئل عن ضعف لغته الروسية فأجاب على الفور : (إن أمي يهودية وهذا ليس عيباً) . وبسببه بدأ العد التنازلي لقوة المفاوض السوفيتي مما جعل الناس والصحف تقول إن هذا الرجل سوف يجلب للبلاد هزيمة بلا قتال , وبالفعل هزم الاتحاد السوفيتي دون قتال . لقد قالت عنه مارغريت تاتشر ساخرة : (إنه مهندس سياسة التسامح الدولي) . وفي عام / 1990 / م قدم شيفرنادزه استقالته ليصبح رئيساً لجورجيا مكافأة له لتعاونه في تفكيك الاتحاد السوفيتي ثم يتركها أفقر بلد في المنطقة بعد انتفاضة شعبية فغادر إلى ألمانيا بعد أن اشترى فيها قصراً ضخماً بملايين الماركات وقتذاك . وعيَّن غورباتشوف أيضاً نيقولاي ريجكوف رئيساً للوزراء الذي لم يقدم للاتحاد أي شيء , ورغم أن بولوزكوف كان محسوباً على غورباتشوف إلا أنه قال : (إن البروسترايكا جاءت بالفساد للاقتصاد السوفيتي والحزب والدولة السوفيتية) .

بعد يومين من حدوث كارثة المفاعل النووي تشرنوبل في 26 / 4 / 1986 م أعلن غورباتشوف عن سياسة الغلاسنوست (الشفافية) ولم تكن الغلاسنوست إلا وسيلة أخرى مشجعة على هز أركان الدولة السوفيتية وتمهيداً لتمرير مخطط تفكيك الاتحاد السوفيتي وهذا ما أكده بيان لجنة الإنقاذ السوفيتية ثم أعلن في عام / 1988 / م عن البروسترايكاف ألغى الدور الدستوري للحزب الشيوعي في تنظيم الدولة وعزل العسكرة عن السياسة الخارجية وفتح أقنية مع الدول الرأسمالية وحد من التسلح وخفض القوات السوفيتية في أوروبا الشرقية . أدت البروسترايكا إلى إنهاء الشيوعية وتمزيق العلم الأحمر وتصفية الدولة السوفيتية ونقلها من دولة عظمى إلى دولة تستجدي المعونات من أعدائها الإمبرياليين في مطلع تسعينيات القرن المنصرم

في عهد يلتسين . ومن نتائج البروسترايكا التي ظهرت مباشرة انحطاط المستوى المعاشي إلى الدرك الأسفل والتعددية الحزبية البراقة وتفكك الدولة العملاقة وخلو أسواق موسكو حتى من الخبز , هذا على المستوى الداخلي , أما على الصعيد العالمي فقد خلا الجو لسياسة القطب الواحد وانتهت قواعد القانون الدولي لتحل محلها الفوضى والبلطجة الدولية التي تخدم الرأسمالية العالمية .

في / 17 / آذار من عام / 1991 / قام الاتحاد بإجراء استفتاء شعبي هدفه حل الاتحاد السوفيتي إلا أن التوقعات جاءت على عكس ما كان يرغب غورباتشوف وأسياده الامبرياليون فقد كانت نتائج الاستفتاء أن أكثر من / 75% / يريدون بقاء الاتحاد السوفيتي موحداً . أحس كريشيكوف رئيس الاستخبارات السوفيتية (كي جي بي) بعدما قُدم له تقرير أعدته دائرة الاستخبارات الخارجية في الـ (كي جي بي) فحواه أن الـ (سي آي ايه) قامت بتجنيد عملاء لها داخل الاقتصاد والإدارة والأبحاث العلمية ودربتهم على القيام بأعمال تخريبية وعلى الفور وفي / 19 / آب من العام نفسه قام كريشيكوف بعملية انقلاب أبيض كمحاولة منه لإدخال الاتحاد السوفيتي إلى غرفة الإنعاش بعدما بدت ساعات الاحتضار والتقسيم , لكن لم يكتب لهذا الانقلاب النجاح فقد تدخل يلتسن وأرسل قوات إلى البرلمان وأعاد غورباتشوف إلى الحكم في / 22 / آب من نفس العام أي بعد ثلاثة أيام . إن سبب عودة غورباتشوف إلى الحكم هو خوف كريشيكوف من إراقة الدماء ودخول البلاد في فوضى وحرب أهلية فسحب قواته وأعاد الأمور لما كانت عليه قبل الانقلاب الأبيض ,لكن كريشيكوف وضّح للشعب ما يحصل من خيانة تاركاً الأمر للشعب فأصدر البيان رقم / 5 / الذي أشار فيه بشكل غير مباشر إلى أن ميخائيل غورباتشوف لا يخلو من الخوض في مستنقع العمالة الأجنبية , فقد ورد بالبيان (إن هناك قوى تدربت وتعلمت في الخارج من أجل تمزيق الاتحاد السوفيتي وانهيار الدولة السوفيتية) كما حذر البيان من أن الانهيار لن يقضي على مسيرة سبعين عاماً من النضال فحسب بل سيؤدي إلى فناء البلاد .

بعد عدة أسابيع قدم غورباتشوف استقالته من رئاسة الحزب الشيوعي , ثم أعلن في / 8 / كانون الأول من نفس العام عن استقلال روسيا وأوكرانيا وبيلاروسيا وتشكيل رابطة الدول المستقلة بعد اجتماع سري مع يلتسن الذي أصبح رئيس روسيا وكرافتشوك الذي أصبح رئيس

أوكرانيا ولوكاشينكو الذي أصبح رئيس بيلاروسيا (روسيا البيضاء) والذي كشف عنه بالوثائق المصورة , وفي / 17 / كانون الأول من نفس العام التقى مع يلتسن رئيس جمهورية روسيا واتفقا على حل الاتحاد , رغم أن ذلك هو من اختصاص (مجلس السوفييت الأعلى) أعلى هيئة تشريعية سوفيتية , وفي / 25 / كانون الأول من العام ذاته أعلن استقالته من رئاسة الاتحاد بعد أن أكمل مهمته في تفكيكه , وأصبح يلتسن رئيس روسيا فوقع على اتفاقية حل الاتحاد .

في كانون الثاني من عام / 1992 / م أنشأ غورباتشوف (مؤسسة غورباتشوف) لمعالجة القضايا الاجتماعية والسياسية , وفي عام / 1993 / م بدأ يظهر على شاشات التلفزيون في الدعايات الإعلانية التجارية للمطاعم وشركات الأزياء , وحاول عدة مرات الوصول إلى مجلس الدوما لكن محاولاته باءت بالفشل , كما حصل على العديد من الجوائز العالمية منها : جائزة أوتوهان للسلام عام / 1989 / م , ونوبل للسلام عام / 1990 / م وجائزة هارفي عام / 1992 / م , وحاز على العديد من الشهادات الجامعية الفخرية . وفي عام / 2001 / م أي في عهد بوتين أسس حزب الاجتماعي الاشتراكي الروسي وتحالف مع الديمقراطيين الاشتراكيين عام / 2007 / م ثمّ أعلن في عام / 2008 / م عن تأسيس الحزب الديمقراطي المستقل . ورغم النجاحات التي حققها بوتين لروسيا حيث جعل من روسيا دولة عظمى إلا أن غورباتشوف كان ينتقد سياسة بوتين , ومن جملة ما قاله : (إنه جرى تهميش الناس حتى أصبحوا مثل بيادق الشطرنج) , كما قال : (إن الحزب الموالي له – يقصد بوتين – ولرئيس وزارته ميدفيدف ليس سوى نسخة سيئة عن الحزب الشيوعي السوفيتي) قاصداً إعادة البلاد إلى زمن حزب الدولة الواحد , وقال أيضاً : (إننا نعارض تماماً أي نظريات أو عقائد تبرر تصدير الثورة أو الثورة المضادة) .

وفي إحدى اللقاءات الصحفية مع ال (بي بي سي) :

سأله الصحفي : هل الحرية تواجه تهديداً في روسيا ؟

غورباتشوف : البروسترايكا لم تكتمل , نحتاج الحديث بصراحة عن هذا , هناك بعض الأشخاص تزعجهم الحرية , لا يشعرون بشيء جديد حيالها .

الصحفي : هل تقصد بوتين ؟

غورباتشوف : يتوجب عليك تخمين من الذي أقصده .

لم يذكر اسم بوتين لكنه لمح عدة مرات حول اختلافه معه .

كما انتقد غورباتشوف الإعلام الغربي وحمّله مسؤولية ازدياد شعبية بوتين فقال : (بسبب هذا الإعلام ارتفعت شعبية بوتين إلى / 85% / وستصل إلى / 120% /) .

الصحفي : هل تتحمل مسؤولية انهيار الاتحاد السوفيتي ؟

غورباتشوف : ما يؤلمني هو أن الناس لم تفهم بشكل كافٍ ما أنجزته وما فعلته فعلاً , لقد فتحت البروسترايكا الباب أمام البلاد والعالم للتعاون والسلام , وآسف فقط لأنني لم أتمكن من رؤيتها حتى النهاية .

ما إن تسلم يلتسن مقاليد الحكم في روسيا حتى وقع مع أمريكا على اتفاقية جامايكا وربط الروبل الروسي بالدولار الذي جلب الكوارث للاقتصاد الروسي , الخطوة التي امتنع ستالين عن تنفيذها عام / 1944 / م في مؤتمر بريتون وودز لأنه رآها هيمنة للاقتصاد الامبريالي على العالم . أطلق عملية الخصخصة فباع شركات الدولة لرجال الأعمال بثمن بخس . كان يلتسن سكيراً لا يصحو من سكرته وكان معظم أعوانه من اليهود , وكانوا يوجهونه حيثما أرادوا , لذا وُصِف عهد يلتسن بالعهد المظلم في تاريخ روسيا الحديث لم يشهد الروس مثله حتى أثناء الاحتلال النازي , حيث عمّ الفساد , وانهار الاقتصاد بشكل هائل وأدخل البلاد في مشاكل سياسية واجتماعية . لقد أصبحت غالبية الممتلكات الوطنية والثروة في أيدي قلة من رجال الأعمال بسبب هذا التحول الكلي المفاجئ في الاقتصاد .

لقد أدت ديمقراطيته إلى تمكين الاحتكارات الدولية من أخذ الأسواق السوفيتية السابقة , مستفيدة من الفرق الكبير بين الأسعار المحلية للسلع القديمة الروسية والأسعار السائدة في السوق العالمية. لعب انخفاض أسعار النفط العالمية والسلع الأساسية خلال التسعينيات دوراً كبيراً في السيطرة على سياسات روسيا ودول أخرى في الاتحاد السوفييتي السابق. وفي غضون سنوات قليلة من رئاسته بدأ العديد من مؤيديه بانتقاد قيادته , فقد ندد نائب الرئيس الكسندر

روتسكوي بالإصلاحات واصفا إياها بأنها (إبادة اقتصادية) . وصلت المواجهات المستمرة مع مجلس السوفيات الأعلى ذروتها في الأزمة الدستورية الروسية / 1993 / م حيث أمر يلتسين بحل البرلمان السوفياتي الأعلى دون أي أساس شرعي لقراره , ونتيجة لذلك حاول البرلمان عزله من منصبه. وفي تشرين الأول من عام / 1993 / م أوقفت القوات الموالية ليلتسين انتفاضة مسلحة خارج مبنى البرلمان , مما أدى إلى وقوع عدد من القتلى. ثم ألغى يلتسين الدستور الروسي القائم وحَظَرَ المعارضة السياسية وعمق جهوده في تحويل الاقتصاد. أعلن يلتسين استقالته في / 31 / كانون الأول من عام / 1999 / م – بعد فوزه في انتخابات / 1996 / م المشكوك في نزاهتها من قبل الشعب الروسي والقادة الروس وخاصة في الجولة الثانية – في ظل ضغوط داخلية هائلة وترك الرئاسة لرئيس الوزراء آنذاك فلاديمير بوتين. ترك يلتسين منصبه بعد أن فقد شعبيته لدى نطاق واسع من الشعب الروسي .

أدى انحسار دور الدولة والفساد والوضع الاقتصادي المتردي إلى ظهور الجريمة المنظمة أو ما يعرف بالمافيا الروسية وتغلغلها في معظم مناحي الحياة في روسيا.

لم يكتفِ يلتسن بهذا القدر من الانبطاح السياسي والاقتصادي وحتى الاجتماعي والثقافي فقد كان يعقد العزم على إلحاق الجيش بحلف الناتو , ولكن وقوف الناتو إلى جانب كرواتيا أثناء حربها مع صربيا في بداية تسعينيات القرن العشرين منعت يلتسن من الانضمام إلى حلف الناتو , لأن الشارع الروسي غضب من الناتو لدخوله المعركة ضد الصرب وخاصة أن الصرب يتبعون الكنيسة الأرثوذكسية بينما الكروات يتبعون الكنيسة الكاثوليكية , وقد عبر هنتغتن في كتابه (صدام الحضارات) عن هذا الخطأ التاريخي الذي ارتكبته الامبريالية وصرح أن الحلف قد كال بمكيالين في تلك الحرب وخسر انضمام الروس لهذا السبب , لكن الامبريالية لم تكترث إلى ذلك وظنت أن يلتسن سوف ينجر للانضمام لاحقاً , وإن لم يدخل الروس في الحلف فإنهم سوف ينضمون لاحقاً , فالماسونية كانت تعد رئيساً جديداً لروسيا هو خدروفسكي

بعض حروب الناتو :

كما ذكرنا سابقاً أن الناتو لم يقم بأي عملية عسكرية قبل تفكيك الاتحاد السوفيتي , أما بعد تفكيكه فقد غدت الماسونية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية الشرطي الوحيد في العالم وأصبح للعالم قطب واحد يتحكم بالبلاد والعباد , فبدأت منظمة الناتو ترسم الخرائط الجديدة لتشكيل عالم جديد يناسب مقاساتها .

دخّل الحلف في البوسنة والهرسك عام / 1995 / م وأسفر ذلك عن نشر قوات حفظ الأمن والسلام فيهما , كما دخلت قوات الحلف في كوسوفو بعد ضربها ليوغسلافيا بعدة ضربات جوية في عام / 1999 / م , وفي عام / 2001 / م أرسل الناتو العديد من قوات حفظ السلام إلى مقدونيا , كما نفّذ مهامه في أفغانستان عام / 2003 / م , إضافة إلى قيامه بإغاثة منكوبي زلزال باكستان عام / 2006 / م المسيطر عليها سياسياً على الأقل , وساعد منكوبي إعصار كاترينا في الولايات المتحدة الأمريكية في العام نفسه وغيرها من المبادرات , وكلها بحجة حفظ السلام في المنطقة أو حفظ السلام في الإقليم أو حفظ السلام العالمي أو المساعدات الإنسانية لكنها في الحقيقة عكس ذلك , فهم يتفوّهون بشيء ويعملون العكس وذلك لذر الرماد في العيون في /12/ كانون الأول / 1979 / وافق وزراء الدول الأوروبية على نشر القذائف الانسيابية الأمريكية والأسلحة النووية في أوروبا فقام بين عامي / 1983 – 1984 / م بوضع قذائف متوسطة المدى فيها من طراز / **SS-20** / ونشر قذائف / بيرشينغ 2 / الحديثة مهمتها ضرب أهداف عسكرية في حالة الحرب وقد أدى هذا العمل إلى احتجاجات من حركة السلام في جميع أنحاء أوروبا الغربية .

وبعد الحرب الباردة , وثورات عام / 1989 / م , وتفكك حلف وارسو في عام / 1991 / م , والقضاء على الخصم الرئيسي للحلف قام الحلف بإعادة تقييم إستراتيجيته وطبيعته ومهامه وأهدافه الجديدة , وقد بدأ هذا التحول بالتوقيع في باريس على معاهدة القوات المسلحة التقليدية في أوروبا بين الناتو وروسيا التي نصت على إجراء تخفيضات عسكرية محددة في جميع أنحاء القارة , ثم جاء توسع الناتو بعد الحرب الباردة بإعادة توحيد ألمانيا في / 3 / تشرين الأول / 1990 / ولضمان موافقة الروس على بقاء ألمانيا موحدة في الناتو تم الاتفاق على أن القوات

الأجنبية والأسلحة النووية لن تتمركز في الشرق نهائياً ووعد الحلف بذلك وقال جاك ماتلوك السفير الأمريكي لدى الاتحاد السوفيتي السابق : (إن الغرب أعطى التزاماً واضحاً بعدم التوسع نحو الشرق) وقال هانز ديتريش غينشر وزير خارجية ألمانيا الغربية في ذلك الوقت في محادثة مع إدوارد شيفردنادزه : (إن هناك شيئاً واحداً مؤكداً وهو أن حلف الناتو لن يتوسع إلى الشرق) . وكتب غورباتشوف في مذكراته حول المفاوضات الخاصة بتوحيد ألمانيا فقد أكد الحلف على أنه لن تمتد منطقة عملياته نحو الشرق . وقد كرر هذا الرأي في مقابلة له عام / 2008 / م . لكن الماسونية كعادتها لا تفي بعهودها فبدأت تتوسع تدريجياً ليشمل الدول المستقلة حديثاً في أوروبا الوسطى والشرقية والدول الناتجة عن تفكك الاتحاد السوفيتي , كما وسعت أنشطتها لتشمل الحالات السياسية والإنسانية التي لم تكن في السابق من شواغل الناتو . وكجزء من إعادة هيكلة الحلف بعد الحرب الباردة فقد تم تخفيض الهيكل العسكري للناتو وإعادة تنظيمه مع إنشاء قوات جديدة مثل فيلق الرد السريع التابع لقيادة الحلفاء في المقر الأوروبي وفيلق يوروكوربس، والفيلق الألماني/الهولندي , والفيلق المتعدد الجنسيات في الشمال الشرقي فضلا عن القوات البحرية العالية الاستعداد التي تقدم تقاريرها إلى عمليات قيادة الحلفاء. وفي وقت مبكر من عام / 2015 / م عقب الحرب في دونباس قررت اجتماعات وزراء الناتو أن الفيلق المتعدد الجنسيات في شمال شرق البلاد سيتم تعزيزه من أجل تطوير قدرات أكبر واستعداده للدفا ع عن دول البلطيق في حال كان ذلك ضرورياً , وسيتم إنشاء شعبة جديدة متعددة الجنسيات في الجنوب الشرقي من رومانيا. وسيتم أيضا إنشاء ست وحدات متكاملة بين قوات الناتو لتنسيق الاستعدادات للدفا ع عن الأعضاء الشرقيين الجدد في منظمة حلف شمال الأطلسي خلال شهر أب من عام / 2016 / م . كما أعلن أنه سيتم نشر / 650 / جندي من الجيش البريطاني بشكل دائم في أوروبا الشرقية ولا سيما في أستونيا , وقد جرى نشر بعضهم في بولندا. ويشكل هذا الانتشار البريطاني جزءاً من مجموعة من أربع كتائب من قبل مختلف الحلفاء , وعززت منظمة حلف شمال الأطلسي وجودها ونشرت إحدى هذه الكتائب من بولندا وهي المجموعة التي نشرتها بولندا بقيادة الولايات المتحدة في استونيا .

إن أول عملية عسكرية قام بها الناتو هي عملية (حارس المرساة)(**Anchor Guard**) في عام / 1990 / م وعملية (حارس الآس) (**Ace Guard**) في عام / 1991 / م على

العراق بحجة الغزو العراقي للكويت , بالإضافة إلى نشر قوة للرد السريع في المنطقة كما اشتبكت طائرات الناتو في عمليات القصف الجوي وارتكاب مذبحة سربرينيتسا في البوسنة والهرسك , فقد بدأت حرب البوسنة والهرسك في / 1992 / م بعد أن فككت الماسونية يوغوسلافيا وأدت الحالة المتدهورة إلى القرار / 816 / الصادر من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في / 9 / تشرين الأول من عام / 1992 / م والذي أمر بإنشاء منطقة حظر جوي فوق وسط البوسنة والهرسك وبدأ الحلف تنفيذها في / 12 / نيسان من عام / 1993 / م , وتمّ حظر توريد الأسلحة وعقوبات مالية وتجارية ضد جمهورية يوغسلافيا الاتحادية من حزيران من عام / 1993 / م حتى تشرين الأول من عام / 1996 / م أضافت عملية (الحارس الذكي) (**sharp guard**) , وفي / 28 / شباط من عام / 1994 / م اتخذ الحلف أول إجراء عملي له في زمن الحرب بإسقاطه أربع طائرات صربية بوسنية منتهكة لمنطقة الحظر المفروض على يوغسلافيا , وفي العاشر والحادي عشر من نيسان من عام / 1994 / م دُعيت قوة الحماية التابعة للأمم المتحدة إلى شن غارات جوية لحماية منطقة غورازده الآمنة مما أدى إلى قصف مخفر للقيادة العسكرية الصربي–البوسني بالقرب من غورازده بواسطة طائرتين أمريكيتين من طراز / اف–16 / تعملان بتوجيه من الناتو وقد أسفر عن ذلك أخذ / 150 / موظفاً من موظفي الأمم المتحدة كرهائن في / 14 / نيسان . وفي / 16 / نيسان أسقطت القوات الصربية طائرة بريتش ايروسبيس هارير فوق غوردازة . وفي آب من عام / 1995 / م بدأت حملة قصف تابعة للحلف مدتها أسبوعان ضد جيش جمهورية صرب البوسنة بعد مذبحة سريبرينيتسا . وقد ساعدت وسرعت الضربات الجوية التي شنتها قوات الحلف في ذلك العام في تفكيك يوغوسلافيا مما أسفر عن اتفاقية دايتون في تشرين الثاني من عام / 1995 / م وكجزء من هذا الاتفاق قام الحلف بنشر قوات لحفظ السلام بتكليف من الأمم المتحدة وذلك في إطار عملية مشتركة تدعى (**IFOR**) وقد انضمت قوات من دول غير أعضاء في الحلف في هذه المهمة وصلت إلى حوالي / 60,000 / جندي . وفي كوسوفو قام جنود ألمان بدوريات في جنوب كوسوفو عام / 1999 / م في محاولة لوقف حملة سلوبودان ميلوسيفيتش التي قادها الصرب ضد الانفصاليين , وأصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار / 1199 / في / 23 / أيلول من عام / 1998 / م للمطالبة بوقف إطلاق النار . وقد انهارت المفاوضات التي جرت بقيادة المبعوث الخاص الأمريكي ريتشارد هولبروك في / 23 / آذار من عام / 1999

/ م حيث قام بتسليم المسألة إلى الحلف فبدأ بحملة قصف استمرت / 78 / يوماً بدءاً من / 24 / آذار من العام نفسه واستهدفت العملية القدرات العسكرية ليوغوسلافيا الاتحادية , وخلال الأزمة قام الحلف بنشر إحدى قوات الرد الدولية التابعة لها وهي القوة البرية المتنقلة في ألبانيا بحجة إيصال معونات إنسانية إلى لاجئين كوسوفو وانتُقِدَت لارتفاع عدد الضحايا من المدنيين بما في ذلك قصف السفارة الصينية في بلغراد وأخيراً وافق ميلوسفيتش على شروط خطة السلام الدولية (الاستسلام) في / 3 / حزيران من عام / 1999 / م وانتهت حرب كوسوفو . وفي / 11 / حزيران من نفس العام وافق ميلوسيفيتش على قرار الأمم المتحدة / 1244 / حيث ساهم الحلف بعد ذلك بإنشاء قوة حفظ السلام التابعة لقوة كوسوفو . وقد فر ما يقارب مليون لاجئ من كوسوفو , وفي شهري آب وأيلول من عام / 2001 / م شن الحلف عملية لنزع سلاح الثوار الألبان في مقدونيا .

أعلنت فرنسا وبعض الدول الأخرى أن الحلف يحتاج إلى موافقة الأمم المتحدة ليقوم بعملياته العسكرية , فزعم الجانبان الأمريكي والبريطاني أن هذا سيقوض سلطة الحلف , وأشاروا إلى أن روسيا والصين ستمارسان حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن لمنع الضربات على يوغوسلافيا ويمكن أن تفعلا نفس الشيء في الصراعات المستقبلية حيثما يكون تدخّل الناتو مطلوباً , وبالتالي تبطل فعالية الحلف والهدف من إنشائه .

أدت هجمات الحادي عشر من أيلول عام / 2001 / م من قبل إرهابيين على مبنى منظمة التجارة العالمية ومبانٍ أخرى في الولايات المتحدة إلى احتجاج الحلف حسب المادة / 5 / من ميثاق الناتو وذلك لأول مرة في تاريخها حيث تنص المادة على أن أي هجوم على أي عضو من أعضاء الحلف يعدّ هجوماً على الجميع – لكن في الحقيقة هذا الحدث كان وراءه الماسونية ذاتها , قد يستغرب القارئ هذا الاتهام لكن الواقع والوثائق يؤكدان ذلك – وتم تأكيد الاحتجاج في / 4 / تشرين الأول / 2001 / م . وشملت الإجراءات الرسمية الثمانية التي اتخذها حلف الناتو رداً على الهجمات عملية (مساعدة النسر) (**Eagle Assist**) وعملية (مسعى نشط (**Active Endeavour**)) وهي عملية بحرية في البحر الأبيض المتوسط تهدف إلى منع حركة الإرهابيين وأسلحة الدمار الشامل كما تم تعزيز أمن النقل البحري بشكل عام والذي بدأ في / 4 / تشرين الأول من عام / 2001 / م . وفي / 16 / نيسان من عام / 2003 / م

وافقت منظمة حلف شمال الأطلسي على تولي قيادة القوة الدولية للمساعدة الأمنية (ايساف ISAF) التي تضم قوات من / 42 / دولة . جاء هذا القرار بناء على طلب ألمانيا وهولندا وهما الدولتان اللتان كانتا تقودان ايساف عند إبرام الاتفاقية ووافق عليها جميع سفراء الناتو التسعة عشر بالإجماع . وقد تمّ تسليم السيطرة إلى الناتو في / 11 / آب , وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ الناتو تولت فيها المنظمة المسؤولية عن بعثة خارج منطقة شمال الأطلسي .

كانت القوة الدولية قد كُلفت في البداية بتأمين كابول والمناطق المحيطة بها من طالبان والقاعدة للسماح بإنشاء الإدارة الانتقالية الأفغانية برئاسة حامد كرزاي . وفي تشرين الأول من عام / 2003 / م أذن مجلس الأمن بتوسيع بعثة القوة الدولية في جميع أنحاء أفغانستان وقامت القوة الدولية بعد ذلك بتوسيع نطاق البعثة في أربع مراحل رئيسية في جميع أنحاء أفغانستان . وفي / 31 / تموز من عام / 2006 / م استولت القوة الدولية (إيساف) على عمليات عسكرية في جنوب أفغانستان من تحالف مكافحة الإرهاب بقيادة الولايات الأمريكية وبسبب كثافة القتال في الجنوب سمحت الولايات المتحدة لفرنسا عام / 2011 / بنقل سرب من طائرات / داسو ميراج 2000 / إلى مطار قندهار الدولي من أجل تعزيز جهود التحالف وخلال القمة التي عقدتها المنظمة في شيكاغو / 2012 / م أقر الناتو خطة لإنهاء الحرب في أفغانستان وإزالة القوة الدولية بقيادة الناتو بنهاية كانون الأول /2014/ م وتمّ إلغاء القوة الدولية للمساعدة الأمنية في نفس الشهر والعام ذاته واستعيض عنها ببعثة أخرى .

أما في آب من عام / 2004 / م أي خلال حرب العراق شكلت منظمة حلف شمال الأطلسي بعثة التدريب التابعة للناتو , وهي بعثة تدريب لمساعدة قوات الأمن العراقية بالتعاون مع القوات المتعددة الجنسيات التي تقودها الولايات المتحدة , هدفها تخفيض عدد الجيش العراقي وتغيير العقيدة القتالية لديه والسيطرة على قادة الجيش .أُنشئت هذه البعثة التدريبية بناءً على طلب الحكومة العراقية المؤقتة بموجب أحكام قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم / 1546 / .وكان الهدف من هذا البرنامج المساعدة في تطوير الهياكل والمؤسسات التدريبية لقوات الأمن العراقية . وكانت هذه البعثة تقع تحت السيطرة السياسية لمجلس شمال الأطلسي التابع للناتو . وانصب تركيزها التنفيذي على التدريب والتوجيه . وتم تنسيق أنشطة البعثة مع

السلطات العراقية ونائب القائد العام للولايات المتحدة لتقديم المشورة والتدريب وغادرت البعثة رسمياً في / 17 / كانون الأول من عام / 2011 / م .

اعتبارا من / 17 / آب من عام / 2009 / م نشرت منظمة حلف شمال الأطلسي سفناً حربية في عملية لحماية الحركة البحرية في خليج عدن والمحيط الهندي بحجة وجود قراصنة صوماليين , ودمر الحلف قوارب للصوماليين في آذار من عام / 2010 / م بحجة القرصنة والمساعدة في تعزيز البحرية وخفر السواحل في دول المنطقة , وقد وافق مجلس شمال الأطلسي على العملية التي شملت سفناً حربية من الولايات المتحدة بالدرجة الأولى مع وجود سفن من دول كثيرة أخرى .وتركز عملية درع المحيط على حماية سفن عمليات التحالف التي تقوم بتوزيع المعونة كجزء من بعثة برنامج الأغذية العالمي في الصومال . تسعى العملية إلى ثني ووقف هجمات القراصنة وحماية السفن وزيادة مستوى الأمن العام في المنطقة .

خلال الحرب الأهلية الليبية تصاعد العنف بين المتظاهرين والحكومة الليبية بقيادة العقيد معمر القذافي وفي / 17 / آذار من عام / 2011 / م صدر عن مجلس الأمن القرار / 1973 / الذي دعا إلى وقف إطلاق النار وأذن بالقيام بتحرك عسكري لحماية المدنيين . وقد بدأ التحالف يضم عدداً من أعضاء الناتو في فرض منطقة حظر طيران على ليبيا . وفي / 20 / آذار من العام نفسه اتفقت دول منظمة حلف شمال الأطلسي على فرض حظر على توريد الأسلحة إلى ليبيا ودُمِّرت القوة الجوية التابعة للجيش الليبي من قبل القوات الجوية الفرنسية بالقرب من بنغازي في آذار من نفس العام , وفي / 24 / آذار وافق حلف الناتو على التزام السيطرة على منطقة حظر الطيران في حين ظلت قيادة استهداف الوحدات البرية تتبع قوات حلف الناتو. بدأت قوات حلف شمال الأطلسي تنفيذ قرار الأمم المتحدة رسمياً في 27 آذار/ مارس 2011 بمساعدة القوات الجوية الإماراتية والقطرية ، وبحلول يونيو ، ظهرت تقارير الانقسامات داخل التحالف حيث لم يشارك في العمليات القتالية سوى ثماني دول من بين / 28 / دولة عضواً مما أدى إلى مواجهة بين وزير الدفاع الأمريكي روبرت غيتس ودول مثل بولندا وإسبانيا وهولندا وتركيا وألمانيا للإسهام بشكل أكبر. وفي خطابه السياسي الأخير الذي ألقاه في بروكسل في / 10 / حزيران انتقد غيتس أيضا البلدان الحليفة بالقول إن أعمالهم ستؤدي إلى تفكك الناتو.

وأشارت وزارة الخارجية الألمانية إلى مساهمة ألمانية كبيرة في الناتو وعملياته وإن المشاركة كانت موضع تقدير كبير من قبل الرئيس أوباما .

العرب والاستعمار :

بداية لنعرّف من هم العرب .. فهل العرب هم كما عرَّفتهم معظم كتب التاريخ الغربية , وكتب عربية كُتبت نتيجة التغلغل الثقافي الغربي والتضليل الذي بدأ منذ أكثر من قرنين .. هذه الكتب تقول إن العرب هم سكان شبه الجزيرة العربية وحددوا تلك المنطقة ببلاد الحجاز واليمن والصحراء , ثم قالوا إن قسماً منهم هاجر إلى بلاد الشام والرافدين .. وفي عصر الفتوحات الإسلامية فتح العرب بلاد الشام والرافدين ثم توسعوا ليشكلوا أكبر إمبراطورية في ذلك العصر . مع العلم أن شبه الجزيرة في التعريف العلمي هي منطقة جغرافية يحيطها مياه من ثلاث جهات وتتصل باليابسة عن طريق جبال أو سهول أو وديان مثل بلاد الهند التي تحيط بها المياه من الجهات الثلاث وتتصل باليابسة بواسطة جبال الهمالايا .

إن الحقيقة العلمية تقول : (إن كل رقعة جغرافية طبيعية من خارطة العالم تتمتع بلغة أم واحدة تتفرع منها عدة لهجات) . فعلى سبيل المثال نجد أن جنوب أوروبا أي الدول التي تقع

على ساحل البحر الأبيض المتوسط والتي يقطنها أقوام لاتينيونهي بقعة جغرافية طبيعية لغتها الأم هي اللغة اللاتينية تفرعت عنها عدة لهجات مثل الكاتولونية القديمة والأوكيتانية والغالية وغيرها من اللهجات , ونجد أن سلسلة جبال الألتاي وهي على شكل سلسلة نجمية تفصل بين ثلاث لغات هي كما يلي : اللغة الأولى هي اللغة السلافية ويتكلم بها الشعب السلافي وتفرع عن هذه اللغة لهجات مثل الروسية والبولونية والجورجية وغيرها , أما اللغة الأم الثانية هي اللغة الصينوتيبية وتفرع عنها لهجات مثل الصينية والكورية واليابانية والتيبية وغيرها , واللغة الأم الثالثة هي اللغة الألتية وهي لغة يتمتع بها سكان آسيا الوسطى وتفرع عنها لهجات عدة مثل الأذربيجانية والتونغوزية والتركية والمنغولية وغيرها من اللهجات , أما الرقعة الجغرافية الطبيعية للأمة العربية فهي الرقعة التي حدودها مياه من ثلاث جهات وهي الشرق والغرب والجنوب وهي مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وخليج عدن ودجلة والفرات والمحيط الهندي بينما يحدها من الشمال سلسلة جبال طوروس التي تفصل بينها وبين رقعة جغرافية لغتها الأم هي اللغة الهندوإيرانية التي تسمى زوراً (الهندوأوروبية) وتفرع عنها لهجات عدة مثل الهندية والكردية والأرمنية والفارسية والأوردية وغيرها من اللهجات , أما اللغة العربية الأم فإنها تتفرع إلى لهجات كثيرة منها الآرامية والسريانية والبابلية والتيمية والقرشية والسبئية والكنعانية وغيرها.

لم تبق اللهجات على حالها عبر الزمن ,بل لم تبق حتى اللغات الأم على حالها أيضاً بل خضعت إلى عامل التطور ,ومن جهة أخرى إلى عامل التلاقح والتزاوج بين اللهجات واللغات الأم الأخرى سواء اللهجات التي تنتمي إلى نفس الأسرة (اللغة الأم) أو التي لا تنتمي إلى الأسرة نفسها وذلك عن طريق الهجرات والغزوات والاحتلالات , فلم تبق ولا أي لغة ولا حتى أي لهجة نقية لا يشوبها كلمات وافدة من خارجها , وكانت تنتصر اللغات أو اللهجات الأكثر حيوية أي التي يملك أصحابها روحاً حية , وهذا نجده في جميع أنحاء العالم تقريباً , ولتوضيح المشهد بشكل جلي لا بد من التوسع قليلاً .

انتشرت اللغة اللاتينية في أوروبا بسبب توسع الإمبراطورية الرومانية مع العلم أن منشأ اللغة اللاتينية هي ليتيوم وسط إيطاليا , واستطاعت أن تقضي على اللهجات واللغات غير الحية وتؤثر في اللغات واللهجات الحية التي بقيت تستخدم عند الأقوام الأخرى , وعندما بدأت

إمبراطوريتها بالأفول بسبب ضعفها وذلك في القرن الخامس ميلادي , استطاعت أقوام أخرى ناشئة تملك روحاً حية تبحث عن مجد لها أو عن ثروات أن تغزو الإمبراطورية الرومانية في عقر دارها , فدخلت أوروبا أقوام كثيرة مثل (القوط الغربيين والقوط الشرقيين والهون واللمبادر والنورمانديين والأنجلو والسكسون والفرنجة والجرمان والوندال وغيرهم) وكانت كل هذه الأقوام وثنية . استطاع كل قوم من هذه الأقوام أن يستوطن ويستقر في رقعة جغرافية من أوروبا ويندمج مع السكان الأصليين ويتزاوجون من بعضهم مما أدى إلى تغيير في أمور كثيرة أهمها أن الغازي تخلى عن معتقداته واعتنق الديانة المسيحية , بينما بدأت تظهر في كل بقعة جغرافية لغات حية جديدة مثل (الإنكليزية والفرنسية والإيطالية والاسبانية الحالية وغيرها) , ثم بدأت هذه اللغات الحية تتطور وتأخذ شكلها النهائي ورغم ذلك نجد أنها تتلاحق من جديد مع لغات حية أخرى وتتطعم بكلمات دخيلة , ومن أهم عوامل التلاقح هو الغزو الثقافي الذي أهم أسبابه تفوق حضارة على أخرى وإنتاجها أشياء لم تكن موجودة من قبل فعلى سبيل المثال نجد حالياً أن اللغة العربية بسبب تخلفها لأن حضارتها أصبحت حضارة قديمة بالية بائدة لا تغني ولا تسمن من جوع وشعبها لا يملك حيوية لأن روح الأمة مهزومة أو على الأقل غافية , بدأت تستخدم كلمات عدة مستوردة من لغات حية أخرى , وحصل الشيء نفسه عندما كانت الحضارة الإسلامية هي حضارة المركز فقد استطاعت أن تغزو اللغات الأخرى وتؤثر فيها , فعلى سبيل المثال نجد أن أوروبا كانت ولا زالت تستخدم كلمات أصلها عربية مثل (قطن , سكر ....) كلمات كثيرة راجع كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) للكاتبة الألمانية زيغرد هونكه .

لو درسنا اللغة الإنكليزية التي تعد حالياً من أكثر اللغات الحية على مستوى العالم لرأينا أنها تطورت عبر مراحل , المرحلة الأولى هي التزاوج بين لهجات عديدة منها لهجات الأنجلو والسكسون والكلتيون والبريتونيون واللاتينية فتأسست اللغة الإنكليزية القديمة والتي بدأت منذ القرن السادس ميلادي حتى القرن الحادي عشر , وعندما دخلت شعوب الفايكنغ (النورمانديين) والتي لغتهم الأم اللغة الرَونية بدأت تتشكل لغة مختلفة كثيراً عن اللغة الإنكليزية السابقة وفيها أضيفت كلمات فرنسية كثيرة بسبب انتشار اللغة الفرنسية في القارة الأوروبية بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية لدرجة أن الإنسان الإنكليزي الحالي يعجز عن فهم اللغة الإنكليزية الأولى واستمرت هذه اللغة من القرن الحادي عشر حتى القرن الخامس عشر وفي هذا القرن بدأت

تتبلور اللغة الإنكليزية بسبب انتشار الأدب الإنكليزي فظهرت اللغة الإنكليزية الحديثة المبكرة وبقيت على حالها حتى القرن الثامن عشر ميلادي وفي هذا القرن تأصلت اللغة الإنكليزية وأصبحت لغة حية وهي لا تزال تتطور وخاصة في أمريكا حيث بدأ بعض علماء اللغة بأمريكا بتطويرها وذلك في القرن العشرين .

نحن لا نعلم ما هي اللغات الأم لكل من قارة أفريقيا والأمريكيتين وأستراليا لعدة أسباب أهمها أن معالم لغتها الأم وثقافتها طمستا بسبب التأخر الحضاري والاحتلال الأوروبي الذي صبغ تلك الرقع الجغرافية بثقافته , لكننا نستطيع الوصول إلى الحقيقة عن طريق البحث العلمي والعمل المضني لأن بقايا ثقافتهم ضحلة , ومن جهة أخرى استطاع الغازي تغيير معالم شخصية إنسان تلك البقع الجغرافية , فقد استطاع الغرب (الأوروبيون) احتلال كل من جنوب ووسط إفريقيا,حيث بدأ غزوها منذ القرن الخامس عشر واستطاع أن يفرض ثقافته ولغته فيهما عدا البقع التي كانت تملك ثقافة متقدمة مكتوبة مثل أثيوبيا لأنها كانت تكتب اللغة الأمهرية وسيشل فقد كانت تكتب السيشلية وأفريقيا الوسطى لأنها كانت تكتب بلغة الباندوا ونستطيع من خلال تلك اللهجات أو اللغات ومن خلال البحث الأثري الميداني التعرف على اللغات الأم لأفريقيا من خلال تقسيمها إلى بقع جغرافية طبيعية , وكما فعل الغرب في إفريقيا عاد الكرة في الأمريكيتين وأستراليا , ونجد في قارة استراليا أن ناورو فقط استطاعت أن تحافظ على لهجتها لأنها البقعة الوحيدة التي كانت تملك حضارة . واستطاع العرب قديماً (في الألف الثاني قبل الميلاد) غزو شمال إفريقيا على شكل هجرات عائلية فأصبحت خليطاً من السكان الأصليين والعرب وبسبب التفوق الثقافي للعرب في ذلك العصر اكتسب الأفارقة لغة العرب واندثرت معظم لهجاتهم في العديد من مناطق شمال إفريقيا بينما حافظ بعض البربر وقبائل أخرى على لهجاتهم بشكل محكي غير مكتوب .

أحب أن أوضح هنا قضية شديدة الخطورة وأرجو أن يلاحظها العالم وأصحاب القضية وهي أن الغرب في الوقت الحالي يعمل على مشروعين خطيرين يأمل أن يستفيد منهما في المستقبل القريب , الهدف منهما هو خلق عدوين جديدين للأمة العربية كانا حليفين له هما الأمازيغ والأكراد .أما بالنسبة للأكراد فهم ليسوا عرباً ولم يكونوا يوماً من الأيام من أصحاب هذه الأرض , إن أرضهم الأصلية هي تركيا الحالية لأن لهجتهم هي فرع من فروع اللغة الهندوإيرانية وهي

اللغة الأم لرقعة جغرافية تمتد من الهند مروراً بإيران وتركيا وصولاً إلى أرمينيا , بينما الأتراك الحاليون أصلهم من آسيا الوسطى لأن لهجتهم من إحدى فروع اللهجة الألتية . يُصدر أعداء أمتنا وأعداء البشرية سنوياً آلافاً مؤلفة من الكتب المزورة التي توهم القارئ أن الأكراد هم من سكان الرقعة الجغرافية العربية , وقد استطاعوا أن يقنعوا الأكراد بذلك ويدغدغوا مشاعرهم ويلعبوا على غريزتهم كعادتهم .

أما بالنسبة لقضية الأمازيغ التي بدأت تظهر حديثاً – مع العلم أن كلمة أمازيغ هي كلمة مستحدثة من اختراع الغرب – هي قضية قديمة حديثة في آن معاً , حيث فشلت قديماً أثناء الاحتلال الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر , ثم عادت تفعّلها منذ القرن العشرين لتشرخ بين العرب والبربر فبدأت تقنعهم أن العرب هم ليسوا سكان المنطقة بل احتلوها بعد انتشار الإسلام ليجعلوا منهم أعداء , ففي عام / 1966 / م , أسس اليهودي جاك بينت أكاديمية للبربر في باريس تحت اسم (الأكاديمية الأمازيغية) وقد تم من خلالها تأسيس وتأليف ثقافة خاصة للبربر وعملوا منذ البداية على معايرة الخط المعروف بتيفيناغ من أجل الدفاع والنهوض بالثقافة البربرية (الأمازيغية) , وفي عام / 1967 / م تمّ تغيير اسم الأكاديمية إلى أكراو ايمازيغن أي التجمع الأمازيغي , كما قامت الأكاديمية بتأليف قاموس لغوي خاص بالبربر كُتبت مقدمته باللغة الفرنسية جاء فيها : (إنهم يرون العناية بتطهير لغتهم باستعارة كلمات من الأجنبي أو من البربرية بكلمات يرونها بربرية أصيلة لا تعرفها القبائلية . وعلى كل فإن بعض هؤلاء المؤلفين يرون ضرورة خلق كلمات جديدة , وهذا معناه أسلوب في إحداث مفردات جديدة في اللغة أو ما يسمى بالنيولوجية . إن هذه الكلمات المخلوقة لا مكان لها في قاموسنا . وهذا الرأي يبدو لنا جديراً باحترام اختيار ما يراه القبائل أنفسهم) , لقد تمّ في القاموس استبدال كل ما هو عربي بكلمات لا علاقة لها باللهجات البربرية ذاتها لدرجة أن البربري لا يعرف معناها ومنها (الحرية : ثِلّي – الشهيد : أمَغْراسْ – تحية السلام فَلاً وَنْ : أزّولْ فلاون – الله : يِلّو – الرئيس : أسَلْوايْ) . استطاعت الأكاديمية أن تصنع أبجدية أمازيغية اعتماداً على رموز التيفيناغ المستعملة عند بربر الطوارق والقبائل وبربر المغرب ومن الحروف اللاتينية وقد تمّ استخدام هذه الأحرف في التعليم في ليبيا , كما استطاعوا أن يضعوا تقويماً خاصاً لهم سموه التقويم الأمازيغي , وفي عام / 1971 / م صمم جاك بينت عَلَماً خاصاً بهم , حيث اعترف

البربري (محند أعراب مسعود) وهو من مؤسسي الأكاديمية البربرية في باريس صراحة حيث قال في كتابه (تاريخ الأكاديمية البربرية) : (إذا كان من واجب إخواني البربر أن يذكروني يوماً وفاء ورغبة في تشريف اسمي أطالبهم وأحثهم أن يقرنوه باسم جاك بينات , لأن لولا مساعدة هذا الصديق الكبير للبربر ما كانت خطة عملي لصالح هويتنا أن تحقق هذا النجاح الذي عَرَفَته , لذا يجب من العدل أن نقول جملة واحدة محند أعراب يساوي جاك بينات) , كما استخدموا الرموز القديمة ليثبتوا أن الشعب الأمازيغي شعب متحضر منذ القدم , واستطاعوا أيضاً أن يقنعوهم بأن الشعب الأمازيغي لا يملك بقعاً جغرافية متناثرة هنا وهناك بل هم أصحاب قارة خاصة بهم حدودها من دلتا النيل في مصر إلى جزر الكناري غرباً ومن البحر الأبيض المتوسط حتى تخوم الصحراء في مالي والنيجر وبوركينافاسو جنوباً وهذه الرقعة الجغرافية الشاسعة أطلقوا عليها اسم(تمازغا) , وفي مؤتمر تافيرا بجزر الكناري تمّ تطوير العلم الأمازيغي ليتناسب مع تلك القارة المزعومة فأعطوه أربعة ألوان ليدل كل لون على مدلول ما فالأزرق يدل على البحر الابيض المتوسط , والأخضر يدل على السهول والجبال , والأصفر للدلالة على الصحراء والأحمر للدلالة على الدماء التي سالت في سبيل تحرير هذه الأرض ووضعوا في منتصفه رمزاً قديماً كان يدل على الشيطان . وبعد أن أسست الأكاديمية كل ذلك وأكثر بدأت تقيم الندوات والمحاضرات وتدعو كل الأفارقة الذين حافظوا على لهجاتهم البربرية القاطنين في قارة تمازغا المزعومة فاستطاعوا أن يجيشوا عواطفهم ويخلقوا لهم قضية تستحق النضال من أجلها ودعموهم بالسلاح والأموال فكانت ثورات سميت (الربيع الأمازيغي) وذلك عام / 1980 / م , ورُفع فيه العلم لأول مرة في الجزائر , كما رفع العلم الأمازيغي في ليبيا أثناء ثورات الربيع العربي المزعوم وقد رفعوه ضد الدولة الليبية ليحركوا عواطف البربر ضد العرب في كل من أفريقيا والعالم كما تم تأسيس هيئة عليا للأمازيغ أطلق عليها اسم الكونغرس العالمي الأمازيغي وذلك عام / 1995 / م , وفي عام / 1996 / م تبنى الكونغرس رسمياً العلم وجعله علماً لأمازيغ العالم الذي وطنه (تامزغا) المزعوم .

قبل عام / 1830 / م لم يكن الجزائريون يعرفون شيئاً اسمه البربرية , حيث بدأت الأمور تتغير بعد وصول الفرنسيين إلى الجزائر وبدأوا سياسة جديدة تتمثل في التمييز بين الناطقين باللغة العربية والناطقين بالبربرية وفق نظرية فرق تسد , وقد فضح الباحثان (فيليب لوكا) و

(جون كلود فاتان) في كتابهما (جزائر الأنثروبولوجيا) هذه السياسة بتفاصيل دقيقة , وهناك عشرات الكتب التي تطرقت إلى هذا الموضوع . ومن جهة أخرى قاموا بمحاربة اللغة العربية والتضييق عليها منذ البداية باعتبارها لغة الإسلام الذي يرونه عدوهم الأبدي وقد أقر بذلك غلاة الاستعمار أنفسهم وهم كثر ومنهم (جاك شوفالي)الذي قال : (إن تعليم اللغة العربية بالإكراه يعني دفع المسلمين أكثر فأكثر إلى الإسلام وتمكين العلاقة مع الجامعة العربية وذلك يعني إدخال البربر تحت سلطة الإسلام عن طريق اللغة العربية) كما صرح (يوتي) : (اللغة العربية هي عامل الأسلمة , لأنها لغة القرآن , ومصلحتنا تستلزم أن نخرج البربر من إطار الإسلام كإحدى الأدوات , لذلك علينا ربط البربرية بالفرنسية , لهذا نحن بحاجة إلى المتبربرين , وينبغي أيضاً إنشاء المدارس الفرنسية البربرية) . فعملوا على إحياء وبعث اللهجات الشفوية المحلية والاهتمام بها . وعبر الدوق (دوروفيكو) بقوله: (إن المعجزة الحقيقية التي يمكن صناعتها في الجزائر هي إحلال اللغة الفرنسية شيئاً فشيئاً محل اللغة العربية) . إن الغرب يحقد على كل عربي وكل مسلم بشكل لا مثيل له , وتعني كلمة عربي عند الغربي كلمة مسلم مثل كلمة غربي التي تعني عنده مسيحي , ففي عام / 1933 / م خطب زعيم المبشرين زويمر في مؤتمر القدس قائلاً : (إن مهمتكم هي إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله , وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها , وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية. هذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السابقة خير قيام . لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية , ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية , تلك التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية . أنتم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل تمهيد . إنكم أعددتم شباباً في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها , وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية . وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار , لا يهتم للعظائم , ويحب الراحة والكسل , ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات , فإذا جمع المال فهي من أجل الشهوات , وإن تبوأ أسمى المراكز فهي في سبيل الشهوات , وفي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك).

بتاريخ / 1843 / م ورد في الجريدة الرسمية للدولة الفرنسية في عددها الصادر في 15 / 2 / 1843 م قرار بتخصيص / 300 / ألف فرنك فرنسي لتشييد مدارس لقبائل جرجرة و / 1000 / فرنك فرنسي لفتح تخصص لتدريس اللغة البربرية بدلاً من العربية , وفي سنة /1856/ م أمر الجنرال الفرنسي المارشال جون بابتيست المستشرق (جيسلان) بإعداد تقرير مفصل عن اللهجات الشفوية المستخدمة في الجزائر وفي 20 /12/ 1875 م أنشأت سلطات الاحتلال الفرنسي مدرسة اللغات والقانون والعلوم في عهد الوزير الاستعماري جون ديراندو قامت بتسييس اللهجات المستخدمة بغرض تحويلها إلى لغات حية , فقامت بتاريخ / 28 / 7 / 1885 / م باستحداث شهادة في اللغة القبائلية وخصصت / 300 / فرنك سنوياً كمنحة لكل طالب . وبتاريخ 27 / 12 / 1887 م استحدثت شهادة أخرى تحت مسمى دبلوم اللغة البربرية . وفي عام / 1909 / م وخلال المؤتمر العالمي للدراسات العليا المنعقد في باريس صرح عالم اللسانيات المعروف (بول بوير) رئيس لجنة اللغات الشرقية أن الحكومة الفرنسية لا تعير اللغة العربية أي اهتمام في مستعمراتها لكنها تهتم باللغة البربرية وتعمل على تعميمها . وفي 30 / 4 / 1929 م أوصت اللجنة المالية الفرنسية بمضاعفة ميزانية تعليم البربرية , وفي العام نفسه دعا المستشرق لويس ماسينيون إلى الكتابة بالعامية والتدريس بها , وفي / 1930 / م صدر مرسوم موقع من طرف رئيس الجمهورية الفرنسية ينص على استحداث تخصص في التعليم العالي في اللغة البربرية وحضارتها في كلية اللغات في جامعة الجزائر تحت مسمى (قسم اللغة والحضارة البربرية) واستحدثت فيه دبلوم اللغة البربرية الموحد , وفي عام / 1936 / م صدر قرار يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر , وفي عام / 1938 / م صدر مرسوم ينص على حظر استخدام اللغة العربية وتدريسها فأغلقت الكتاتيب القرآنية والمدارس العربية وتمّ إحداث كرسي جديد لتدريس العامية الجزائرية باسم كرسي العربية الحديثة . وفي عام/ 1949 / م وجّه ضابط المخابرات (شون) والسياسي (جاك شوفالي) لتأسيس ما يعرف بحزب الشعب القبائلي الذي كان أعضاؤه من منطقة القبائل الأكثر تخلفاً بين البربر ولم ينضم إليه أي بربري من غير تلك المنطقة وفي عام / 1956 / مصرح الحاكم العام للجزائر (إن المسألة البربرية هي مسألة قبائلية لأن المنطقة أكثر انفتاحا على الحركات الخارجية من منطقة الأوراس وباقي المناطق وينبغي الإعداد للمستقبل , لأن المسألة البربرية تطرح اليوم في الجزائر والمغرب الأقصى) .

ولتسليط الضوء أكثر على القضية البربرية أود أن أُدرج في كتابي هذا مقالتين لباحثين بربريين وطنيين هما الدكتور (عثمان السعدي) و (عبد السلام أجرير) .

مقالة الدكتور عثمان السعدي عنوانها (عروبة اللغة الأمازيغية وإيديولوجية النزعة البربرية الاستعمارية) :

قبل دخول المستعمر الفرنسي المغرب العربي ابتداء من الجزائر عام / 1830 / م لم يكن هناك أمازيغي واحد قال بأنه أمازيغي وليس عربياً أو طالب باعتماد اللغة الأمازيغية بدل اللغة العربية. فحتى قبل الإسلام كانت توجد بالمغرب العربي لغة فصحى عروبية مكتوبة هي الكنعانية , محاطة بلهجات شفوية أمازيغية عروبية قحطانية وبقيت مدة سبعة عشر قرناً, وعندما جاء الإسلام حلت العدنانية التي نزل بها القرآن الكريم محل اللغة الكنعانية. واستمر المغاربة يتعاملون مع العربية كلغتهم وساهموا في تطويرها , مثل صاحب كتاب الأجرومية ابن أجرّوم العالم الأمازيغي من المغرب الأقصى المتوفى سنة / 672 / هـ وابن معطي الزواوي الأمازيغي من بلاد القبائل المتوفى سنة / 628 / هـ الذي نظم النحو العربي في ألف بيت سابقاً ابن مالك بقرن الذي توفي سنة / 730 / هـ والذي اعترف بفضله في السبق قائلاً :

وتقتضي رضىً بغيرِ سُخْطِ فائقةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِ

وَهْوَ بِسَبْقٍ حائِزٌ تفضيلاً مستوجِبٌ ثنائِيَ الْجميلا

والشاعر الأمازيغي البصيري وهو من القبائل من مدينة دلّس المتوفى سنة / 695 / هـ بالقاهرة صاحب قصيدة البُردة المشهورة التي نسج على منوالها العديد من الشعراء ومنهم شوقي .

ما إن وصل الفرنسيون حتى راحوا ينشرون الأكاذيب بين البربر مدعين بأنهم غير عرب ويوغلون صدور البربر ضد العرب , لكن سياستهم فشلت طوال القرن والثلث القرن من استعمارهم . وقد ركزوا على منطقة القبائل التي كانت تسمى قبل احتلالهم زواوة , لقربها من العاصمة حيث يتجمع بها معظم الاستيطان الفرنسي ,وراحوا ينشرون بها الفرنسية والتنصير , لكنهم جوبهوا بمقاومة شرسة من قادة زواوة الأشاوس. وتشير إحصائية / 1892 / م إلى أن المدارس الفرنسية المخصصة للجزائريين بمنطقة القبائل كانت تمثل / 34 % / من سائر المدارس

بالقطر الجزائري علماً أن هذه المنطقة هي ولايتان من / 48 / ولاية . فالكابتن لوغلاي المشرف على التعليم في الجزائر يخطب في المعلمين الفرنسيين في بلاد القبائل في القرن التاسع عشر فيقول : (علموا كل شيء للبربر ما عدا العربية والإسلام) . ويقول الكاردينال لافيجري في مؤتمر التبشير المسيحي الذي عقد سنة / 1867 / م في بلاد القبائل : (إن رسالتنا تتمثل في أن ندمج البربر في حضارتنا التي كانت حضارة آبائهم . ينبغي وضع حد لإقامة هؤلاء البربر في قرآنهم , لا بد أن تعطيهم فرنسا الإنجيل , أو ترسلهم إلى الصحراء القاحلة بعيداً عن العالم المتمدن)

أجبر الفرنسيون ملك المغرب سنة / 1930 / م على إصدار الظهير البربري وهو مرسوم ملكي يعترف فيه للبربر بأن لا تطبق عليهم الشريعة الإسلامية في الأحوال الشخصية , وإنما يطبق عليهم العرف البربري فتصدى زعماء البربر أنفسهم عندما توجه شيوخ قبائل آيت موسى وزمّور إلى فاس وأعلنوا أمام علماء جامع القرويين رفضهم للظهير البربري كما قام الفرنسيون بتأسيس الأكاديمية البربرية بالمغرب هدفها إحياء اللغة البربرية بالحرف اللاتيني لضرب اللغة العربية , ووضع المستشرق الفرنسي (جود فري دي مونييه) مستشار التعليم في المغرب خطة مفصلة لهذا الغرض سنة / 1914 / م . وفي سنة / 1929 / أقامت الإدارة الفرنسية كلية بربرية في أزرو لإعداد حكام لتولي إدارة المناطق البربرية مبنية على التنكر للعروبة وصنع أحقاد بين البربر والعرب وفشلت في هدفها لأن معظم خريجيها صاروا من المناضلين الأشداء ضد الاستعمار الفرنسي. ومع استقلال القطرين المغرب والجزائر تمكن الفرنسيون كما سنبين من صنع عملاء بربريين استخدموهم لتحقيق مصالحهم .

ينبغي التفريق بين البربرية والنزعة البربرية ، فالأولى عنصر من عناصر تاريخنا كشمال إفريقيين , والثانية إيديولوجية صنعها الاستعمار الفرنسي لضرب الوحدة الوطنية وصنع الفرقة بين العرب العدنانيين والأمازيغ القحطانيين.

في أربعينيات القرن العشرين عُين حاكم عام بالجزائر هو شاتينيون , ورأى أن أخطر حزب هو حزب الشعب الجزائري , وأن قمعه يزيد شعبيته وأن الوسيلة الناجعة هي تدميره من الداخل عن طريق النزعة البربرية فأوحى إلى عملاء المخابرات الفرنسية بالحزب أن يحركوا المسألة

البربرية وانطلق بعضهم من معهد المعلمين ببوزريعة فنشروا منشوراً هاجموا فيه العروبة وانتقدوا مفهوم الوطنية للحزب المبنية على العروبة والإسلام ورفعوا شعار الجزائر بربرية ,فواجهت قيادة الحزب بحزم وفصلت رؤوس الفتنة , حيث انضم أحدهم للحزب الشيوعي الجزائري وصار زعيماً له , أما حسين آيت أحمد فقد أوقفته القيادة عن ترؤسه التنظيم العسكري الخاص السري للحزب. وخير من وضح هذه المؤامرة هو ابن يوسف بن خدة في كتابه الذي خص لها فصلاً عنوانه (المؤامرة البربرية) وعندما استقلت الجزائر استمر حسين آيت أحمد في معاداته للغة العربية , وقاد مظاهرة في العاصمة في 27 /12/ 1990 م ضد قانون تعميم استخدام اللغة العربية وتعميمها .

إن قيام الثورة الجزائرية جعلت فرنسا تقرر منح الاستقلال لتونس والمغرب لتتفرغ لمواجهة الثورة الجزائرية , فراح مفكروها الإستراتيجيون يرسمون الخطط في التعامل مع دول المغرب العربي المستقلة , وفي عام / 1956 / م ظهر كتاب من تأليف الجنرال أندري عضو أكاديمية العلوم الاستعمارية جاء فيه : (من المحتمل أن يأتي يوم تهب فيه الأمة المغربية البربرية لإحياء وعيها القديم بذاتها وترفع فكرة الجمهورية البربرية إذا سادت فكرة الدولة التيوقراطية العربية في المغرب الأقصى) . وينتقل الجنرال إلى الحديث عن الجزائر فيقول : (إن المسألة البربرية في الجزائر مسألة قبائلية فمنطقة القبائل أكثر انفتاحا على الحركات الخارجية من منطقة الأوراس , وينبغي الإعداد للمستقبل لأن المسألة البربرية تطرح الآن في الجزائر وفي المغرب الأقصى) .

ما إن استقلت الجزائر حتى راح الفرنسيون يعملون لتطبيق خطتهم البربرية , فأسسوا الأكاديمية البربرية في جامعة باريس بعد عشر سنوات من صدور كتاب الجنرال أندريو قامت بإعداد العشرات من حاملي الماجستير والدكتوراه في اللغة البربرية أشهرهم سليم شاكر وربطتهم بأجهزة الاستخبارات الفرنسية وراحت تعمل لصنع ضربة للعربية من البربرية لتدخلا في صراع بينهما من أجل بقاء هيمنة اللغة الفرنسية على دول المغرب الأربع. قام هؤلاء الخريجون مع أساتذتهم بعملية تطهير للهجة القبائلية التي اعتمدوها كلغة بربرية من الكلمات التي بها رائحة العروبة والإسلام , فقد كانوا يستبدلون الكلمات بطريقة فجة جعلت علماء لغويين فرنسيين

يحتجون على هذه العملية مثل الأب داليه الذي ألف عام / 1982 / م قاموساً يثبت فيه أن البربرية ذات جذور عربية .

كان العملاء يغيرون كلمات اللهجة القبائلية التي كتبوها باللاتينية , فمثلاً غيروا تحية الإسلام (السلام فلاّون) التي يستعملها الأمازيغ في سائر لهجاتهم بما فيها القبائلية بعبارة (آزّول فلاّون) مع العلم أن كلمة آزول لا وجود لها في قاموس سائر اللهجات الأمازيغية بل توجد كلمة قريبة لها وهي آزّو وتعني الشوك.

في سنة / 1996 / م رأت الأكاديمية البربرية بفرنسا ألا أمل في نجاح النزعة البربرية ما لم ينضم لها الشاوية بجبال الأوراس , فقرر ما يسمى بالكونجرس البربري عقد ندوة دولية بربرية يشارك فيها ألفان من مختلف أنحاء العالم في مدينة باتنة عاصمة الأوراس , وقد سهل مهمة عقد المؤتمر أحمد أو يحي الذي كان رئيس ديوان رئيس الجمهورية , فكتبتُ مقالاً كأمازيعي شاوي وكرئيس للجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية في أسبوعية الشروق العربي عنوانه : (هل تنجح الأكايمية البربرية بباريس في ترويض الأوراس الأشمّ) , فقرأ الشاوية المقال وتجمع ستون من ضباط جيش التحرير الوطني في باتنة ووقعوا على لائحة ترفض عقد المؤتمر بباتنة , ونزل لباتنة من قرى جبال الأوراس مجاهدون وقابلوا والي باتنة السيد جباري ليقولوا له : (إذا أصرّت الحكومة على عقد هذا المؤتمر الذي سيشارك فيه ألفا عدو للعربية فلتحفر ألفي قبر يدفنون فيها بالأوراس) فأمر الرئيس اليمين زروال بإلغاء المؤتمر . ورفعت المحافظة السامية للأمازيغية التابعة لرئاسة الجمهورية دعوى ضدي بتهمة إفشال المؤتمر وأن أدفع أربعة ملايين دينار المصاريف التي أنفقتها الدولة لإعداد المؤتمر وصرح رجل أعمال كبير قائلاً : (حساب مفتوح ينبغي الحكم على عثمان السعدي) وحكمت علي المحكمة الابتدائية بحسين داي بالتغريم فحذف القاضي ثلاثة أصفار مكتفياً برقم ثلاثة آلاف دينار ظاناً أنني سأقبل الحكم لكنني أصررت على استئناف الحكم , فتطوع / 74 / محامياً من مختلف أنحاء القطر للدفاع عني , وعبَّر محامون من أقطار عربية عن رغبتهم في الدفاع عني . كانت المحاكمة مشهودة انتهت بتبرئتي, حيث جند البربريون المئات وحاصروا المحكمة التي فرضت عليها قوات الأمن طوقاً , وحضر جلسة المحكمة الشيخ عبد الرحمن شيبان القبائلي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مسانداً لي وصدر الحكم بتبرئتي , ومن الغريب أن القاضي الذي حكم عليّ عربي

, والقاضي الذي برّأني أمازيغي . لقد ألقيت أمام محكمة الاستئناف مرافعة طويلة بينت فيها عروبة الأمازيغ ولا وطنية دعاة النزعة البربرية والتي نشرت بالعديد من الصحف الجزائرية والعربية وأدرجت ضمن كتاب (الجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية : خمس عشرة سنة من النضال في خدمة اللغة العربية) الصادر سنة / 2005 / م

عروبة الأمازغية : الأمازيغ البربر هاجروا قبل آلاف السنين من الجزيرة العربية مع بداية المرحلة الدفيئة الثالثة , فقد زحف الجفاف على الجزيرة العربية بعد أن كانت تتمتع لمدة عشرين ألف سنة قبل هذا التاريخ بمناخ رطب شبيه بمناخ أوروبا الآن بحيث كان يشقها نهران من الشمال إلى الجنوب , فتكونت أول حضارة بشرية بها على الزراعة وتدجين الحيوان . وعندما زحف الجفاف على الجزيرة العربية وذاب الجليد في أوروبا وشمال إفريقيا ، انتقل الإنسان العربي بحضارته إلى وادي الرافدين , فوادي النيل بعد أن انحسرت المستنقعات في مجار بالأنهر الثلاثة , يقول ول ديورانت : في كتابه الموسوعي قصة الحضارة : (إن الحضارة وهي هنا زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة في بلاد العرب ثم انتشرت منها في صورة مثلث ثقافي إلى ما بين النهرين سومر وبابل وأشور ، وإلى مصر) وبطبيعة الحال انتقلت اللغة العربية وتفرعت إلى لهجات مرتبطة باللغة الأم بعد أن اكتسبت خصائص محلية . لقد حدثت هجرات عديدة لم يسجلها التاريخ , والذي سجله التاريخ هو هجرة الكنعانيين في منتصف الألف الثانية قبل الميلاد للمغرب , حيث أخرجوا بني عمومتهم الأمازيغ من العصور الحجرية وأدخلوهم التاريخ , وتكونت قرطاج التي هي كنعانية أمازيغية وصارت اللغة الكنعانية الفصحى المكتوبة محاطة بلهجات أمازيغية قحطانية شفوية يقول المستشرق الفرنسي هنري باسيه (إن البونيقية لم تختف من المغرب إلا بعد دخول العرب ، ومعنى هذا أن هذه اللغة بقيت قائمة هذه المدة سبعة عشر قرناً بالمغرب , وهو أمر عظيم) .

دمر الرومان قرطاج سنة / 146 / ق.م واستعمروا المغرب هم والوندال والبيزنطيون ثمانية قرون دون أن يؤثروا في الذات المغربية ولم يتركوا في الأمازيغية كلمة واحدة , لم يتركوا سوى حجارة صماء , بينما استمر العروبيون الأمازيغ يمارسون الثقافة الكنعانية باللغة الكنعانية المكتوبة ويعبدون آلهة كنعان ويستعملون لغة كنعان في دواوين دولهم.

التشابه بين حياة العرب وحياة الأمازيغ : أفضل من أوجز التشابه بين العرب والأمازغ هو ابن خلدون حيث قال : (يتخذون البيوت من الحجارة أو الطين ومن الخوص والشجر ومن الأشعار والوبر ويظعن أهل العز والغلبة لانتجاع المرعى فيما بين الرحلة ولا يجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفر الأملس ومكاسبهم الشاة والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب , ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين من أهل الانتجاع والأظعان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف) وقد زرت مضارب القبائل العربية ببادية الشام في سبعينيات القرن العشرين حيث قبائل شمّر وعنيزة وروَلة ودرست حياتها الاجتماعية فوجدت تطابقاً كاملاً بينها وبين الحياة في قبيلتي النمامشة الأمازيغية فصناعة السمن الذي يسمى عند القبائل العربية الدهن وعند قبيلة النمامشة الأمازيغية الدهان يصنع بنفس الأسلوب يبدأ من تخزينه في جلد الضأن لينتهي في جلد ماعز يسمى العُكّة. وطريقة تجبين الحليب وإعداد مادة في معدة الخروف الرضيع التي تسمى المنفاح أو المنفح وتسمى هذه المادة عند البربر الدوث وعند العرب الدور , وطريقة إعداد الخيمة وتسمية أجزائها متشابهة ,وتربية الأغنام بنفس الأسلوب ,وتسمية الحبل الذي يشد به الخروف الرضيع تسمية واحدة لدى الطرفين وهو الرّبق , إلى آخره من جزئيات الحياة الاجتماعية لمستها لدى الطرفين .

اللغة الأمازيغية لغة مثل اللغات التي تفرعت عن اللغة العربية الأمّ قبل آلاف السنين مثل الأكدية والبابلية والأشورية والكنعانية التي نزلت بها التوراة ,والآرامية التي نزل بها الإنجيل والعدنانية التي نزل بها القرآن الكريم والحميرية وغيرها بل إن اليونانية والفارسية مشتقتان من العربية اللتان اختلطتا أيضا بعناصر من الهندو أوروبية التي انتشرت بأوروبا ووصلت هضبة فارس مؤخراً في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد بل إن أوروبا كانت تتكلم اللغات العروبية (السامية وهو مصطلح غير علمي) قبل انتشار القبائل الهندو أوروبية فيها , وقد وضع العالم اللغوي الجزائري عبد الرحمن بن عطية ذلك في كتابه الصادر بالفرنسية سنة / 2008 / م تحت عنوان :

(العرب والهندو أوروربيون : هل تكلم الهندو أوروبيون العربية ؟) .

الأمازيغية هي اللغة الوحيدة العروبية الباقية حية مستعملة شفوياً ومنها نستطيع التعرف على جذورنا العربية كعرب , فمثلا المرأة تسمى بالأمازيغية تامطّوث جذرها طمث ، والطمث العادة الشهرية للمرأة , أي المرأة الطّامث التي عليها العادة الشهرية , وفي رأيي أن التسمية الأمازيغية هي التسمية الأولى بالعربية للمرأة , أي الكائن البشري الذي يحيض قبل أن تتطور إلى اسم المرأة .

اللغة الأمازيغية لغة عروبية قاموسها متكون من الكلمات العاربة والمستعربة ومستمدة من الحميرية اللغة العاربة , والقحطانية هي العمود الفقري للغتين الحميرية والأمازيغية وفيها وزن أفعول , وللقاضي اليمني الأكوع له دراسة عنوانها (وزن أفعول في اللغة الحميرية) , وهذا الوزن غير موجود في اللغة العدنانية التي نزل بها القرآن الكريم . أما الأمازيغية فيها هذا الوزن مثل أغروم أكسوم , والذي لا ينكر عروبتها حتى المستشرقون النزيهون مثل جابريال كامبس في كتابه (البربر ذاكرة وهوية) يقول فيه : (إن علماء الأجناس يؤكدون أن الجماعات البيضاء بشمال إفريقيا سواء كانت ناطقة بالبربرية أو بالعربية تنحدر في معظمها من جماعات متوسطية جاءت من الشرق في الألف الثانية بل قبلها وراحت تنتشر بهدوء بالمغرب والصحراء) . ويقول المؤرخ الفرنسي بوسكويه : (وعلى كل حال يوجد ما يجعلنا نقتنع بأن عناصر مهمة من الحضارة البربرية وبخاصة اللغة أتت من آسيا الصغرى عن طريق منخفض مصر في شكل قبائل تنقلت في شكل هجرات متتابعة على مدى قرون عدة في زمن قديم لم يُبَت في تحديده) ويقول المستشرق الألماني أوتو روسلر الذي يسمى الأمازيغية بالنوميدية فيقول في كتابه (النوميديون أصلهم كتابتهم ولغتهم) : (إن اللغة النوميدية لغة سامية انفصلت عن اللغات السامية في المشرق في مرحلة مغرقة في القدم) . ويعترف أمراء البربر بانتمائهم إلى حمير , فعندما ساءت علاقة أبو فتح المنصور الزيري الصنهاجي بالقرن العاشر الميلادي مع الخلافة الفاطمية في القاهرة عبّر عن طموحه في الاستئثار بحكم المغرب العربي دون المظلة الفاطمية أمام شيوخ القبائل الذين حضروا إلى القيروان لتهنئته بالإمارة قائلاً لهم : (إن أبي وجدي أخذا الناس بالسيف قهراً , وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان , وما أنا في هذا الملك ممن يولّى بكتاب ويعزل بكتاب , لأنني ورثته عن آبائي وأجدادي الذين ورثوه عن آبائهم وأجدادهم حِمْيَر)

اعتز الشعراء الأمازيغ بأصلهم القحطاني اليماني الحميري , فالشاعر الحسن بن رشيق المسيلي المتوفى سنة / 463 / هـ يقول مادحاً الأمير ابن باديس الصنهاجي :

يا بن الأعزة من أكابر حمير وسلالة الأملاك من قحطان

ويعتز الشاعر ابن خميس التلمساني المتوفى سنة / 708 / هـ بأصله الحميري فيقول

إذا انتسبت فإنني من دوحة يتفيّأ الإنسان برد ظلالها

من حِمير من ذي رُعين من ذوي حَجْر من العظماء من أقيالها

ويفتخر شاعر أمازيغي طرقي بانتساب قبائل الطوارق الأمازيغ إلى حمير فيقول :

قوم لهم شرف العلى من حمير وإذا دعوا لمتونة فهمُ همو

لمّا حووا علياء كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

الدراسة المعجمية للأمازيغية : كرست خمس سنوات من حياتي بمعدل عشر ساعات في اليوم لتأليف كتابي (معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية) ، فرّغت قواميس خمس لهجات كبرى أمازيغية في الجزائر والمغرب الأقصى وأعدت جذورها إلى العربية في القواميس العربية العاربة والمستعربة , وتوصلت إلى أن تسعين في المائة من الأمازيغية عربية , ويظهر التقصّي العلاقة بين الأمازيغية والعربية علاقة أصالة وليست علاقة جوار مثل العلاقة بين الفارسية والعربية .

ينتمي الدكتور عثمان سعدي إلى أكبر قبيلة أمازيغية وهي قبيلة النمامشة . أصدر كتابيه (عروبة الجزائر عبر التاريخ) عام / 1983 / م وكتاب (الأمازيغ عرب عاربة) عام / 1996 / م , يؤكد بهما عروبة اللغة الأمازيغية .

أما المقالة الثانية فهي تحت عنوان (حقائق قد تصدم بعض الأمازيغ) للباحث الأمازيغي عبد السلام أجرير حيث يقول : لا وجود لشيء اسمه (السنة الأمازيغية) على الأقل قبل عام

/ 1970 / م على أبعد تقدير , بل هي السنة الفلاحية أو السنة الأعجمية , والعجم غير البربر في العرف والاستعمال.

ولا وجود لاسم (الأمازيغ) بمعنى سكان شمال إفريقيا في كتب التاريخ سواء الإسلامية أو العربية أو الرومانية أو اليونانية أو القوطية أو الوندالية أو المصرية .... بل اسمهم البربر في كتب التاريخ أو (الليبيون) أو (الإثيوبيون) وكل هذه التسميات هي لفروع من البربر وليس كل البربر. ولعل أقدم من ذكر كلمة (أمازيغ) هو ابن خلدون , حيث نسب بعض البربر وليس كلهم إلى مازيغ بن كنعان , وهو أول مصدر ترد فيه كلمة (أمازيغ) وهو عربي إسلامي , لكن متعصبي الأمازيغانية لا يعجبهم هذا.

ولا وجود لحرف إسمه (التيفينا غ) , بل هذه الحروف جلها أُنشئت إنشاء , فقد وجدوا بعض الخربشات عند الطوارق وهي ثمانية رموز وليست حروفاً ثمّ نسجوا على منوالها واخترعوها، وكتبوها من اليسار إلى اليمين , مع أن هذه الرموز الطوارقية الصحراوية كانت توضع من الأعلى إلى الأسفل , علماً أن أجدادنا الأمازيغ كتبوا الأمازيغية بالحرف العربي , مثلهم مثل العجم من الترك والهند والكرد , فكلهم تبنوا الحرف العربي , وهناك مخطوطات في التفسير والشعر والعقيدة بالأمازيغية بالحرف العربي .

كل هذا أوهام وإنشاء لأشياء من العدم إنشاء من قبل أعداء الأمازيغ الذين تزعمهم الصهيوني الفرنسي (جاك بينيت) حامي الظهير البربري الفرنسي الذي فرضته فرنسا على المغرب للتفرقة بين الأمازيغ والعرب , فرفضه الجميع في عام سمي بعام اللطيف وجاك بينيت هو واضع العلم الأمازيغي ومؤسس الأكاديمية الأمازيغية التي تولد عنها الكونجريس الأمازيغي كل هذا يقع ضد إرادة الأمازيغ الذين يشكلون أكثر من / 80 / في المئة من سكان المغرب الكبير , وجلهم يتكلم اللهجات العربية الآن .

إن (العواطف عواصف) فالبعض عندما يسمع هذه الحقائق يصدم فيتهجم علينا بدل أن يثبت عكسها بالمصادر والحقائق التاريخية . وحقيقة أخرى لا بد من بيانها هنا وهي أن كل من لا يملك سنداً ووثيقة تبين أصوله العربية في شمال إفريقيا فالأصل فيه أنه أمازيغي حتى يثبت العكس سواء تكلم اللهجة الأمازيغية أو تكلم اللهجة العربية لأن جل الأمازيغ قد تبنوا العربية

لغة للتخاطب ونسوا لهجاتهم القديمة , كما تبنى قبائل الإفرنج اللاتينية عندما هاجروا من شمال أوربا واستقروا في بلاد الغال , وهم في الأصل جرمان لا علاقة لهم باللاتين . إن ثقافة الأمازيغ (أو البربر) ثقافة اختلطت وامتزجت فيها ثقافة مجموعة من الشعوب (حوالي / 7 / قوميات متعاقبة على شمال إفريقيا) آخرها الشعوب الإسلامية , فتولدت ما نراه اليوم من ثقافة فريدة في شمال إفريقيا هي الثقافة الأمازيغية , ومن أراد أن يخترع شيئاً لا أصل له فله ذلك , لكن لا ينسبه لنا ولأجدادنا الأمازيغ بهتاناً وزوراً .

انتهت المقالتان .

إن قضيتي الأكراد والأمازيغ ليستا القضيتين الوحيدتين التي يعمل عليها أعداء الأمتين العربية والإسلامية , بل هناك قضايا سبقتها ولا يزال يُعمل عليها وهي قضية السودان التي استطاع هؤلاء الأعداء تقسيمه إلى دولتين وهما دولتا السودان وجنوب السودان ويسعى لتقسيم السودان إلى أكثر من دولة . لا تختلف قضية السودان عن القضايا السابقة من حيث المضمون لكنها تختلف فقط في الشكل حيث نجد في قضية السودان تحريضاً دينياً هو اضطهاد الجنوب المسيحي من قبل الشمال المسلم وعدم تقاسم ثروات البلاد معه مع أن الجنوب يمتلك معظم ثروات البلاد . استطاع الغرب تحقيق مطامعه , ورغم الانقسام وسلخ الجنوب عن الشمال إلا أن سكان الجنوب ازدادوا فقراً وحالياً يعيشون على المساعدات الإنسانية , والغريب في الأمر هو أنه عندما بدأ التحريض الديني بين قسمي البلد الواحد لم يكن مسيحيو الجنوب هم الأكثر نسبة , فقد كان الجنوب يتألف من / 17 % / من السكان معظمهم مسيحيون كاثوليك وأنجيليين أي تنصروا من خلال البعثات التبشيرية التي كان يرسلها الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر / 18% / مسلمين و/ 65 % / وثنيين .

إن الامبريالية لا تخلق أو تصنع أزمات , فالأزمات موجودة في كل بلدان العالم ويجب على الحكومات والسلطات حل تلك الأزمات قبل أن يستغلها الأعداء لصالحهم . تعمل الامبريالية دوماً على تغذية هذه الأزمات وتدعمها بكل الوسائل المادية والاقتصادية والعسكرية والسياسية وكل ما لديها من قوة لتستثمر هذه الأزمات لصالحها وتحقق أهدافها ورغباتها . من هنا يتضح لنا دهاء عدو الإنسانية الذي يسعى للسيطرة على العالم .

لم يكتفِ الغرب بسرقة تاريخنا بل سرق علومنا وقام بتزويرها وهذا ما سوف نوضحه في كتاب مستقل إن أراد الله وأمد بعمرنا قليلاً . ساهم اليهود (أعداء أمتنا اللدودين) بشكل كبير بتزوير تاريخ الشرق وخاصة البلاد العربية , وبدؤوا يصدرون الكتب بشكل غزير منذ القرن التاسع عشر , وبعض هؤلاء اليهودمن المستشرقين الألمان اليهود أمثال إبراهام هيجر وجوزيف ديرنبورغ ولويس سيرنجر واليهودي الروسي دانيال نولسون , وأخذوا يؤلفون تاريخنا على مقاساتهم وبدأ الإعلام الامبريالي يروج لهذه الكتب وهذه الأفكار لدرجة أن نسبة كبيرة جداً من أبناء الأمة العربية ذاتها صدقتها وآمنت بها وبدأت تتداولها وتؤكدها . إن أعداء أمتنا يحاولون زرع اليأس فينا كي نظن أننا لا نستطيع النهوض ودخول الحضارة ومواكبتها وهذا ما عبر عنه المؤرخ هوبل عندما قال : (إذا أردت أن تلغي شعباً ما , ابدأ بشل ذاكرته , ثم الغِ ثقافته وتاريخه واخترع له تاريخاً آخر وثقافة أخرى , لينسى من هو) .

إن العرب بفضل قوة الإسلام استطاعوا أن يعيدوا البلاد العربية إليه ويدحروا المحتل منها وبالأخص المحتل الروماني , كما استطاعوا أن يحيدوا المستعمر الفارسي من جبهة الصراع بسبب اعتناقه الديانة الإسلامية , فأصبحت قوة بلاد فارس هي قوة مضافة بجانب القوة العربية الإسلامية , وتشكلت أكبر إمبراطورية إسلامية في القرن الثامن ميلادي بعد أن كان العرب في حالة وهن وضعف قبل ظهور الديانة الإسلامية وكانت معظم أراضيه محتلة منذ الألف الأولى قبل الميلاد تعاقب على الأرض العربية العديد من الطامعين نذكر منهم : قورش الأخميني واسكندر المقدوني ثم دخل الرومان إلى البلاد العربية منذ القرن الثالث قبل الميلاد وبقي فيها حتى القرن السابع ميلادي أي ما يقارب الألف عام , ورغم ذلك استطاع العرب سكان البلاد الأصليون أن يؤثروا في المحتل لأن الحضارة العربية في تلك العصور كانت أقوى من حضارتهم بكثير , ورغم ذلك استطاع أعداء الأمة في العصر الحديث أن يزوروا التاريخ ويسرقوا إبداعاتنا وينسبوها إليهم , فعلى سبيل المثال يذكر التاريخ أن النواعير الموجودة حالياً في مدينة حماة بسورية هي من ابتكار الرومان وأنهم بنوها من أجل ضخ المياه لسقي المزروعات , ولكن كيف يمكننا تصديق ذلك مع العلم لا يوجد أي ناعورة في جميع أرجاء أوروبا , هذه واحدة من السرقات وعليها فقس . إن الاستعمار الغربي وشريكه اليهودي (الصهيوني) هما ألدُّ أعداء العرب , لكن العرب وبكل أسف لا تبادله الندية والعداوة مما جعله يتمادى ولا يزال كذلك .

بعد ضعف الحضارة الإسلامية بدأ أعداؤها بالانقضاض عليها فعاد الأوروبيون ليحتلوا البلاد التي كان أسلافهم الرومان قد احتلوها لمدة عشرة قرون , فبدأت الحملات الصليبية تتوافد الحملة تلو الأخرى وكانوا لا يملكون الرحمة , فما إن دخلوا على أي منطقة ضعيفة إلا استباحوا أهلها حتى لو استسلموا لهم . دامت الحرب الصليبية حوالي قرنين فقد بدأت في نهاية القرن الحادي عشر وانتهت بالقرن الثالث عشر , وفي نفس القرن شن المغول هجومهم على البلاد العربية والإسلامية وما إن انتهت حتى دخل العثمانيون البلاد وحكموها أربعة قرون باسم الدين , ثم عاد أحفاد الأوروبيين واحتلوا البلاد مرة أخرى باسم الانتداب ثم خرجوا تاركين عملاءهم فيها .

إن هذه اللمحة الموجزة عما جرى لهذه الأمة الإسلامية وبالأخص العربية ينم على تخلفها وأنها تحتاج إلى تقديس العلم والعمل به ليل نهار كي تخرج من محنتها وبكل أسف أقول إن المنظرين يرون أن أسباب تخلفنا هي أسباب سياسية واقتصادية , وأنا بدوري أقول إن أسباب تخلفنا هو بعدنا عن العلوم وتطبيقاتها بعد السماء عن الأرض , وانصياعنا إلى رجال الدين (المشايخ) . إن القضاء على التخلف يبدأ بتغيير العقلية أي الإقلاع عن العقلية اللاهوتية (المشيخية) وتبني العقلية العلمية وهذا لن يتم ما لم نبتعد عن مصادر اللاهوتية ونقترب من المصادر العلمية , أي نبتعد عن أفكار المشايخ ونتبنى أفكار عظمائنا وعباقرتنا وفلاسفتنا .

المشروع :

ما إن انتهت الماسونية من تفكيك الاتحاد السوفيتي حتى قال أحدهم : (لقد أضعفنا الحضارة الأرثوذكسية) , حينها بدأت الماسونية ترتب الأوضاع الدولية كما يحلو لها . كيف لا وقد أصبحت القطب الوحيد والشرطي الوحيد في العالم لا تقف في وجهها أي قوة دولية , وها نحن نجد أن بريجنسكي يقول : (إن أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة في القرن الواحد والعشرين والأخيرة وعليها استغلال ذلك من أجل السيطرة والهيمنة على العالم) . وعن بريجنسكي يقول السيناتور ريتشارد لوغار : (التحول الثقافي العالمي التي تقوده الولايات المتحدة يمكن أن يصبح حملة منعزلة تزعزع الاستقرار بدون المشورة الخلاقة التي يقدمها زبيغنيو بريجنسكي إلى قيادة سياستنا الخارجية إنني أستمع إليه بعناية منذ خمسة وعشرين عاماً) , حيث يعدّ بريجنسكي خليفة كيسنجر في السياسة الامبريالية .

وعن هذا الموضوع يوضح المفكر الفذ بريجنسكي منسق مجلس العلاقات الخارجية للماسونية في كتابه رقعة الشطرنج الكبرى (إن استياء الصين من موقف تايوان الانفصالي يزداد حدة في الوقت الذي تزداد فيه قوة الصين ، كما أن تايوان التي تزدهر على نحو متزايد بدأت تتصرف من خلال موقف منفصل رسمياً بوصفها دولة أمة , أي دولة قومية) ويضيف فيقول (إن جزر باراسيل وسبراتلي في بحر الصين الجنوبي تشكل خطر حدوث تصادم بين الصين وعدة دول في جنوب شرق آسيا بسبب الرغبة في وصول كل من هذه الأطراف إلى مصادر الطاقة الغنية المحتمل وجودها في قاع هذا البحر ، علماً أن الصين تنظر – عبر خلفية إمبريالية – إلى بحر الصين الجنوبي على أنه يقع ضمن مناطق سيادتها القومية المشروعة) , ثم يتابع فيقول : (يتم النزاع على جزر سنكاكو بين الصين واليابان مع كون الغريمين تايوان والصين متفقين تماماً إزاء هذه القضية وبالتالي فإن التنافس التاريخي على البروز الإقليمي بين الصين واليابان يشحن هذه القضية بجرعة من الأهمية الرمزية أيضاً) , ونراه يتحدث عن كوريا الشمالية أيضاً حيث يقول : (إن تقسيم كوريا وعدم الاستقرار السائد في كوريا الشمالية ازداد خطراً بسبب سعي هذه الأخيرة إلى امتلاك قدرة نووية وبالتالي نتج عن ذلك خطر التفجير المفاجئ لحرب تنشب في شبه جزيرة كوريا مما سيجر الولايات المتحدة إلى التورط في هذه الحرب ناهيك بتورط غير مباشر لليابان فيها أيضاً) , كما يتحدث عن جزر الكوريل فيقول : (إن قضية جزر

الكوريل الواقعة في أقصى الجنوب التي تمّ الاستيلاء عليها من قبل الاتحاد السوفييتي في العام / ١٩٤٥ / م تستمر في إحداث الشلل في العلاقات الروسية اليابانية وفي تسميمها , وثمة نزاعات إقليمية إثنية كائنة أخرى تثير قضايا حدودية بين روسيا والصين ، وبين الصين وفيتنام ، وبين اليابان وكوريا ، وبين الصين والهند , وهناك اضطراب إثني في مقاطعة كسينج يانغ وخصومات ومشاحنات صينية أندونيسية على الحدود المحيطة) , ورغم كل هذه المشاكل التي تحيط بالصين بسبب المشاكل التي تركتها الماسونية (الإمبريالية) لإنهاكها إلا أننا نراه يذكر ما يلي : (ليس توزيع القوة في المنطقة متوازناً فالصين بترسانتها النووية وقواتها المسلحة الكبيرة هي القوة العسكرية المسيطرة بشكل واضح وقد تبنت البحرية الصينية عقيدة إستراتيجية هي الدفاع الفعال عن المناطق البحرية البعيدة نسبياً عن الشواطئ في سعي منها إلى امتلاك قدرة على السيطرة الفعالة على البحار ضمن سلسلة الجزر الأولى مما يعني شمول مضيق تايوان وبحر الصين الجنوبي . وبالتأكيد فإن القدرة العسكرية لليابان تتزايد أيضاً ومن حيث النوعية ليس لهذه القدرة نظير إقليمي , ومهما يكن من أمر ففي الوقت الراهن ليست القوات المسلحة اليابانية أداة للسياسة الخارجية اليابانية ولكن ينظر إليها غالباً على أنها امتداد للوجود العسكري الأميركي في المنطقة) , ويذكر بريجنسكي في نفس كتابه كيف أن الطلاب الصينيين يدرسون تاريخ بلادهم فيقول : (يعرف الطلاب الصينيون الذين يدرسون تاريخ بلادهم أن إمبراطورية الصين كانت تمتد في العام / 1840 / م عبر جنوب شرق آسيا وصولاً إلى مضيق مالقا بما في ذلك بورما وأجزاء من بنغلادش الحالية ونيبال وأجزاء من كازاخستان الحالية وكل منغوليا والمنطقة التي تعرف حالياً بالمقاطعة الروسية الشرق أقصوية في جنوب المكان الذي يتدفق فيه نهر آمور إلى المحيط . وقد كانت هذه المناطق إما تقع تحت نوع ما من السيطرة الصينية أو تدفع جزية إلى الصين . وما لبث التوسع الاستعماري الفرنسي البريطاني أن طرد النفوذ الصيني من جنوب شرق آسيا في السنوات / 1885 – 1895 / م , بينما فقدت الصين بموجب معاهدتين فرضتهما روسيا في العامين / 1858 و 1864 / م أراضي في الشمال الشرقي والشمال الغربي , وفي العام / 1895 / م نتيجة الحرب الصينية اليابانية فقدت الصين التايوان أيضاً) , ثم يقول : (إذا استطاعت الصين أن تسيطر على مضيق مالاقا وعلى نقطة الاختناق الجيواستراتيجية في سنغافورة , فإنها ستسيطر على حرية وصول اليابان إلى نفط الشرق الأوسط وإلى الأسواق الأوروبية)

في عام / 1996 / م قال المحلل الصيني سونغ ييمين وهو يعمل في فرع الأبحاث من وزارة الخارجية الصينية : (إن الهدف الاستراتيجي الأمريكي هو السعي إلى الهيمنة على العالم كله , وأمريكا لا تستطيع تحمل ظهور أي قوة كبرى في القارتين الأوروبية والآسيوية تشكل تهديداً أو خطراً على موقعها القيادي) وفي عام / 1997 / أعلنت الصين وروسيا استنكار الهيمنة وتوسع الناتو غير المسموح به ويحذر بريجنسكي أصحاب القرار في العالم (الماسونية) إذ يقول : (إذا ظهرت الصين كقوة عالمية فإن اليابان ستخرج من العباءة الأمريكية لذلك يجب الكف عن الضغط على اليابان لتمارس مسؤوليات دفاعية أكبر في المنطقة الآسيوية الباسيفيكية مما سيؤدي إلى إعاقة نشوء علاقة مستقرة بين اليابان والصين وإلى تعزيز عزل اليابان عن هذه المنطقة) . كما نجد أن الأمريكي بدأ يعامل التايوان في تسعينيات القرن العشرين على أنها دولة مستقلة منفصلة عن الصين .

يقول جون بيركنز في كتابه (الاغتيال الاقتصادي للأمم) : إن الامبريالية قسمت العالم إلى قطاعات , قطاع للنفط وهو مناطق الخليج العربي وفنزويلا , وقطاع اقتصادي وهو الصين والهند وقطاع للتقسيم وهو روسيا أي فكرت الماسونية بالقضاء على الصين وجعلها سوقاً لها , وتقسيم روسيا إلى أربعين دولة . ولكن كيف ؟

في عام / 1995 / اجتمع حوالي أربعمئة شخصية متميزة في مختلف المجالات السياسية والعلمية ومعظمهم من المستشرقين , ووضعوا دراساتهم من أجل سيطرتهم على العالم وبعد دراسة كافة الدراسات والنقاشات توصلوا إلى أنه يجب الابتداء بتفتيت الحضارة الإسلامية ثمّ القضاء على باقي الحضارات كالصينية وغيرها وأعدوا السيناريوهات والمخططات التي يجب السير عليها من أجل تنفيذ مخططاتهم للوصول إلى أهدافهم .

عندما تقرأ كتاب صدام الحضارات لصومائيل هنتغتن وهو الشخصية الإستراتيجية الثانية أي بعد بريجنسكي تجد في فقرة عنوانها (حرب الحضارات والنظام) تبدأ من الصفحة / 505 / وتنتهي بالصفحة / 516 / يتحدث فيها عن حرب عالمية مستقبلية قد تحدث حسب قوله طرفاها الرئيسيان هما أمريكا والصين .

إن المشروع الامبريالي المرسوم عام / 1995 / م لا يحتاج الكثير من الشرح لأن فحوى مخططاته ظهرت من خلال تطبيقها منذ تفجير مبنى منظمة التجارة العالمية في أمريكا في 11 / 9 / 2001 م واتهمت فيها المنظمات المسلحة الإسلامية , مع العلم أن الأمريكان أنفسهم قاموا بتلك العملية وفق تقرير سُرّب من البيض الأبيض كُتب قبل تسلم بوش الابن مقاليد الحكم في أمريكا , مفاده أن أمريكا تحتاج إلى ذريعة ضخمة لتتمكن من إخراج جنودها خارج حدودها باتجاه الدول الإسلامية , وهذا ما رأيناه فعلاً من خلال الأحداث التي لحقت أحداث / 11 / أيلول .

لتتعرف على المشروع بشكل جيد وعلى أهدافه عليك أن تقرأ على الأقل الكتب التي أشرنا إليها في بداية الفصل وهي موجودة على غوغل تستطيع تحميلها وقراءتها , وإن أردت أن أظهر أهم ما جاء فيها فإنه يحتاج إلى كتاب كامل على الأقل .

بعد الحرب العالمية الثانية بدأت أصوات بعض المستشرقين والمؤرخين والمفكرين والفلاسفة الغربيين تعلن عن أنه لتستمر الحضارة الغربية (الحضارة المسيحية الغربية) عليها أن تصبغ العالم كله بأسس ومفاهيم حضارتها , وبدأت تظهر الكتب تلو الكتب لنشر هذه الفكرة في عقول الغربيين ومن أهم رواد هذه الفكرة المؤرخ أرنولد توينبي كما طالب بدور للكنيسة تلعبه من أجل تعزيز هذه الفكرة ومن جهة أخرى من أجل عودة الناس إلى الدين لأنه رأى أن الدين هو أهم عامل من عوامل الحضارة , مع العلم أن توينبي يرى أن الحضارة الإسلامية سوف تعود بقوة في القرن الواحد والعشرين وأنا شخصياً من أنصار هذا الرأي ليس من الناحية التقليدية وإنما من خلال دراستي في علوم الحضارة والفلسفة والتاريخ .

قبل أن نفشي بعض الأسرار عن مشروع عام / 1995 / م علينا أن نوضح بعض الأمور التي اتبعتها الامبريالية خلال مسيرتها وخاصة في منطقتنا العربية . لا شك أن آخر منطقة احتلتها الامبريالية بشكل مباشر وفاضح هي منطقتنا العربية , لذلك لم تتعب كثيراً في وضع الخطط التي تعمل على تحقيق مصالحها لأنها كانت تطبق نفس الخطط الناجعة التي كانت تطبقها في المناطق الاستعمارية الأخرى وخاصة الخطط التي كانت تطبقها في أمريكا الجنوبية وفي أوروبا . فنراها تستخدم نفس الأسلوب في التعامل لأنها كانت تراها الأنسب لتحقيق

مصالحها . فعلى سبيل المثال : كانت تضع الحكام العسكريين في أمريكا الجنوبية ورأت أنها تحقق لها مصالحها وخاصة أنها كانت تطلب منهم الضغط على الشعوب وعدم توعيتهم بحجة أن الوعي سيؤدي إلى ثورات ضدهم مما يفقدهم السيطرة على السلطة , وبالفعل سارت الأمور كما يحلو لها لذلك كنا نرى أن حاكم البلاد يجلس في سدة الحكم أكثر من جيل لكنها لاحظت أن الحاكم بسبب طول مدته بدأ يؤسس لنفسه نفوذاً واسعاً على مستوى البلاد وعلاقات واسعة مع أعداء الامبريالية ليس من أجل مصلحة وطنه وإنما من أجل سيطرته على الموارد الطبيعية لصالحه ولصالح أعوانه وبدأ يساوم الامبريالي على نسبته من حصص موارد بلاده وأحياناً يتخلى عنه ويتعامل مع أعداء الامبريالية وخاصة منذ ستينيات القرن العشرين فقد بدأ الاتحاد السوفييتي يغزو القارات اقتصادياً وهذا ما أزعج الامبريالية لأنها كانت تشعر أن اقتصاد العالم من حقها فقط , وزاد في الطنبور نغم عندما بدأت الصين تغزو قارات العالم اقتصادياً , لذلك بدأت حصتها من موارد العالم تقل فرأت أن السبب في ذلك هو تمرد الحاكم العسكري الدكتاتوري عليها لتحقيق مصالحه ومصالح أعوانه على حساب مصالحها ورأت أنها لا تستطيع ثنيه عن ذلك لأن الشعب مستكين له ولا حول ولا قوة له , لذلك بدأت بحملة تحقيق الحرية والديمقراطية للشعوب وهي كلمة حق يراد بها باطل فرأت أن من مصلحتها أن لا يكون الحاكم عسكرياً كي يفقد سلطة الجيش من يده لتبدأ بالشرخ بين الحاكم والجيش , كما رأت أن طول مدة حكمه تعطيه القوة والنفوذ بشكل أوسع فبدأت تطرح فكرة أنه لا يحق للحاكم سوى دورتين انتخابيتين لتكون سيطرتها أكبر على قراراتها وخاصة أنه يحتاج لزمن كي يمسك زمام الأمور لذلك نراها فقدت الثقة بعملائها , وأنهم لم يكونوا الخادم الأمين لها .

لقد طبقت هذه الأفكار في أمريكا الجنوبية أولاً ثم بدأت بتطبيقها على الدول العربية , لكنها بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي وتحجيم الصين اقتصادياً بشكل نسبي ونجاحها في الثورات الملونة في شرق أوروبا ووسطها ارتأت أن تطبق هذا الأسلوب في الدول العربية واختارت اسم (الربيع العربي) وهو مصطلح قديم أطلقته عام / 1848 / م عند افتعالها الثورات في أوروبا وقد أطلقت على تلك الثورات في وقتها مصطلح (ربيع الأمم) .

لا أرغب بالحديث هنا عن تفاصيل المشروع مع العلم أن من يقرأ الواقع سوف يعرف فحوى المشروع لكنني سوف أقدم في ملحق خاص تابع لجزأي الكتاب منجزات الماسونية خلال قرونها

الخمس وإخفاقاتها والمنعطفات التاريخية التي مرت بها خلال مسيرتها . لكني أحب أن أختم فقرتي هذه بأن الماسونية لا تقدم على أي خطوة ما لم تكن مدروسة من أصحاب وأهل الاختصاصات التي تستخدمها لنفسها كيف لا وهي أول من آمن بالعقل ورأت أن سلاح العقل أقوى من كل الأسلحة فهو الوحيد القادر على صنع باقي الأسلحة واستعمالها بالشكل الأمثل , وهي أول من فكرت بشراء العقول منذ عام / 1870 / م لأنها وجدت أن أعلى ربح تستطيع تحقيقه هو من خلال استثمار العقول المبدعة . وأحب أن أوضح نقطة أخرى تستخدمها الماسونية وهي النفس الطويل فهي تخطط ليس لجيلها فقط وإنما لثلاثة أجيال على الأقل وتطرح أفكار هذه الخطط على البشر دون أن يعلموا ماذا يراد بها بل تقنعهم بأفكار تدغدغ عواطفهم وغرائزهم لتستخدمهم في مشروعها دون أن يدروا , أي أنهم دوماً يقدمون للعامة أفكار حق يراد بها باطل , ولنضرب مثلاً حياً وقريباً جداً من حيث الزمن وهو تصدير أفكار غير منطقية عن الحرية والديمقراطية تظنها العوام وما أكثرهم في البلدان المتخلفة أنها عين الصواب , فنرى أن أستاذ العلوم السياسية البروفيسور جين شارب هو أحد وأهم أبطال هذا النوع من الأفكار يصدر كتباً في ذلك وأخطر كتاب له هو كتاب (من الدكتاتورية إلى الديمقراطية) ويقدمه بطريقة بمنتهى الإنسانية إلا أن كله شرور وحقد واستغلال لطاقات البشر الذي ينظر إليهم أنهم أعداء الماسونية ويجب السيطرة عليهم , ولا ننسى أن جين شارب البروفيسور في جامعة هارفارد هو ابن لأب يهودي وأم مسيحية بروتستانتية . لكن تتضح عبقرية جين في كتابه هذا بأنه يعلم جيداً الحالة النفسية للشعوب المتخلفة وكيف يستطيع أن يلعب عليها والأهم أنه يعلم أن هذه الشعوب لا تقرأ كثيراً لذلك فإن مؤلفه هذا جاء بسبعين صفحة فقط , والأجمل من ذلك أن كتابه هذا ترجم لمعظم لغات العالم وكان يحمله قادة الثورات الملونة في جعبتهم ويرونه قاموسهم وإمامهم , لقد تم نشر الكتاب عام / 1993 / م واعتبر من أهم الكتب السياسية بعد كتاب الأمير لميكافيلي .

سنورد في الملحق بعض التفاصيل عن الثورات الملونة وأثر كتاب جين فيها عندها سنعرف أهداف فورات (ثورات خطأً) الربيع العربي .

من يحكم العالم :

بدأت الصراعات على السلطة (التحكم بالبشر) منذ أن وجد البشر على سطح الكرة الأرضية , فمنذ أن تشكلت أول مجموعة من البشر كان يتزعمها من يملك القوة العضلية الأقوى بين تلك المجموعة , وكان يسخر باقي البشر لخدمة مصالحه إلى أن ظهرت مسألة الآلهة وظهرت طبقة الكهنة التي تحالفت مع الطبقة الغنية والقوية وأصبحت تنصب على قومها رجالاً يزعمون أنهم من صلب الآلهة , وصار الناس يُحكمون باسم الدين . وما إن ظهرت فكرة الإله الواحد (التوحيد) حتى تغير نمط الحكم لكن الحاكم لم يتغير فقد بقي الحكم كما هو رغم تغيير التسميات . نستطيع أن نسمي تلك الحقبة بحقبة الثقافة اللاهوتية لأنها كانت من تدبير رجال الدين وكانت السيطرة الكبرى لهم . رغم انتهاء حقبة الثقافة اللاهوتية في العديد من الدول إلا أنها لا تزال مستمرة في الدول المتخلفة .

لقد بدأت الثقافة اللاهوتية أفولها في أوروبا أثناء عصر النهضة ثم تبع ذلك عصر العقل فعصر التنوير , وفي هذه المراحل حكمها رجال السياسة الذين استخدموا كل الطاقات البشرية الإبداعية فأصبحت أوروبا سيدة العالم وبالأخص الإنكليز . ما إن بدأت أوروبا تزدهر وتنتشر منتجاتها في كل أرجاء العالم حتى أصبح رجال الاقتصاد هم القوة العظمى التي تتحكم في القرارات السياسية . استطاع رجال الاقتصاد الإمبرياليون أن يشكلوا منظمة خاصة بهم وهي منظمة الكوربوقراطية التي سيطرت على العديد من رجال الدول ورجال الجيش وأصبحت تتحكم بالعالم . إن تاريخ تأسيس الشركات العابرة للقارات بدأ منذ عام / 1870 / م وكانت أول شركة هي شركة ويسترن يونيون في أمريكا ثم توالت الشركات التي كان لها الأثر الأكبر في إشعال نيران الحرب العالمية الأولى التي كان من أهدافها إفلاس الدول الأوروبية وشراء معظم الشركات الخاصة والعامة من أجل التحكم في اقتصاديات الدول وقراراتها السياسية وفي ذلك يقول روتشيلد : (دعهم يسنون قوانينهم ما دمنا نحن نتحكم بالاقتصاد) .

إن المال الامبريالي هو الذي يتحكم بالعالم وبالأخص بعد عام / 1974 / م عندما اتحدت منظمة الكوربورقراطية مع حلف الناتو ومع رجالات الدول لكن من يقود الدفة هم رجال الشركات العابرة للقارات .

الخاتمة

إذا كنت من أصحاب العقل اللاهوتي فإنك بكل تأكيد لن تصدق أن الامبريالية تلعب في كل الدول المتخلفة كما تشاء حيث تحقق أهدافها من خلال ألاعيبها وقد لا تحققها بشكل كامل في أحيان أخرى .إن العقل اللاهوتي لا يدرك ولا يعي كيفية آلية تفكير العقل العلمي والأوروبيون هم أول من بنى هذا العقل منذ عصر العقل في القرن السابع عشر . إن تحول العقل من عقل لاهوتي إلى عقل علمي سوف يؤدي إلى تغيير كل ما حوله وسوف يمتلك منطقية وآلية عمل تساعده على تحقيق أهدافه مهما كانت هذه الأهداف .

إن مواجهة هذا العقل العلمي لا يقدر عليه إلا عقل علمي آخر مناهض له ويمتلك إمكانات الخصم ذاتها . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل الأمم المهزومة سوف تستفيد من صراع الكبار أم أنها سوف تتخلص من طرف لتقع تحت رحمة الطرف الآخر ؟ مهما يكن الجواب فلن يكون الحال أفضل بكثير لأن القوي هو الذي يرغب بفرض سيطرته من أجل الاستفادة حتى ولو كان أرحم من الامبريالية , فلا بد من مواجهة الواقع لتغييره نحو الأفضل ولن يحصل التغيير ما لم تتغير آلية التفكير وهذا يعني علينا أن نبني العقل العلمي ولن يتم بناؤه ما لم نعتمد على عباقرتنا وعظمائنا وفلاسفتنا .

وأخيراً أود أن أقول إن ما ذكرناه من أحداث هو غيض من فيض , ولكن من خلال دراسة الكتب التي أشرنا إليها وبالأخص كتب بريجنسكي وهنتغتن فإنك سوف تتعرف على الكثير من الأحداث التي حدثت في العالم .